نظـم

الحضارة العربية الإسلامية

الدكتور
إبراهيم علي السيد القلا
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب جامعة جنوب الوادي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

العلــم والإيمــان للنشــر والتوزيــع
دسوق / ميدان المحطة / شارع الشركات
ت : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١
ف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١
ت : ٠١٢٥٦٤٤٤٢١

رقــم الإيـــداع :
٣٠٧٤
الترقيم الدولي
I.S.B.N. 977- 308-109-5
جمع وإخراج:
عبير السيد أبو شبل

٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1].

صدق الله العظيم

(١) سورة البقرة : الآيـة ٣٢ .



الفهرس

تابع الفهرس

مُقَدِّمَة

الأمم بحضارتها ، وبمقدار ما يكون للأمة من يد على الحضارة بمقدار ما يكون لها من عظمة التاريخ ، وكل أمة لا حضارة لها لا حضور لها ولا تاريخ ٠

وما كان للعرب والمسلمين كان منهم للحضارات خلاصة وكان منه التفوق والتنوع وحين يكون التفوق هو في الشأن العقلي والعلمي فإن ذلك ينعكس أثره على مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتقاس حضارة الأمم بمقدار عطائها لا بقدر أخذها ومن جانب العطاء نجد أن العرب والمسلمين

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (1)

فالحضارة العربية الإسلامية استلهمت الإسلام وتفاعلت معه ولم يكن بينهم انفصال والفروق الجزرية بينهما لم تمنع من لقاءات حضارية خلت من السلاح والحقد والصراع وكانت غنية بالعطاء والخير ٠

والحضارة العربية الإسلامية سجل تاريخي يوضح تطور العقل البشري فهي في الحقيقة امتداد للحضارات السابقة لها ولكنها ذات شخصية متميزة ومفتوحة، وليست كالحضارة الغربية خلال العصور الوسطى مغلقة على نفسها ، فهذه الحضارة ترجع أولا إلى العرب وثانيا إلى سكان البلاد التي فتحها العرب ودخلوا في الإسلام ، ولذلك تسمى بالحضارة العربية والإسلامية ٠

---

(1) سورة آل عمران ٠ من الآية ١١٠ .

ودراستنا للحضارة الإسلامية بدأت ببداية الإسلام لأنهما لا ينفصلان عن بعضهما ، وكان اهتمامنا بمعالمها فى عصرها الذهبى منذ مطلع العصر العباسى حتى أغار التتار على بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، وحولها التتار إلى كومة من الرماد ، فكان العصر الذهبى للحضارة الإسلامية قد استمر نحو خمسة قرون من الزمان .

ولكل حضارة عبر عصور التاريخ صفتها المميزة التى تكسبها طابعا خاصا يميزها عن غيرها من الحضارات السابقة عليها أو اللاحقة لها ، وإذا كانت الحضارة الإسلامية باعتراف كافة الباحثين فى الشرق والغرب هى أعظم حضارة عرفها العالم أجمع فى حقبة العصور الوسطى فإن من أبرز الصفات المميزة لهذه الحضارة أنها حضارة إنسانية استهدفت خير الإنسان والرحمة به وتحقيق أكبر قدر من النفع له والعمل على السمو به إلى أعلى المستويات روحيا وفكريا ومعيشيا .

والحضارة العربية الإسلامية يدين لها العالم بالكثير ليس فقط لحفظها التراث القديم الذى ورثته ، ولكن الابتكارات والشروح الجليلة التى قام بها علماء العرب والمسلمين فى العلوم .

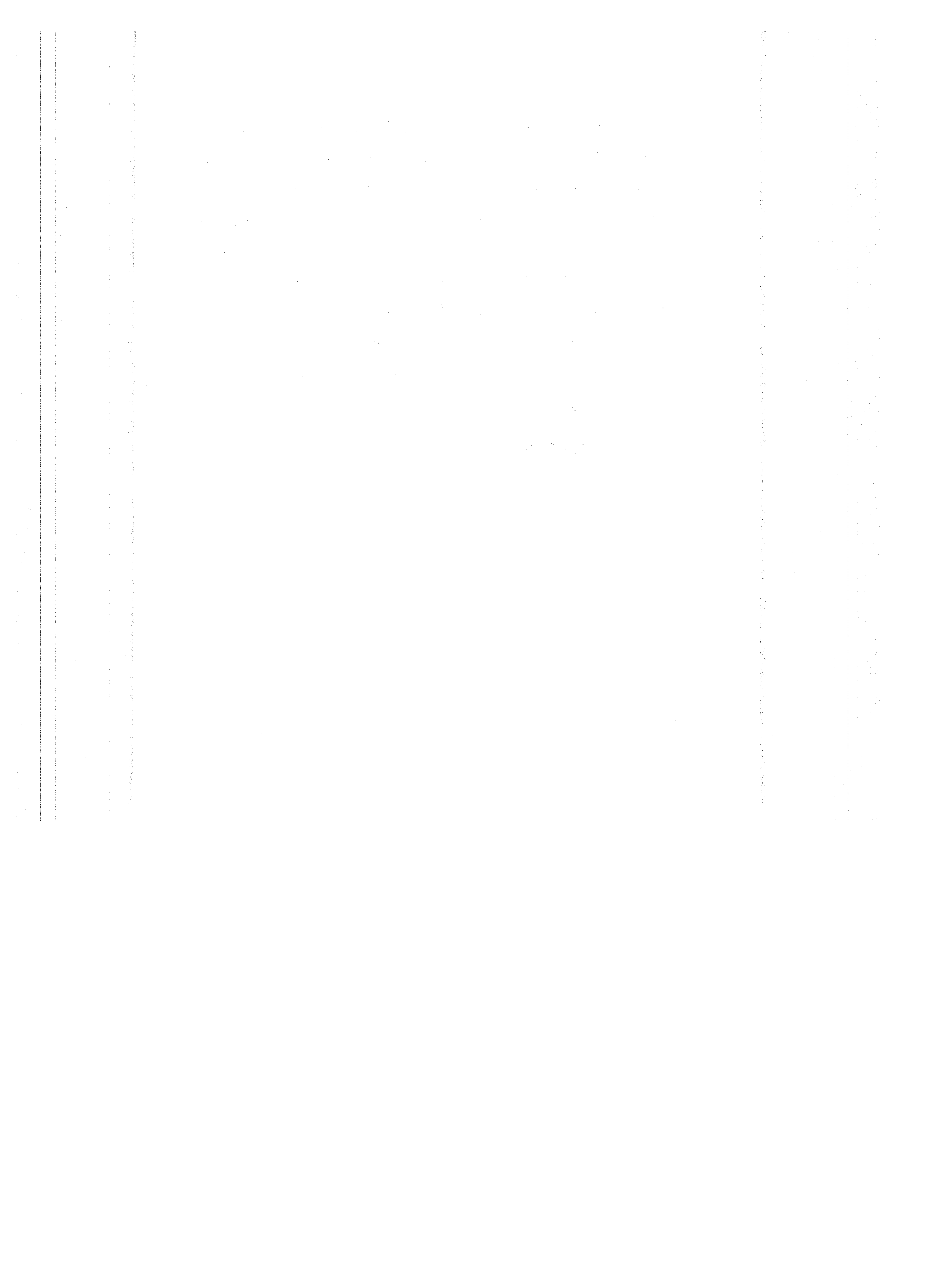
إن فضل العرب والمسلمين على الحضارة الإنسانية لا يستطيع إنسان وصفه والتعبير عنه حيث أنهم بفتوحاتهم العظيمة اتصلوا بالحضارات المختلفة فجمعوا هذه الحضارات وصهروها ، وقدموا حضارة عربية وإسلامية تفوق الحضارات التى سبقتها بدرجات كبيرة ، لذا نجد أن الدين الإسلامى هو المحرك الحقيقى لمناحى هذه الحضارة فهو المحرك للتطبيق العلمى على الحياة اليومية .

ومما لا شك فيه أن علماء العرب والمسلمين استفادوا من إنجازات الأمم التى سبقتهم والأمم التى اختلطوا بها بعد الفتوحات الإسلامية وذلك بحصولهم على نتائج تجاربهم العلمية ، لذا فإن الحضارة عبارة عن تراث ونتاج مشتركين بين الأمم المختلفة ، هذا وقد أثرت الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية فى الكثير من فروع المعرفة ٠

وسوف يتضح لنا مدى تقدم وازدهار الحضارة العربية الإسلامية من خلال هذه الدراسة التى تناولت جوانب من تلك الحضارة ، حيث أن هذه الحضارة غنية بجوانبها ولا تسع الدراسة لتناول هذه الجوانب جميعها ولذلك نتناول بعض الجوانب المؤثرة فى العالم عامة ٠

دكتور

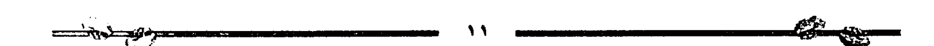
إبراهيم علي التلا

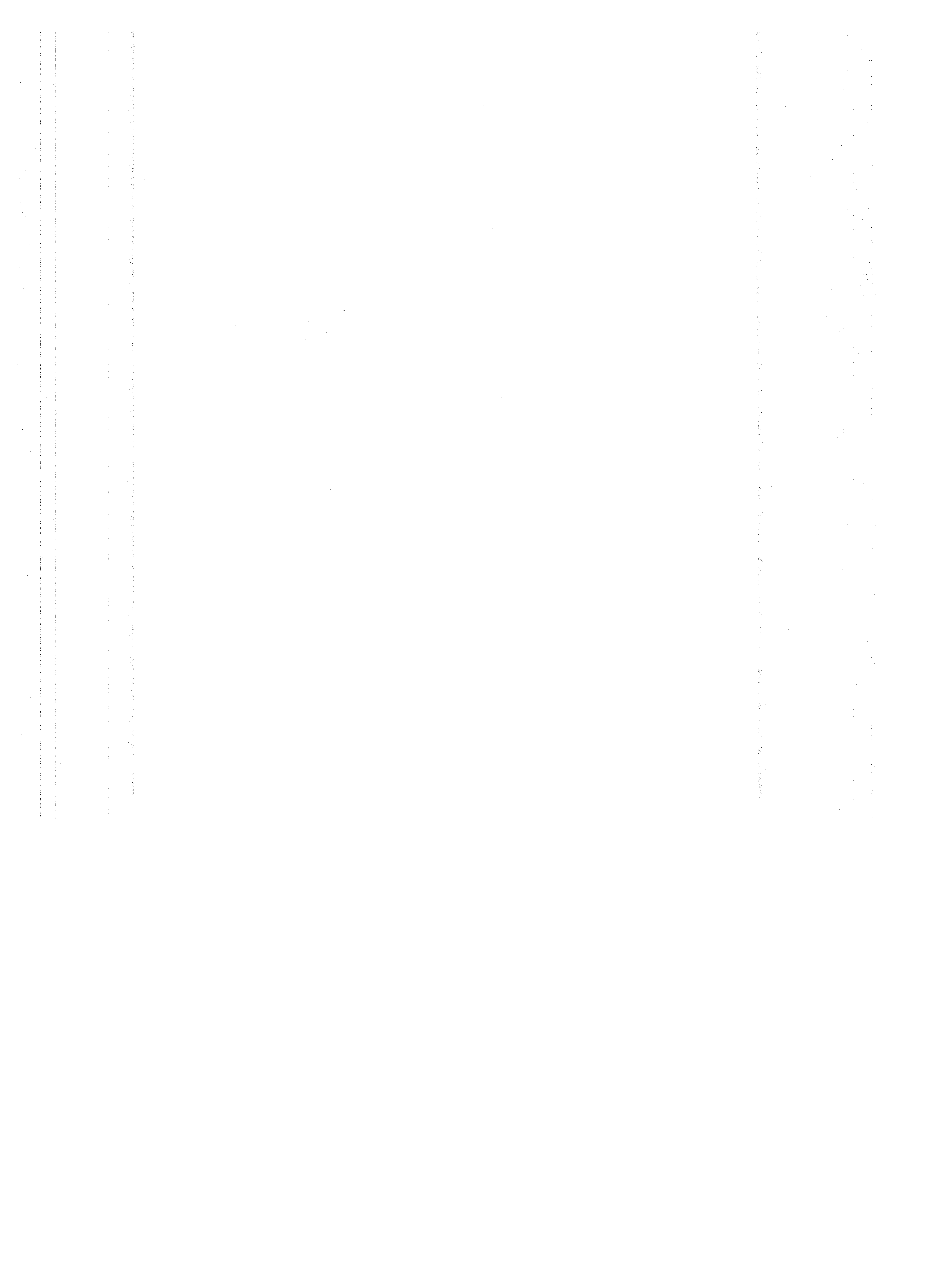


الفصل الأول .

مفهوم الحضارة .

- أصول الحضارة الإسلامية .
- خصائص الحضارة الإسلامية .





الفصل الأول

مفهوم الحضارة

الحضارة[1] فى مفهومنا العام – هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصود أم غير مقصود ، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية ٠

وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ لأن التاريخ كما سنرى هو الزمن ، والثمرات الحضارية – مادية أم معنوية – تحتاج إلى زمن لكى تطلع ، أى أنها جزء من التاريخ ، أو نتاج جانبى للتاريخ ، وكما أن ثمر الزروع والأشجار لا يطلع إلا بفعل الزمن ، أو لا يمكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما فى نفس الوقت ، فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان[2] ٠

وكلمة حضارة لها أكثر من تعريف أيضا فهى الإقامة فى الحضر والحاضرة هى المدينة ، والمدينة تعنى الحضارة واتساع العمران ، وكلمة تمدن تعنى العيش حياة أهل المدن والأخذ بأسباب الحضارة[3] والحضارة أيضا نظام اجتماعى يعيش الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافى[4] كما أنها الروح العميقة للمجتمع وتقوم على تأكيد الأصالة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للإنسان[5] ٠

وعلى الرغم من تعدد تعاريف الحضارة ومدلولها ، فهى مستوى التقدم الذى بلغه المجتمع فى ميدان الفكر والاجتماع والاقتصاد والتكنولوجيا[6] ٠



والحضارة التى ندرسها توصف بالحضارة العربية أو الحضارة الإسلامية وهذا لا يعنى أن سكان الجزيرة العربية الذين دخلوا فى الإسلام هم وحدهم الذين أسهموا فيها ، فالمقصود بالحضارة العربية الإسلامية ، أنها تشمل جميع الشعوب التى تحدثت العربية وعاشت فى دار الإسلام فى ظل الخلافة الإسلامية بصرف النظر عن الجنس والدين ، ولذلك يدخل فيها مع العرب الأجناس الأخرى حيث حوت أراضى الخلافة الإسلامية العديد من العناصر بجانب العرب ، مثل الفرس والمغاربة ، والسودانيون والأقباط ، والنصارى واليهود وأيضا أصحاب الديانات الأخرى[٧] .

وقد وصفت هذه الحضارة بالعربية لوجود ما ينتمى للعربية فيها وأهم ذلك هو اللغة العربية التى حفظت منها أصول هذه الحضارة وفروعها ، فقد نزل القران الكريم باللغة العربية وبها كتب

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٨]

وبها دونت السنة النبوية وحفظت ، وتعلم بها من اعتنق الإسلام وانضوى تحت لواء هذه الحضارة وكانت اللغة العربية لغة الدول القائمة بها ، ولذا فلا غرابة أن تكون العربية ضمن تسميتها ، وكان لفظ عربى والعربية رديف لفظ الإسلام[٩].

ووصفت أيضا بالعربية لأنها قامت فى البيئة التى كان العرب يسكنونها ومنحوها جهدهم وجهادهم ، وكانوا رسلها ، وحملوها إلى الناس ، وعلى أكتافهم قامت دولتها التى اتسعت وبلغت المحيط الأطلسى وامتدت نحو أوربا وبلاد السند والهند ، وأفريقيا وخدموها ، خلفاء وسلاطين وأمراء ووزراء ، وأهل صناعة وزراعة

وتجارة ، ومعلمين ومفكرين ، وبذلك أخذت هذه الحضارة من العربية هوية الوجه واللغة[١٠] .

وعرفت بالحضارة الإسلامية للفكر الإسلامى الذى كان مضمون هذه الحضارة ومحتواها وأساسها الذى قامت عليه ممثلا فى القرآن الكريم ، وما يترتب عليه من ثراء ثقافى ، وتشعب فكرى وتنوع وتطور الكلام وفلسفته مما زاد الحياة الفكرية ثراء[١١] .

١ . أصول الحضارة الإسلامية :

إنه ليس من السهل معرفة أسس الحضارة الإسلامية وذلك لأنها كأى حضارة لم تظهر من عدم ، وإنما سبقتها حضارات هى مصادرها . فالحضارة أخذ وعطاء ، ونتيجة مشتركة لعناصر قديمة وجديدة ، ولذا فإن أسس الحضارة الإسلامية ترجع أولا إلى العرب ، وثانيا إلى سكان البلاد التى فتحها العرب[١٢].

أقام العرب المسلمون حضارة جديدة هى أعظم حضارات العالم فى العصور الوسطى ، وهذه الحضارة العربية الإسلامية هى التى جعلت العصور الوسطى عصور مضيئة بالقياس إلى ما سبقها فى غرب أوربا أو أخر أيام الدولة الرومانية القديمة

ومع أن العرب المسلمين أخذوا من الحضارات التى سبقتهم أو عاصرتهم شيئا غير قليل فإنهم ما أخذوه من هذه الحضارات بالتغيير والتبديل والحذف والإضافة ونجم عن ذلك كله حضارة جديدة لها طابعها الخاص وهو طابع الإسلام والعروبة واللغة العربية التى بها القرآن الكريم[١٣] .

وترجع هذه الحضارة إلى الأصول الآتية :

١ الأصل الإسلامى ٠

٢- الأصل العربى ٠

٣- المؤثرات الفارسية ٠

٤- المؤثرات اليونانية الرومانية ٠

الأصل الإسلامى :

الإسلام عقائد وأعمال :

فالعقائد: ١- تنظيم الإيمان بإله واحد هو رب العالمين ٠

٢- والإيمان بالبعث بعد الموت ٠

٣- والإيمان بالثواب والعقاب فى الدار الآخرة ٠

والأعمال : *تنقسم إلى عدة أنواع* :

الأول : أعمال تنزل منزلة العقائد وهى الصلاة والزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ٠

الثانى : أعمال تتصل بالأخلاق وهى التحلى بمكارم الأخلاق وآداب اللياقة، والوفاء بالعهد ، والصبر فى الشدائد والعدل ، وعفة النفس ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ٠

الثالث : أعمال عبارة عن تطبيق ما جاء به الشرع خاصة بالأسرة أو المعاملات التى تجرى بين الناس ، والجنايات التى تقع فى المجتمع وشئون السلم والحرب ٠

وللإسلام أثر بالغ فى الحياة العقلية للمسلمين ، وبفضله نشأت بين المسلمين من عرب وغير عرب وحدة فكرية رائعة ، ومن علاماتها علوم التفسير والحديث والفقه ، والسير والمغازى أو علم التاريخ ، والإسلام عامة يحث على التدبر والتفكير فى الكون الذى نعيش فيه ، وفى ظواهره المختلفة ، فأدى ذلك إلى الاشتغال بالعلوم الكونية على اختلافها ، وهى الجغرافيا والكيمياء والفيزياء ، والفلك والطب ، والإسلام هو الذى انطبعت حياة المسلمين بطابعه ، سواء فى ذلك نظمهم العامة ، السياسية والإدارية والمالية ، وأحوالهم الاجتماعية ، وكذلك فنونهم وآدابهم ٠

والدين أساس الحضارة ، وإذا تعمقنا فى منشأ الفلسفة والعلوم والفنون ، وكل فرع من فروع المعرفة الإنسانية وجدنا أن تقدمها وتطورها ونضوجها كان ذلك كله متأثرا فى كل عصر من العصور بالعقيدة الدينية[١٤] ٠

والدين أحكم مرشد وأهدى قائد للإنسان إلى الحضارة والمدنية القائمة على المعارف الحقه والأخلاق الفاضلة ، وهو أقوى دافع للأمم إلى التسابق لغايات المدنية ، وأمضى الأسباب بها إلى طلب العلوم والفنون والآداب ٠

والإسلام دين يتجاوب مع أرفع الأنظمة وأفضل التقاليد ، ويعمل لخير الإنسانية كافة ، ووسعت رحابه الملل والنحل المتباينة ، فعاشت تحت ظله فى أمن وهدوء وسكينه ، والإسلام يعمل على علاج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية

والسياسية فى العالم ، إذ أنه نظام مؤسس على قواعد اجتماعية وعمرانية لا نظير لها ، وهو دين كل عصر وكل مكان •

والإسلام يتفق مع التطور الإنسانى والتقدم البشرى ، ولا يتعارض مع العقل أو المنطق أو مقتضيات الحياة •

٢-الحضارة العربية :

يأتى بعد الدين الإسلامى ، ينبوع ثان من الينابيع التى أسهمت فى الحضارة الإسلامية ، وذلك هو حضارة العرب ، وإن كان بطبيعة الحال أقل شأن من الينبوع الأول ، إلا أنه كان ذا أثر واضح فى تلك الحضارة •

والعرب يقصد بهم سكان الجزيرة العربية داخلها وأطرافها ، وهم العنصر الفعال فى الدولة الإسلامية ، وخاصة فى صدر الإسلام ، وكان لهم ثقافة انفردوا بها، ومثال لذلك أن حرصهم على أنسابهم أدى إلى قيام على الأنساب ، لمعرفة أنساب القبائل والأفراد ، وظهرت فى الأنساب كتب لابن الكلبى ، وابن حزم وغيرهما[١٥] •

وللعرب فى الجاهلية والإسلام العديد من الشعراء الذين حملوا لواء الشعر العربى ، وهذا الشعر هو ديوان أخبار العرب وسجل أحداثهم ، وكنز لغتهم وبلاغتهم، وللعرب تراث وفير من الأمثال والحكم ، سجلت فى كتب أهمها كتاب الأمثال للميدانى[١٦] •

وأسهم العرب فى بناء الحضارة الإسلامية بالآداب والعادات التى اتصفوا بها من حيث الشجاعة ، والعفة ، وحفظ الجوار ، والكرم ، واحترام المرأة والولع



بالشعر ، وفصاحة اللسان ، وشاعت هذه الصفات الحميدة فى المجتمع الإسلامى(١٧)

وكان للعرب حضارات قديمة فى أطراف الجزيرة العربية ففى :

- الشرق كانت الكلدانيين والأشوريين .
- وفى الشمال وجدت حضارة الآرميين والكنعانيين والأنباط .
- وفى الجنوب وجدت حضارة معين وسبأ وحمير .
- وفى الغرب قامت مدن متقدمة مثل الثموديين والمكيين وغيرهما(١٨) .

٣-الحضارة الفارسية والهندية :

وتمثل الينبوع الثالث الذى أثر فى الحضارة العربية الإسلامية فى حضارة بعض الأمم الأسيوية المتحضرة التى دخلت فى الإسلام ، ولا سيما الفرس والهنود المسلمين .

والفرس أمة ذات حضارة قديمة ازدهرت خلال عصر الدولة الساسانية التى نبغت فى فنون السياسة والإدارة والحروب ، ومظاهر الترف والرفاهية ، وكان لها دين رسمى هو الزرادشتى ولغة خاصة هى الفهلوية(١٩) .

ولما دخل الفرس فى الإسلام أقبلوا على دراسة مبادئه وعلومه ، وتعلموا اللغة العربية حتى ساهموا فى الحركة العلمية والتأليف فى مختلف العلوم ، ولذا أفادوا الحضارة الإسلامية فوائد جمة ، فنحن نجد الكثير من الألفاظ الفارسية نقلت بذاتها إلى اللغة العربية(٢٠) .



كما انتقل فن الغناء إلى الحضارة الإسلامية من الفرس ونبغ الكثير من الفرس في الشعر، مثل إسماعيل بن يسار وأبي نواس، وابن المقفع وغيرهم.

وخلال العصر العباسي زادت حركة تأليف الفرس الموالي في مختلف العلوم الإسلامية وانتقلت إلى الحضارة العربية الإسلامية عن طريق هذه الحركة بعض العلوم عن الهنود وغيرهم من الشعوب الأسيوية المتحضرة[٢١].

٤- الحضارة اليونانية الرومانية:

أما الينبوع الرابع للحضارة الاسلامية فهو الحضارة اليونانية التي كان لها أثرها على الحضارة الإسلامية. فاليونان أمة عريقة في الفلسفة والعلوم والفنون والآداب، حيث نبغ منهم سقراط وأفلاطون وأرسطو، ونقل السريان في الشام والعراق إلى لغتهم السريانية الكثير من المؤلفات اليونانية قبل الإسلام، مثل الفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء والفلك والجغرافيا، وعلقوا عليها وشرحوها.

تم إنشاء المدارس لتعليم الطلاب هذه العلوم في الحواضر الكبرى، منها انطاكيه وقيصرية ونصيبين والرها، كما قامت بالإسكندرية مدرسة لتعليم الطب.

وخلال العصر العباسي عهد الخلفاء العباسيون ولا سيما الخليفة المأمون إلى طائفة السريان نقل الكتب اليونانية في العلوم المذكورة إلى اللغة العربية، فنقلوا الكثير منها إلى العربية عن السريانية، وبعضها عن اليونانية رأسا وبذلك انتقلت الثقافة اليونانية إلى المسلمين[٢٢].

وهكذا رأينا أن الحضارة العربية الإسلامية لم تظهر من عدم ، وإنما سبقتها حضارات هي مصادرها ، فالحضارة القائمة بوجه عام تكون خلاصة أو انتقاء لما في الحضارات السابقة ٠

خصائص الحضارة الإسلامية :

١. تميزت بالرقى والتقدم والعدالة الاجتماعية التى استمدت من القرآن والسنة والأخذ بالوسائل التى تؤدى إلى النهوض بالبشر ٠
٢. شمولها – حيث علا شأنها بالإسلام ، وازدهار الثقافة العربية وتقدم العمران الذى تجلى فى المنشآت المدنية والدينية ٠
٣. الحضارة الإسلامية حضارة عامة ٠ فلم يكن انتشار الإسلام مقصورا على الدولة العربية ، بل امتد وتجاوزت الحدود إلى الصين والهند ٠
٤. الحضارة الإسلامية حضارة عامة فلم تقتصر على عصر معين ، ولم يكن من أهدافها القضاء على الحضارات السابقة بل تفاعلت معها فشملتها، وأبقت على أفضل جوانبها ، فاستوعبت حضارتى الفرس والروم السابقتين[٢٣] ٠
٥. أنها حضارة إيمانية ، انبثقت من العقيدة الإسلامية ٠ فاستوعبت مضامينها وتشربت مبادئها واصطبغت بصبغتها ، فهى حضارة توحيدية انطلقت من الإيمان بالله الواحد القهار ٠ فكان الدين الحنيف من أقوى الدوافع إلى قيامها وإبداعها وازدهارها ٠
٦. أنها حضارة معطاء ، أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الإنسانية التى عرفتها شعوب العالم القديم ، وأعطت عطاء زاخر بالعلم والمعرفة ٠ وكان

عطاؤها لفائدة الإنسانية جمعاء ، حيث لم تفرق بين أصحاب الديانات المختلفة

٧. أنها حضارة متوازنة ، وازنت بين الجانب الروحى وبين الجانب المادى فى اعتدال هو طابع من طوابع الفكر الإسلامى وميزه من مزايا الحضارة الإسلامية، فى كل العصور، فلا تفريط ولا إفراط ، ولا غلو بغير حق ، ولا اندفاع فى تهور .

٨. أنها حضارة إنسانية المنزع عالمية فى آفاقها وامتداداتها لا ترتبط بإقليم جغرافى، ولا بجنس بشرى ولا بمرحلة تاريخية ، ولكنها تحتوى جميع الشعوب والأمم ، وتصل اثارها إلى مختلف البقاع ، فهى حضارة يستظل بظلالها البشر جميعا ، وتصل آثارها إلى كل من يصل إليه عطاؤها ، فالحضارة الإسلامية قامت على أساس أن الإنسان أهم مخلوقات الله ، وأن جميع الأنشطة البشرية لابد وأن تؤدى إلى سعادته ورفاهيته ، وأن كل عمل يقصد به تحقيق هذه الغاية.

٩. الحضارة الإسلامية حضارة دائمة ، حيث دوامها واستمرارها من مبادئ الدين الحنيف ، لأنها نابعة منها ، ولصيقة بها [٢٤].

مصادر ومراجع الفصل الأول

١. الحضـــارة : بكسر الحاء وفتحها ، مشتقة من الفعل حضر ، وحضر لغة ضد غـاب، ومنـه الحضـر والحاضـرة ، والحضـرة والحضـارة بمعنـى المـدن والقـرى والريف ، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التى يكون لها بها قرار أى سكن وإقامة ، وعليه كانت الحضارة لغة تعنى الإقامة فى الحضر، خلافا للبادية ، ابن منظور: لسان العرب مادة حضر .

٢. حســـن مـــؤنس : الحضارة دراسة فى أصول وعوامل قيامها وتطورها ، عالم المعرفة (٢٣٧) ، الكويت ، ١٩٩٨ ، ص١٥ .

٣. المعجم الوسيط : مادة حضر ، أحمد حمدى محمود : الحضارة ، ص٦ .

٤. ول ديورانت : قصة الحضارة ، جـ١ ص٣ .

٥. محى الدين صابر : التغير الحضارى وتنمية المجتمع ، ص٤١ .

٦. سعيد عاشور : مذكرات فى مادة الحضارة العربية الإسلامية ، ص١ .

٧. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ١١ .

٨. سورة يوسف : آية ٢ .

٩. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٢٣ .

١٠. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٢٣ .

١١. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ١١ .

١٢. محمد ضيف الله : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٢٣ .

١٣. إبراهيم العدوى : الوطن العربى وحضارته فى العصر الإسلامى ، ص١٩٠ ·
إبراهيم سلمان الكروى : المرجع فى الحضارة العربية الإسلامية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص١٦ ·

١٤. على حسنى الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص ٥٠-٥٣ ·

١٥. على حسنى الخربوطلى : العرب والحضارة ص٤٠ ·

١٦. إبراهيم العدوى : تاريخ الوطن العربى وحضارته ، ص١٩٠ ·

١٧. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٣ ، ١٤ ، الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٨

١٨. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ،ص١٥ ، إبراهيم سلمان الكروى : المرجع فى الحضارة ، ص١٨

١٩. إبراهيم سلمان الكروى : المرجع فى الحضارة ، ص١٧ ·

٢٠. جمال الدين الفندى : تراث المسلمين فى ميدان العلوم ، ص٢٤٦ ·

٢١. إبراهيم سلمان الكروى : المرجع : ص ١٨ ·

٢٢. جمال الدين الفندى : تراث المسلمين فى ميدان العلوم ، ص ٢٤٦ ·

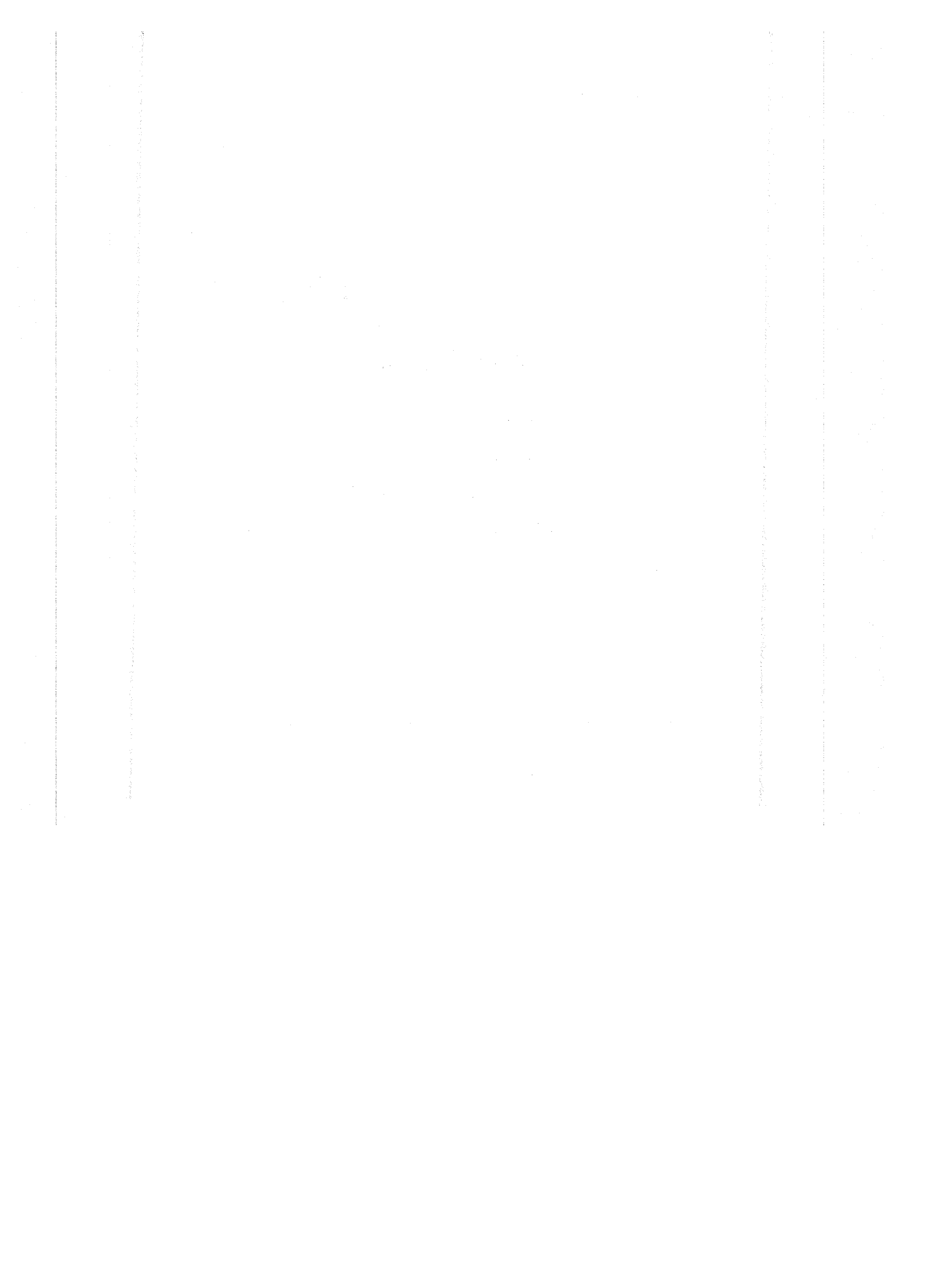
٢٣. إبراهيم العدوى : تاريخ الوطن العربى وحضارته ، ص ١٩٦ ·

٢٤. علي حسني الخربوطلي : العرب والحضارة ، ص ٤٢

الفصل الثاني .

النظم السياسية

- الوزارة
- ولاة الأقاليم .
- ولاية العهد الكتابة .
- الحسبة .
- الدواوين
- . مجلس الشورى .
- الحجابة .
- القضاء .
- الشرطة .



الفصل الثانى

النظم السياسية

النظام السياسى هو مجموعة من القواعد والأجهزة المتناسقة ، والمترابطة فيما بينها التى تبين نظام الحكم ، ووسائل ممارسة السلطة . وأهدافها وطبيعتها ، ومركز الفرد منها وضماناته قبلها ، كما تحدد عناصر القوى المختلفة التى تسيطر على الجماعة وكيفية تعاملها مع بعضها ، والدور الذى تقوم به كل منها ٠

الخلافة :

ثلاثة وعشرون عاما مجيدة قاد الرسول ﷺ الأمة الإسلامية هذه السنوات غيرت مجرى التاريخ ، وكان لها تأثيرها المباشر بمنطقة شبه الجزيرة العربية حيث انصهر شعبها فى قالب واحد ومكنته هذه الوحدة ، وفى ظلها من أن يطل على العالم الخارجى بهدف نشر تعاليم الإسلام بين كافة الناس ٠

وفى نهاية هذه الأعوام تعرض المجتمع العربى الإسلامى لهزة عنيفة بوفاة الرسول ﷺ القائد الذى كان موفقا فى كل خطواته ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[1] ، كادت هذه الهزة أن تنتهى بنكسة خطيرة ، ويتضح أثرها فى موقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى رفع سيفه مهددا كل من يجرؤ على ترديد قول النعى[2] .

ولكن رد الناس إلى صوابهم قول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من كان يعبد محمد فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، وتلى قوله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[٣] .

وكانت المشكلة هى مشكلة القيادة ومحاولة ملء الفراغ الذى نتج عن وفاة الرسول ﷺ فى الإشراف على شئون الأمة[٤] وشئون الأمة فى هذا الحال دين وشعب ودولة .

بالنسبة للدين فقد اكتملت أركانه :

﴿ ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى... ﴾[٥] .

- والشعب فقد نعم بالعدالة والوحدة والتماسك منذ ارتضى الإسلام دينا .
- أما الدولة فقد شملت شبة الجويرة العربية وأطلت على قوة خارجية معادية ولذا فلابد لهذه الدولة من يحتفظ لها بسيادتها ولهذا تأكدت الحاجة إلى الخلافة وبدأ التفكير فى اختيار الخليفة .

لم يبلغ الرسول ﷺ نصا فى القرآن الكريم يحدد قاعدة اختيار من يخلفه ، ولم يرشد الرسول ﷺ فى حديث من أحاديثه الكثيرة من يتولى القيادة من بعده ، بالعين أو الوصف ، ولذا رجع المسلمون إلى العرف العربى القديم .

والخلافة أو الإمامة من أهم أنظمة الدولة الإسلامية التى صاغها المسلمون فى فترة دقيقة من فترات حياتهم ، كما أنها تمثل العمود الفقرى للتفكير السياسى الإسلامى ، وتعد فى الواقع أعظم ما توصل إليه المسلمون فيما يتعلق بسياسة الأمة وحكم المسلمين على الرغم من الخلاف الذى نشب بينهم حول الخلافة .

وبدأت الخطوات الأولى فى اختيار خليفة رسول الله ﷺ ، ونشأ فى سقيفة بنى ساعده - إحدى العشائر بالمدينة - حيث كان اجتماع المسلمين فى مؤتمرهم العام الأول بداية عملية لظهور الفكر السياسى الإسلامى ولقد عقد هذا المؤتمر رجال من الأنصار الذين رأوا ضرورة ملحة فى مناقشة قضية الحكم والسياسة للوصول فيها إلى حل حاسم وسريع واجتماع السقيفة يعد من أهم اللقاءات السياسية التى جمعت المهاجرين والأنصار وخاصة شيوخهم المجربين ، ومن بينهم أبو بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، واللذان استطاعا أن يمسكا بزمام الأمر وأن يحسما الأمر بالتوصل سلميا إلى إقناع الأمة ممثلة فى عدد لها من المهاجرين والأنصار باختيار الصديق ﷺ خليفة لرسول الله ﷺ فى حكم المسلمين[٦] .

هذا ولما كان الأنصار قد رشحوا للخلافة سعد بن عبادة سيد الخزرج ، فأسرع إليهم أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة ابن الجراح وحصل بين الفريقين حوار وجدل ، وكان مما احتج به المهاجرون الآتي :-

١- أن النبى ﷺ أوصى بكم خيرا ، ولو كانت الإمامة فيكم لم تكن الوصاة بكم

٢- وأنه ﷺ قال : " الأئمة من قريش " .

٣- وأنه ﷺ قد رضى أبا بكر لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ، فإن النبى ﷺ لما اشتد عليه المرض قال : " مروا أبا بكر فليصل بالناس "[٧] .

وقيل فى استخلاف أبى بكر ﷺ أنه تم بطريقة الانتخاب الاستشارية وأن استخلاف عمر ﷺ كان بطريقة العهد إليه من أبى بكر ، وكان استخلاف

عثمان ﷺ تم بطريقة الاختيار والشورى ، وقيل فى استخلاف على بن أبى طالب ﷺ أنه انتخاب عارضه فريق كبير من الأمة ، وهو اختيار لم يتم ، كما نرى وفق منهج واحد أو حسب طريقة واحدة منتظمة[٨] .

جاء اختيار الصديق ﷺ تأكيدا صريحا على أن الحكم الإسلامى ليس حكما وراثيا ، وإنما الفيصل فى هذا هو العلم بأمور الدين والقدرة على تحمل أعباء السياسة وحكم الرعية بما يضمن إقامة حدود الله تحقيقا للعدالة التى جاء بها القرآن الكريم[٩] .

والخلافة نظام إسلامى لم يوجد عند غير المسلمين ، فالخليفة ينظر فى مصالح الناس الدنيوية والأخروية طبقا لأحوال الشريعة الإسلامية[١٠] .

ولذلك نجد أن الشروط التى رأى الفقهاء ضرورة توافرها فيمن يلى هذا المنصب هى :

١- الحرية .
٢- الإسلام .
٣- الرجولة .
٤- العدالة .
٥- سلامة الحواس .
٦- العلم ، المؤدى إلى الجهاد .
٧- الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة - الدولة - وجهاد العدو .
٨- النسب القرشى .
٩- سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة .
١٠- الرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح[١١] .

ومن مهام الخلفاء الآتى :-

- الاهتمام بمصالح الإسلام والمسلمين .
- عمارة الثغور .
- النظر فى أمور الرعية .
- رفع المظالم وقمع الظالمين ، وإعانة الملهوف .
- اصطناع المعروف - جبر الكسير ، إطلاق الأسير .
- يستمر عن ساق اجتهاده فى حماية بيضة - دولة - الإسلام .
- إقامة حدود الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ[١٢] .

ومن مهام الخليفة النظر فى الإيرادات والمصروفات ، والإشراف على جميع شئون البلاد ، بمعاونة رجال الدولة ، وأيضا الإشراف على دور السكة [١٣] وكذلك دور الطراز ، ودور الصناعة ، وغيرها من المؤسسات التى تعمل بمصالح الأمة عامة وكان الخليفة يخرج فى المواكب العامة مثل الاحتفالات الدينية والقومية، وتوديع الجيوش واستقبال السفارات الخاصة للدول الخارجية وغير ذلك .

ظلت الخلافة:

انتخابية شورية زمن الراشدين ثم انقلبت إلى ملكية مطلقة على يد معاوية ، وكانت مبايعة الخليفة زمن الراشدين تتسم بالبساطة ، حيث تتم مبايعة أهل الحل والعقد ، وهم أهل المدينة فى ذلك الوقت ، وكان الانتخاب مصافحة بالأيدى ولذا سميت بالبيعة[١٤] .

وجرت العادة فى الدولتين الأموية والعباسية على أنه متى بويع الخليفة انتقل إلى دار الخلافة فى موكب حافل ثم يرد عليه وفد المهنئين من البلاد(١٥) ٠

وخلال الدولة العباسية حدث أنه إذا تمت البيعة اختار الخليفة لنفسه لقبا من الألقاب التى اختلفت عن الألقاب السابقة ، مثل لقب الرشيد ، الأمين ، المأمون، المعتصم بالله ، الواثق ، المستعين ، المستعصم وهكذا ، وكانت الألقاب السابقة تحوى فى معناها التواضع مثل "عبد الله ووليه" ٠

وكان الخليفة فى بادئ الأمر يشرف على جميع شئون الدولة بنفسه وإن استشار بعض المقربين إليه ، ولكن مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية لم يستطع الخلفاء الإشراف المباشر بأنفسهم على شئون البلاد ، فكانوا يختارون من يساعدهم فى تصريف شئون البلاد وخاصة الإدارية منها ، وذلك من كبار موظفيهم الذين أطلق عليهم لفظ الكاتب(١٦) ٠

شارات الخلافة ورسومها :

جرت الخلافة فى بادئ الأمر على البساطة والتواضع ، وترك مظاهر الترف والأبهة واستمر هذا الوضع خلال عصر الخلفاء الراشدين ٠

وعندما قامت الدولة الأموية ونقل مقر العاصمة الإسلامية من المدينة إلى دمشق ببلاد الشام ، بدأت مظاهر الأبهة تظهر وذلك بتأثر من حضارة الروم ، وأول من أظهر ذلك معاوية الذى جعل ذلك لإرهاب العدو وإشعاره بتفوق الحضارة الإسلامية ومسايرتها للحضارات المعاصرة ٠



وأهم تلك الرسوم الآتي :

١- الصلاة فى المقصورة الخاصة ، ذكر اسمه فى الخطبة ، والدعاء له على المنابر

٢- الجلوس على سرير الخلافة فى المواكب ، وبدأ ذلك خلال عهد معاوية حيث استأذن الناس فيه وقال لهم أنى قد بدنت فأذنوا له فاتخذه واتبعه الخلفاء المسلمين فيه .

٣- ضرب السكة من الدنانير والدراهم ونقش اسم الخليفة عليها (١٧) .

٤- ومن شارات الخلافة " الخاتم " وقد استخدم من عهد الرسول ﷺ حيث كان له خاتم من فضه نقش عليه (محمد رسول الله) فى ثلاثة أسطر واستعمله أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، وسقط من يد عثمان فى بئر أريس وصنع آخر مثله (١٨) .

٥- نقش اسم الخليفة على الطراز ، من ملابس وكسوة وغيرها (١٨) .

علامات وشارات الخلافة :

البردة - الخاتم - القضيب - الخطبة - السكة - الطراز .

١ - **البردة :** هى بردة الرسول ﷺ التى كان يرتديها إلى أن أعطاها للشاعر كعب ابن زهير بن أبى سلمى ، الذى كان قد أعلن توبته وندمه على هجاء الرسول ﷺ ثم مدح الرسول بقصيدته المشهورة ، وتداول أهل كعب البردة حتى اشتراها منهم معاوية بن أبى سفيان بأربعين ألف درهم وتوارثها الأمويون والعباسيون وتبركوا بارتدائها فى المواكب والمناسبات إظهارا لمكانتهم من أسرة النبى ﷺ (١٩) .



٢- **الخاتم** : صنع الرسول ﷺ خاتما حينما بعث خطابه المشهور إلى كسرى فارس، وكان الأكاسرة لا يقبلون كتبا بدون أختام ، فصنع الرسول ﷺ خاتمه من فضة ونقش عليه "محمد رسول الله" فى ثلاثة أسطر وانتقل الخاتم إلى أبى بكر ثم إلى عمر ثم إلى عثمان ، ولكن الخاتم سقط من يد عثمان فى بئر أريس، فاصطنع عثمان خاتما مثله ، وحرص كل خليفة على اصطناع خاتم ، يختمون به كتبهم بالطين أو المداد أو الشمع . وكان معاوية أول من انشأ ديوان الخاتم[٢٠] .

٣- **القضيب** : وهو ثالث شارات الخلافة . فإذا تولى الخليفة جاءوا إليه بالقضيب والبردة والخاتم ، وكان القضيب عبارة عن عود كان النبى ﷺ يأخذه بيده . واتخذه الخلفاء الأمويون ومن بعدهم الخلفاء العباسيون الذين كانوا يظهرون به فى المناسبات[٢١] .

٤- **الخطبة** : هى الدعاء للخلفاء على المنابر فى الصلاة . وأصلها أن الخلفاء كانوا يتولون إمامة الصلاة بأنفسهم فكانوا يختمون فروض الصلاة بالدعاء للرسول ﷺ ، والرضى عن الصحابة ، فلما فتحوا البلاد وبعثوا إليها العمال صار الولاة يتولون إمامه الصلاة فى ولاياتهم ، فكانوا إذا صلوا وختموا الصلاة يقومون بالدعاء للخلفاء[٢٢] .

٥- **السكة** : ومن شارات الخلافة نقش اسم الخليفة على السكة ، أى العملة ، بطابع من حديد[٢٣] .

٦- **الطــراز** : حـرص الخلفـاء الأمويـون ثـم العباسـيون علـى رسـم أسمـائهم أو علامـات مميـزة على أثـوابهم وعلى ثيـاب كبـار الموظفين فـى الدولـة والجنـود ، وعرفت هذه العلامات خلال العصرين الأيوبى والمملوكى باسم الرنوك(٢٤) .

مجلس الشورى:

الشورى فى حياة الناس حاجة معلومة وسنة متبعة ، ثم جاء الإسلام فأعلى مكانتها وأكد أهميتها ، وحض القرآن الكريم عليها ، قال تعالى:

﴿ .... وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ .... ﴾ (٢٥)

وقال تعالى : ﴿ ...فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ... ﴾(٢٦)

كما حض الرسولﷺ على الشورى والأخذ بها وكان كثير الشورى لأصحابه .

وسار الخلفاء الراشدين من بعد الرسولﷺ فى هذا الاتجاه ، فقد استشار أبو بكرﷺ أصحاب الرسولﷺ فى أمور عدة لم يتضح فيها حكم من الكتاب أو السنة، ومثال لذلك فى ميراث الجدة حينما جاءته تطلب ميراثها فقال : لا أجد لك فى كتاب الله شيئا ، وما علمت أن الرسولﷺ ذكر لك شيئا ، ثم سأل أهل الرأى والفقه من المهاجرين والأنصار ، وكان ممن ذكر من أهل شوراه عمر بن الخطابﷺ وعبد الرحمن بن عوف ﷺ وعلى بن أبى طالبﷺ وعثمان بن عفانﷺ واسيد بن حضير وطلحة بن عبيد الله ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وسعيد بن الزبير بن العوام ، والمغيره بن شعبة وغيرهم(٢٧) ، وقام المغيره بن شعبة وقال : سمعت رسول اللهﷺ يعطيها السدس ، فقال هل معك أحد ، فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها(٢٨) .

واستشار الصحابة حينما عزم على أن يعهد بالخلافة إلى عمر، أما إذا كان هناك حكم من الكتاب أو السنة فلم يكن أبو بكر يلتفت إلى مشورة أحد من الناس على نحو ما جرى منه فى موقفه من مانعى الزكاة لما وجدهم يفرقون بين الصلاة والزكاة(٢٩) .

وفى خلافة عمر بن الخطاب اتسعت رقعة الدولة ، وكثرت المعضلات وزادت مصالح الناس تعقيدا ، فكثرت لذلك الشورى فى عهد عمر فقد استشار فى حد شارب الخمر وجعله ثمانين جلده ، بعد أن رأى على بن أبى طالب ذلك ووافقه الصحابة على رأيه(٣٠) .

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات ، استشار عمر فيما يفعله فى الأراضى التى أفاء الله على المسلمين من أرض العراق والشام فى اتخاذ الديوان وفرض العطاء للجند والناس وكان من رأى بعض الصحابة أن تقسم هذه الأرض بين الغانمين بعد رفع الخمس وكان رأى عمر وبعض الصحابة أن تبقى بيد أهلها وأن يوضع عليها الخراج لينفق منه على مصالح المسلمين عامة فى كل جيل وزمان ، وبعد نقاش وجدل ومشاورات وافق المسلمون على رأى عمر (٣١) .

ولم يخرج عثمان بن عفان فى الشورى عن طريق سلفيه ، فقد استشار فى حدث من أهم الأحداث فى الإسلام ، وهو جمع القرآن الكريم فقد قدر خطر ما سيقدم عليه فلم يشأ أن ينفرد برأى فجمع المهاجرين والأنصار وشاورهم فى الأمر، واستقر الرأى على كتابة المصحف وكان لمروان بن الحكم دور كبير فى خلافته فى تصريف الأمور(٣٢) .

وكان على بن أبى طالب ﷺ يستشير أصحابه ويستمع أحيانا إلى رأى أنصاره فى تدبير الأمور ومكايدة الخارجين عليه ، فقد أخذ برأى الأغلبية فى التحكيم .

وعندما آلت الخلافة إلى بنى أميه لم يكن معاوية بن أبى سفيان ممن يجهل فوائد الشورى فيهمل الأخذ بها ، وما كان يصدر المهمات إلا عن شورة فقد كان يشاور ذوى الرأى من الولاة ووجوه الناس وأشراف القوم وأهل العلم فى الكثير من الأمور ، وكان ذلك سنة من جاء بعده من الخلفاء من بنى أميه ، فكان الأحنف بن قيس زعيم تميم مستشارا لمعاوية ، وأيضا كان يستشير المغيره بن شعبة وعمرو بن العاص والوفود التى كانت تأتيه(٣٣) .

وكان روح بن زنباع وهو فقيه وأحد الذين تولوا شئون فلسطين مستشارا لعبد الملك بن مروان(٣٤) .

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه اتخذ فى أثناء ولايته على المدينة مجلسا مؤلفا من عشرة من فقهاء المدينة ليعينوه على الحق ، وجعل ألا يقطع أمرا إلا برأيهم أو برأى من حضر منهم ، وهم عروة بن الزبير ، عبيد الله بن عتبة ، أبو بكر بن عبد الرحمن ، أبو بكر بن سليمان بن أبى خثيمة ، سليمان بن يسار ، القاسم بن محمد ، سالم بن عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عبد الله بن عمرو ، عبد الله ابن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، خارجه بن زيد (٣٥)، وكان الخلفاء من بنى أمية يرجعون فى شورى استخلاف السلطان ورد الطامعين به إلى الجماعة الأموية غالبا .



ومن هنا يمكن القول بوجود نوعين من الشورى في العصر الأموى أولهما شورى تتعلق بالأمور والمصالح العامة ، وكان الخلفاء من بنى أميه يرجعون فيها إلى ذوى الرأى من أشراف القوم والولاة وغيرهم وثانيهما شورى تتعلق بالسلطان خاصة وكان الخلفاء من بنى أمية يفزعون فيها إلى آل بيتهم ويقضون فيها بينهم[٣٦].

ولما آلت الخلافة إلى العباسيين واستقرت فيهم ما يقرب من ثمانية قرون أخذت بطانة الخليفة تظهر بوضوح من حيث العناصر التى تتألف منها والدور الذى تمارسه فى أمور الدولة ، فمن جهة كان بنو هاشم . عباسيين وعلويين وموالى العباسيين وشيعتهم والوزراء والقادة العسكريون والكتاب والقضاة والفقهاء يشكلون بطانة الخليفة ، وصار هؤلاء فى الغالب أهل الحل والعقد ، ومن جهة أخرى كانت هذه البطانة الجهة التى يرجع إليها الخليفة فى تصريف أمور الدولة ، وسياسة الرعية وحفظ الأمن والنظام وضبط الأمور ، ومراقبة الأموال فى الإيرادات والمصروفات واستخلاف القائمين بأمر الخلافة ، ومثال لذلك ، لما أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يبايع لابنه المهدى كلم الجند فى ذلك ولما تتابعت الأحداث عليه وثار محمد النفس الذكية العلوى عليه أحضر القواد وأهل بيته واستشارهم فى ذلك[٣٧] ، ولما أراد موسى الهادى أن يخلع هارون الرشيد ويبايع لابنه جعفر تابعة على ذلك القواد ، ودسوا إلى الشيعة - الشيعة العباسية - فنكلوا فى أمره وتنقصوه فى مجلس (لجماعة) وكما بايع المتوكل لأولاده كتب كتابا وأشهد عليه أهل بيته وشيعته وقواده وقضاته وفقهائه[٣٨] واجتمع فى البيعة لجعفر المتوكل القادة

والقضاة إضافة إلى الوزير وعندما خلع المستعين وبويع للمعتز شهد على البيعة بنو هاشم والقضاة والفقهاء والقواد ، ولما ثقل المكتفى فى علته فكر العباس بن الحسن وهو الوزير فيمن يقلده الخلافة ، وكان يركب إلى دار السلطان ويسايره واحد من الأربعة الذين يتولون الدوارية وهم محمد بن داود بن الجراح ومحمد بن عبدون وأبو الحسن بن الفرات وعلى بن عيسى(٣٩) .

ثم ما لبث أن رجحت كفة العسكريين من بين بطانة الخليفة ، واندفعت هذه الفئة بدافع المنافسة مع العناصر الأخرى فى بطانة الخليفة من جهة وبدافع الخوف من تحركات الخليفة ومحاولات فى المحافظة على توازن بينه وبين هذه البطانة يكون فى صالحه ، واندفعت تعمل على تشديد قبضتها على أمور الدولة والدفاع عن مصالحها وامتيازاتها ، وصارت منذ القرن الثالث الهجري تستبد غالبا بمؤسسات الدولة ابتداء بالخليفة الذى صار خلعه وتعيينه فى كثير من المرات مرهونا بإرادتهم ، واستبدت فترات بالأمور فى الدولة ، وكانت سلطة الخليفة فى هذه الظروف لا تتعدى بغداد ، فعلى سبيل المثال أن الخليفة الراضى بالله قال : "كأنى بالناس يقولون أرضى هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركى ، حتى يتحكم فى المال وينفرد بالتدبير ، ولا يدرون أن هذا الأمر أفسد قبلى أو أدخلنى فيه قوم بغير شهوتى"(٤٠) .

ولما توفى الخليفة الراضى كان أمير الأمراء بجكم فى واسط فأرسل بجكم كاتبه ليشرف على اختيار الخليفة الجديد ، فعقد مجلسا برئاسة الوزير حضره كل وزير وكاتب وحضره الأشراف العلويون والعباسيون والقضاة والوجوه ليكون

الانتخاب فى شكله الكامل وجعل كل اثنين منهم يصونان معا ولكنهم كانوا يعرفون مرشح بجكم فانتخبوه وهو المنفى(٤١) وفوض الخليفة الطائع لله أمور الخلافة إلى عضد الدولة البويهى ، وصار البويهيون يشاركون الخليفة كل شارات الخلافة ومميزاتها ، ولم يختلف الحال أيام السلاجقه عما كانت عليه الأمور فى عصر البويهيين ، رغم حسن معاملة السلاجقه للخلفاء ورغم محاولات بعض الخلفاء استعادة ما كان لهم من نفوذ(٤٢) .

وخلال العصر الفاطمى يمكن القول أن الخلفاء الفاطميين أصابهم مثلما أصاب العباسيين ، ووقعوا تحت سيطرة بطانتهم وبخاصة العسكريين منهم حيث وجهوا مؤسسات الدولة توجيها لم يكن للخليفة الفاطمى فيها أحيانا سوى الاسم(٤٣).

وخلاصة القول أن حكام المسلمين مارسوا الشورى فى تصريف أمور الدولة على اختلاف بينهم فى الأغراض ، ومع أن الحكام لم يسموا أشخاصا بعينهم يجعلونهم فى الشورى خاصة ، ولم يحصروا أنفسهم بفئة معينة يجعلونهم دون غيرهم موضع شوراهم ، مما لم يؤد إلى تطور مجلس الشورى فى الدولة الإسلامية إلى مجلس نواب دول القرن الحادى والعشرين ، ومع ذلك فإن مجلس الشورى الإسلامى إذا استثنينا جانب التشريع يكون قد مارس المهمة التى تمارسها المجالس النيابية المعاصرة .

الوزارة:

تمثل الوزارة في الحضارة الإسلامية قسما أساسيا من أقسام السلطة التنفيذية في الدولة ، وقد انتقلت نظم الفرس إلى الدولة الإسلامية خلال العصر العباسي فاتخذوا منها نظاما يساعدهم على تصريف جميع شئون الدولة حتى السياسية منها وهو نظام الوزارة[٤٤] .

وقد ورد لفظ الوزير في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾[٤٥] .

وكذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[٤٦]

وروى عن النبي ﷺ أحاديث يذكر فيها لفظ الوزير فعن الترمذي أنه كان للنبي ﷺ أربعة وزراء ، اثنان من أهل السماء واثنان من أهل الأرض هما أبو بكر وعمر[٤٧] .

وذكر الماوردي أنه روى عن النبي ﷺ أنه قال : "ما من رجل من المسلمين أعظم أجرا من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى "[٤٨] وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : "إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ، إن نسي لم يذكره ، وإن ذكر لن يعنه"[٤٩] .

وقد ورد أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال للأنصار فى اجتماع السقيفة " نحن الأمراء وأنتم الوزراء "(٥٠) .

أختلف فى أصل كلمة الوزارة فالبعض ذكر أن أصل الكلمة فهلوى مأخوذ من فيشيرا ومعناه الأمر والتقرير ، وقيل أن أصلها عربى وأختلف فى اشتقاقها حيث ذكرت على أنها مشتقة من ثلاثة أوجه هى :

١- أنها مأخوذة من الوزر : بمعنى الحمل الثقيل ، لأنه يحمل عن الملك أثقاله

٢- أو من الوزر : وهو الملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته لأن عليه مدرار السياسة وإليه تفوض الأمور ، وهى من قوله تعالى ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ ﴾ (٥١) أى لا ملجأ .

٣- أو من الأزر : وهو الظهر ، لأن الملك يتقوى بوزيره كقوة الجسم بالظهر(٥٢)

ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين فى بداية الأمر ، ولم يتحدد اختصاصه إلا بعد فترة من قيام الدولة العباسية ، حيث أن بساطة الإسلام وبساطة الدولة فى أول عهدها جعلت الحاجة إلى هذه الوظيفة معدومة(٥٣) فالرسول ﷺ كان يستعين ببعض من يحسن الكتابة ، ويخصص لكل فريق عملا يقوم به ، فعلى سبيل المثال كان على بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما يكتبان الوحى ، وكان خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه حوائجه وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن النميرى يكتبان ما بين الناس ، وعبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء ، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحى(٥٤) .



وبعد وفاة الرسول ﷺ كان أبو بكر يستعين بعمر بن الخطاب وبالصحابة حيث كان عمر يلى القضاء لأبى بكر ، وأبو عبيده على بيت المال ، ومن كتابه على بن أبى طالب ، وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان[٥٥] وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستعين بعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان وكان له خاصة من كبار أولى الرأى منهم العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله ، وكان لا يكاد يفارقه فى سفر وحضر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم[٥٦] ٠

واعتمد عثمان بن عفان رضي الله عنه فى أول خلافته على مشورة كبار الصحابة ثم مال إلى الاعتماد على أهله وعشيرته من بنى أمية ، واختص مروان بن الحكم ٠

وكذلك على بن أبى طالب كرم الله وجه فقد استعان فى أموره بالصحابة وكان الكتاب فى عهد الأمويين بمثابة الوزراء ، وقد كان عبد الحميد ابن يحى الكاتب كاتبا ووزير آل مروان بن محمد[٥٧] ٠

ولم يسم أى من معاونى الخليفة خلال عصر الراشدين أو العصر الأموى باسم الوزراء ، ولم يضف اسم وزير إلى أحد من معاونى الخليفة إضافة دائمة ولازمة ٠

أما فى العصر العباسى ظهرت الوزارة بالشكل المعروف ، كما كتب عنها فقهاء المسلمين ، وحدثوا عن أقسامها واختصاصاتها وأنواعها ، وبذلك يكون المنصب الذى كان معروفا لدى الأمويين بالكاتب أو الكتابة قد تطور إلى منصب الوزير والوزارة فى خلافة بنى العباس ٠

وفى ذلك يذكر بن خلدون : "فلما جاءت دولة بنى العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه عظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة من إنفاذ العقد والحل ،

وتعينت مرتبته فى الدولة ، فصار اسم الوزير جامعا لخطتى السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعاونة"(٥٨) .

وكان أول وزير فى دولة بنى العباس هو أبو سلمة الخلال ، وكان فصيح اللسان عالما بالأخبار والأشعار وتفسير القرآن ، حاضر الحجة كثير الخير ، اختير فى الكوفة سنة ١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م ، حيث سلمت إليه الرئاسة وسمى وزير آل محمد، وصار يدبر الأمور ويفرق المال ، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وترد عليه (٥٩) ولما ظهر ميله للعلويين انتهى الأمر بأن قتله أبو العباس السفاح .

ويبدو أن مكانة الوزير فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الوزارة فى عصر بنى العباس ، لم تختلف كثيرا عن مكانة الكاتب أواخر عهد بن أمية وذلك نظرا لهيبة الخلفاء مثل أبو جعفر المنصور الذى استبد بالأمور(٦٠) وإذا بلغنا عهد هارون الرشيد وجدنا الوزير احتل مكانة راسخة فى الحل والعقد ، فحينما استوزر هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكى ، وقال له : " يا أبة أنت أجلستنى هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى إليك ، فأحكم بما ترى واستعمل من شئت واعزل من رأيت ... فأنى غير ناظر معك فى شئ " وجعل إليه الدواوين كلها مع الوزارة سوى ديوان الخاتم ، وهكذا فوض هارون الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد البرمكى ، الذى استعان فى القيام بوزارته بولديه الفضل وجعفر(٦١) ، ودعى جعفر بن يحي بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة ....

وعرف الفاطميون أيضا الوزارة والوزراء ، ويذكر القلقشندى : الوزارة هى أرفع وظائفهم وأعلاها رتبة ، وأعلم أن الوزارة فى الدولة الفاطمية كانت تارة فى أرباب السيوف وتارة فى أرباب الأقلام ، وفى كلا الجانبين كانت الوزارة تارة تعلو فتكون وزارة تفويض . وتارة تنحط فتكون وزارة تنفيذ أو تكون غير ذلك فتكون ما عرف باسم الوساطة[٦١] .

أما الأمويون فى الأندلس فقد أنفوا أول الأمر اسم الوزير وقسموا المهمات التى يقوم بها عادة أصنافا ، وأفردوا لكل صنف وزيرا ، فوزير للمال ، ووزير للترسيل ، ووزير للنظر فى حوائج المتظلمين وهكذا . وجعلوا لهم بيتا يجلسون فيه يتداولون المهمات المفوضة إليهم . وكان يتردد بينهم وبين السلطان الأموى واحد منهم ارتفع مجلسه عن مجالسهم بما سره السلطان فى كل وقت أخصوه باسم الحاجب[٦٣] .

وقد راعى الخلفاء عند اختيار وزرائهم بعض الخصال التى تتوافر فيهم ، فيجب أن يختاره من البرية وينتخبه من الرعية ويختبر عقله ويعتبر دينه ونقله فإن وجد له طمعا فى مال الرعية وميلا إلى إصلاح حاله بفساد أحوالهم ويسئ التدبير فلا يركن إليه ولا يعتمد عليه .

ويجب أن يكون الوزير عنده تيقظ ودين وورع وعفه ورزانة وحلم ورأى أصيل وأن الرأى لا يصح إلا بثلاثة أشياء دراية بالأمور وبصيرة بالسياسة وفكرة فى العواقب . ويستحب أن يكون الوزير ناصحا مشفقا ومؤمنا مؤتمنا ومن الله خائفا فإذا كملت له هذه الخصال تقبل مشورته ويستمع قوله ولا يخالف أمره[٦٤] .



ويجب أن يكون الوزير مقدما فى صناعته ، حاذقا بالحساب ، خبير بآداب الرياسة وقواعد الملك وآداب السلاطين ، عارفا بأحوال الرعية والأعمال ضباطا للأموال ، حسن الخط ، وأن يتميز بالذكاء والفطنة والتيقظ والحزم والحلم ، والوقار ، والأمانة ، والصدق والشهامة والعفة ، وأن يكون عزيز النفس كبير الهمة(٦٥) .

وهذه الخصال المحمودة لم تجتمع لأحد من الوزراء وكان التفاوت فيها واضحا بين وزير ووزير ، وهناك من وصف بأنه لا علم عنده ولا معرفة ، وكان ردئ السيرة جهولا بالأمور ، إضافة إلى من اشترى منصب الوزارة بالمال مثل ابن مقله وزير الخليفة العباسي الراضي بالله(٦٦) .

أنواع الوزارة :

تنقسم الوزارة إلى نوعين :

الأول : وزارة التفويض وهى أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده ، ولا يستشير الوزير فيها الخليفة ، أى أن الخليفة لا يملك ولا يحكم(٦٧) .

والثانى : وزارة تنفيذ وهى أن الوزير ينفذ أمر الخليفة الذى يشرف على جميع تصرفاته ، ولا ينفذ الوزير شيئا إلا بعد مشورة الخليفة أو السلطان(٦٨) .

وبالنسة لوزير التفويض فإن كل ما يصح للخليفة يصح له إلا ثلاثة أشياء هى :

١- ولاية العهد ذلك أن الامام يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير .

٢- أن للخليفة أن يستعفى الأمة من الخلافة وليس ذلك للوزير .



٣- أن الخليفة يعزل من قلده الوزير وليس ذلك للوزير [٦٩] .

أما الشروط التى يجب أن تتوافر فى وزير التفويض فهى :

- الحرية
- الإسلام
- العلم بالأحكام الشرعية
- المعرفة بأمرى الحرب والخراج[٧٠] .

وبالنسبة لوزير التنفيذ فقد وجب أن تتوافر فيه عدة شروط هى :

- الأمانة
- صدق اللهجة
- قلة الطمع
- أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة
- أن يكون ذكورا فيما يؤدية إلى الخليفة لأنه شاهد له وعليه .
- الذكاء والفطنة حتى لا تلتبس عليه الأمور
- الحنكة والتجربة .
- ألا يكون من أهل الأهواء فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل .

لا يشترط الإسلام فى وزير التنفيذ لأنه لا يمتد سلطته إلى ولاية أمر المسلمين وتولى وزارة التنفيد ذميون[٧١] .

الفرق بين وزارة التفويض والتنفيذ :

يكون الفرق بين هاتين الوزارتين فى الآتى :

١. أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر فى المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ .
٢. أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة ، وليس ذلك لوزير التنفيذ
٣. أنه لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحرب وليس ذلك لوزير التنفيذ .

٤. أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف فى أموال بيت المال بقبض ما يستحقه له ويدفع ما يجب منه ، وليس ذلك لوزير التنفيذ .

وكان للوزير لباس رسمى شمل الدرعة وقميصا ومبطنه وخفا واختلف راتبه على مر العصور أو اختلاف الأشخاص .

أما مهام الوزير:

فقد اختلفت الوظائف التى يقوم بها من عهد لأخر ، ومن خليفة لخليفة ، وبين دولة ودولة ، ومن الوظائف التى كان الوزير يقوم بها سواء كان وزير تنفيذ أم وزير تفويض – الإشراف على الشئون الإدارية ، فكان العمل اليومى له شاقا مجهدا ، حيث كان من مهامه أن يغدوا إليه الكتاب فيوافقهم على الأعمال ويسلم إلى كل منهم ما يتعلق بديوانه أو يوجهه بما يريد وصايته به ، ثم يروحون إليه بما يعطونه من أعمالهم فيوافقهم عليه ، وإذا خف العمل ، نهض من مجلسه وانصرف الجماعة بعد قيامه ، ويذهب الوزير إلى دار الخلافة فى أيام معينة من كل أسبوع للمثول بين يدى الخليفة وإطلاعه على شئون الدولة وتلقى الأوامر منه[٧٢] .

- ومن مهامه النظر فى ديوان الحسبان لما يحتاجه إليه خطته من قسم الأعطيات فى الجند ، فاحتاج إلى النظر فى جمعه وتفريقه .
- والإشراف على القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة .
- جعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها [٧٣] .

وهذه الوظائف التى استندت إلى الوزير كانت تتفاوت بين وزير وآخر تبعا لطبيعة شخصية الوزير من جهة وطبيعة شخصية الخليفة من جهة أخرى ، وكذلك

طبيعة العلاقة بين الخليفة والقوى الأخرى فى المجتمع ، وقد سجلت بعض الفترات نفوذا قويا للوزراء بلغ درجة التدخل فى تعيين الخلفاء والاشتراك فى عزلهم[٧٤] .

ولاة الأقاليم "الأمراء" :

يأتى الخليفة على رأس السلطة التنفيذية فى الدولة الإسلامية ولما كان الخليفة يجمع فى يده كل السلطات فهو بحكم الطبيعة البشرية وظهرت الحاجة إلى الاستعانة بالولاة على البلدان منذ أن انتشر الإسلام خارج المدينة ، وصارت رقعة الدولة الإسلامية تضم إلى جانب مدينة الرسول ﷺ مدنا وبلاد أخرى ، ومن ثم فوض بعض السلطة التنفيذية إلى ولاته وعماله – أمراء الأقاليم[٧٥] مثال ذلك فقد جعل الرسول ﷺ عتاب بن أسيد واليا على مكة ، ومن أهم عمال الرسول ﷺ على الأقاليم :-

عثمان بن أبى وقاص على الطائف ، العلا بن الحضرمى على البحرين ، زياد بن لبيد الأنصارى على حضر موت ، المهاجر بن أبى أمية بن المغيره على صنعاء ، وعين غيرهم من الولاة على بلدان أخرى[٧٦] .

وكان أول راتب فرضه الرسول ﷺ للعمال هو راتب عتاب بن أسيد والى مكة وكان درهما فى كل يوم .

وفى عهد أبى بكر رضي الله عنه كانت ولايات الجزيرة العربية هى البلاد التى تحت الإدارة الإسلامية نهائيا وقد جعلها عدة وهى :

١. مكة وعليها عتاب بن أسيد .
٢. الطائف وعليها عثمان بن أبى وقاص .



٣. حضرموت وعليها زياد بن لبيد ٠
٤. صنعاء وعليها المهاجر بن أبى أمية ٠
٥. البحرين وعليها العلاء بن الحضرمى ٠
٦. خولان وعليها يعلى بن أميه ٠
٧. زبيد ورمع وعليها أبا موسى الأشعرى ٠
٨. الجند وعليها معاذ بن جبل ٠
٩. نجران وعليها جرير بن عبدالله البجلى ٠
١٠. جرش وعليها عبدالله بن ثور ٠

وفى عهد عمر قسم الدولة أقسام ادارية كبيرة ولى على كل قسم منها والى يتولى شئونها والإشراف عليها ، وكان يختار الولاة من أماثل القوم وأفضلهم سيرة وكان يتعدهم بالنصح والإرشاد ومن ذلك نصيحته لبعض عماله التى يقول فيها : "انى لم أبعثكم جبابرة ولكن بعثتكم أئمة ، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهن ، ولا تجمروهن فتنتنوهن ولا تمنعوهم فتظلوهن ، وأروا لفحة المسلمين" وأهم الأمصار فى عهد عمر ﷺ وولاتها :-

١- نافع بن عبد الحارث الخزاعى على مكة ٠
٢- سفيان بن عبدالله الثقفى على الطائف ٠
٣- يعلى بن منبه على صنعاء ٠
٤- عبدالله بن أبى ربيعه على الجند ٠
٥- عثمان بن أبى العاص الثقفى على البحرين ٠



٦- المغيرة بن شعبة الثقفى على الكوفة ·

٧- أبو موسى الأشعرى على البصرة ·

٨- معاوية بن أبى سفيان على دمشق ·

٩- عمير بن سعد على حمص ·

١٠ – عمرو بن العاص على مصر[٧٧] .

واتخذ ولاة على غير مكة من البلاد واتبع سياسة تقسيم البلاد إلى ولايات واتخذ الولاة عليها كل من الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين وغيرهم من حكام المسلمين على اختلاف عصورهم[٧٨] ·

وفى عهد أبى بكر كانت الدولة الإسلامية تقتصر على شبة الجزيرة العربية ولم يكن مصير بلاد العراق والشام قد تحدد تماما فكانت الولايات فى عهد أبى بكر هى: البحرين – اليمامة – عمان – خولان – حضر موت – الجند – صنعاء – زبيد – رمع – جرش – نجران – الطائف – دومة الجندل[٧٩] ·

ثم اتسعت الدولة فى عهد عمر، وعهد عثمان ، وخلال العصرين الأموى والعباسى والعصور الإسلامية الأخرى ولن ندخل فى تفاصيل اتساع الدولة الإسلامية وذكر ولاياتها ، لأن ما يهمنا هنا – هو اختيار الوالى ومهامه فى ولايته وعلاقته بالخلافة ·

أولا : اختيار الولاة :

حينما كان الخليفة أو الامام يختار الوالى ، ولم يتركه مطلقا بل قيده بالقيود التى تضمن عدم استبداد ولاة الأقاليم بالسلطة ·



وكان يختار الولاة من أماثل القوم وأفضلهم سمتا وهديا سيرا على سنن النبي ﷺ في اختيار الأصلح للولاية ، وكان عمر ﷺ يتعدهم بالنصح والإرشاد ، ومن ذلك نصيحته لبعض عماله التي يقول فيها : "إني لم أبعثكم جبابرة ولكن بعثتكم أئمة ، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم فتظلموهم وأدروا لفحة المسلمين"(٨٠) .

الولاية :

هي أن يقلد أميرا على إقليم أو بلد ، وقد يطلق على هذا الأمير لقب وال أو عامل ، وقد نشأت الإمارة على البلدان مبكرة في الإسلام ، فكان الرسول ﷺ ، ينيب عنه عمالا على القبائل والمدن في الحجاز و ليمن ، واستمر هذا النظام واتسع في عهد الخلفاء الراشدين وما بعده من عصور(٨١) .

وإمارة الاستكفاء فهي أن يختار الخليفة الرجل الكفء ليفوض إليه إمارة بلد أو إقليم فيضطلع هذا الأمير بتدبير الجيوش وتقليد القضاة ، وجباية الخراج ، وحماية الدين وإقامة الشرع وإمامة الصلاة ، والإشراف على شئون الحج ، ثم حماية هذا الإقليم إن كان من الثغور(٨٢) .

أما النوع الثالث من الإمارة فهو إمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطرار فهي أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير ، والخليفة بإذنه منفذا لأحكام الدين ليخرج من الفساد إلى الصحة ومن الحظر إلى الإباحة(٨٣) .

الفرق بين إمارة الاستكفاء العامة وإمارة الاستيلاء :

١- أن إمارة الاستيلاء متعينة فى المتولى ، وإمارة الاستكفاء مقصورة على اختيار المستكفى .

٢- أن إمارة الاستيلاء مشتملة على البلاد التى غلب عليها المستولى ، وإمارة الاستكفاء مقصورة على البلاد التى تضمنها عهد المستكفى .

٣- أن وزارة التفويض تصح فى إمارة الاستيلاء ، ولا تصح فى إمارة الاستكفاء لوقوع الفرق بين المستولى ووزيرة فى النظر .

وهذه القيود تتلخص فيما يلى :

١- حسن اختيار الإمام لولاة الأقاليم .

٢- محاسبة عمال الأقاليم ومراقبة أعمالهم .

٣- فصل السلطة القضائية وحماية استقلالها .

٤- اختيارهم ممن لهم دراية بأمر السياسة والحرب والخراج .

٥- وصايا الرسول لأمرائهم باتباع سنة رسول الله ﷺ(٨٤) .

وكان اختيار الولاة من الأمور التى يقوم الخليفة بها ، ومع ذلك فإن دور أهل الولاية كان واضحا فى اختيار الولاة وسياستهم وتقويمهم ، ومثال لذلك : شكا أهل الكوفة عمار بن ياسر إلى الخليفة عمر بن الخطاب وقالوا أنه ليس بأمير ولا يحمل ما هو فيه فعزله عمر، وقال لهم من تريدون بأهل الكوفة ، فقالوا أبا موسى الأشعرى، فولاه عليهم وجاءوه بعد سنة وقالوا ، لا حاجة لنا فى أبى موسى ، فقال لهم أقوى متشدد أحب إليكم أم ضعيف مؤمن ؟ وكان يكتب إلى الولاة بتوقير وجوه

الناس الذى جعلوا أنفسهم وسطاء بينهم وبين الناس ، وسفراء يرفعون حوائجهم ومطالبهم إلى الولاة ، وكان يقول من ظلمه أمير فلا أمرة عليه(٨٥)

وولى هارون الرشيد على بن عيسى بن ماهان على خراسان فلما عاث فيها واستخف برجالها ، كتب أهل خراسان ، إلى الرشيد يشكون سوء سيرته فعزله الرشيد وولى هرثمة بن أعين(٨٦) .

وكان على الخليفة أو الإمام مراقبة الوالى وأن يسأل عن سيرته ويفحص عن حالته وسريرته فإن كان عادلا أكرمه ورفعه وإن كان ظالما أهانه وعزله فإنه لا صلاح لرعية واليها فاسد .

كما روعى ألا تكون الولاية أكبر من الوالى فتقهره ، فإن الوالى إذا ولى ولاية هى أكبر منه يضيع فيها ويبقى حائرا كالفارس الذى بيده رمح لا يقدر على نقله والعمل به . وقيل سئل بعض خلفاء بنى أميه "ما كان سبب زوال ملككم ، فقال استعنا بصغار العمال على أكابر الأعمال فآل أمرنا إلى ما آل"(٨٧) .

والإمارة كانت على ثلاثة أنواع : الإمارة العامة ، والإمارة الخاصة وإمارة الاستيلاء (٨٨) .

- الإمارة العامة وهى تشمل الصلاة وإدارة الإقليم والحرب والخراج .
- أما الإمارة الخاصة : فهى محددة فى إمارة الجيش ، إمارة الحج - إمارة على الصلاة والحرب دون الخراج(٨٩) .



مهام الوالى فى ولايته :

كان الولاة نوابا عن الخليفة فى ولاياتهم وحكاما ، وكان كل منهم يقوم فى ولايته بالمهام التى من شأن الخليفة أن يقوم بها ، وله من صلاحية النظر فى أمور الولاية ما للخليفة من صلاحية النظر فى أمور الدولة[٩٠] ، وتمثلت مهامه فى الآتى :

١- النظر فى تدبير الجيوش وقيادتها .

٢- النظر فى الأحكام وتقليد الولاة .

٣- جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال .

٤- حماية الدين والذب - الدفاع - عن الحريم .

٥- إقامة الحدود .

٦- تسيير الحجيج .

٧- الإمامة فى الجمع والجماعات[٩١] .

وكان من مهام الوالى أيضا حق الإشراف على شئون الشرطة ، وكان هو الذى يعين صاحب الشرطة[٩٢] .

ونلاحظ أنه فى بعض فترات العصر العباسى أرسل الوالى من ينوب عنه فى حكم الولايات ، وكان لكثرة تغيير الولاة خلال العصر العباسى أثرة السلبى على أحوال الأقاليم[٩٣] .

وكان بقاء الوالى فى ولايته متوقفا على تنفيذه لمطالب الخلفاء وفقا لسياستهم حيث أن حكم الولاة كان يختلف لينا وشدة تبعا لاختلاف ميولهم فقد

اشتهر البعض منهم بالعدل والجود والإصلاح ، والبعض الآخر اتسمت سياسته بالعنف والجور والقسوة ٠

وكان للولاة مجالس فى ولاياتهم تضم إلى جانب كبار رجال الولاية وموظفيها جماعة من وجوه الناس وعلمائهم وأهل المعرفة بأحوال الولاية ، وكان الوالى يرجع إليهم ويستشيرهم ، ومثال لذلك مجلس سعيد بن العاص فى الكوفة فى عهد عثمان بن عفان ﷺ ومجلس عمر بن عبد العزيز فى المدينة خلال عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك[٩٤] ٠

الحجابة :

الحجابة فى اللغة لفظ مشتق من حجب بمعنى حال دون أو منع أو ستر ٠ يقال حجب الشئ أى ستره[٩٥] ٠

وفى الاصطلاح هى احدى الوظائف المعاونة للحاكم وصاحب الحجابة يسمى حاجبا ، وهو من يحجب السلطان عن العامة والخاصة ٠

وهذا المنصب لم يعرفه صدر الإسلام ، عندما كان الإسلام بسيطا لا يتشبه حكامه بالملوك ٠ وكان الخلفاء الراشدون لا يحتجبون عن رعاياهم ، فكانوا يجلسون طوال يومهم فى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، ويلتقون بالمسلمين على اختلاف مراتبهم بدون حجاب[٩٦] ٠

وقد كان أول من اتخذ الحجاب معاوية بن أبى سفيان ، وذلك بعد مصرع على بن أبى طالب ﷺ ، ومحاولة اغتيال معاوية ، واتساع الفتن وازدحام الناس على أبواب قصره فى دمشق وحذا الخلفاء الأمويون حذو معاوية فى الاحتجاب عن

الناس [٩٧] والحاجب موظف كبير يشبه كبير الأمناء فى العصر الحديث وكان يقوم بإدخال الناس على الخليفة حسب مراتبهم ومراكزهم فى المجتمع ·

- ومن اختصاصات الحاجب أيضا : تنظيم مثول الناس أمام الخليفة ·
- وأنهم كانوا يمثلون همزة الوصل بين الناس والخليفة[٩٨] ·

واتخذ الخلفاء العباسيون الحجاب ، فلم يقابلوا رعاياهم إلا من قدم لأمر خطير وصار بين الناس والخليفة داران : دار الخاصة ودار العامة ، يقابل الخليفة كل طائفة فى كل مكان معين ، كما يحدده الحاجب[٩٩] ·

واتخذ العباسيون الحجاب وبالغوا فى ذلك تشبها بالأكاسرة وحماية لأنفسهم من الساخطين عليهم وزادوا فى منع الناس عن ملاقاتهم ·

أما فى بلاد الأندلس فيلاحظ أن منصب الحجابة كان يماثل منصب الوزارة فى الدولة العباسية ، فقد كان اختصاص الحاجب فى عصر بنى أمية واسعا يشتمل على الإشراف على الشئون المدنية والعسكرية ، وبلغ الحاجب درجة كبيرة من النفوذ حتى أن الخلفاء حافظوا على التلقب بلقب الحاجب بعد وصولهم إلى كرسى الخلافة[١٠٠] ·

وكان يشغل وظيفة الحاجب كبار العسكريين ، وبلغ نفوذهم إلى درجة كبيرة حيث كان يتم مشورتهم فى الكثير من الأمور فى الدولة ، واستبد بعضهم بالأمر دون الوزير ، وتدخل بعضهم فى تعيين الوزراء[١٠١] ، ومثال لذلك الربيع بن يونس حاجب المنصور والمهدى ، ونلحظ مدى مكانته بأنه أخفى نبأموت المنصور حتى أخذ البيعة للمهدى ، وتخلص من الوزير معاوية بن يسار حيث عزله المهدى بمشورة من الربيع ،

ثم رشح الربيع للمهدى يعقوب بن داود ليتولى الوزارة(١٠٢) ولعب دورا كبيرا فى الإيقاع بين هارون الرشيد والبرامكة(١٠٣) .

هذا ونجح بعض الحجاب فى تأسيس أسر حاكمة مثل الحاجب أق سنقر والد عماد الدين زنكى الذى أسس الأسرة الزنكية فى الموصل وأعمالها وتوابعها "الجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها"(١٠٤) .

وخلال العصر الفاطمى لم يتمتع الحاجب بتلك المكانة التى كان يتمتع بها خلال العصرين الأموى والعباسى ، وكان يلقب بصاحب الباب(١٠٥) .

وزاد نفوذ الحاجب حتى صار الواحد منهم يلقب بذى الوزارتين ، وذلك إشارة إلى إشرافه على الأمور المدنية والعسكرية ، وكان ذلك راجعا إلى الثقة التى أولاها له الحكام حيث كان يتم اختيار الحاجب من مقدمى رجال الدولة وخاصة الخليفة ويختار من أغزرهم عقلا وأشدهم دينا وأوفاهم روعا ، وأعظمهم من الله خوفا ، وأصوبهم رأيا وأرحمهم قلبا وأصدقهم لهجة وأذكاهم نفسا(١٠٦) .

وكان على الخلفاء ألا يجعلوا زمام الأمور بأيدى حجابهم ، ولا يركنوا بالكلية إليهم ، ولا يعتمدوا فى جميع أمورهم عليهم ، فربما داخلهم الطمع فينقلون إلى الخليفة ما يريدون ، ويكتمون عنه ما يختارون وهذا يؤدى إلى اختلال الملك وفساد النظام وهلاك الرعية ، بل كان عليه أن يباشر الأمور بنفسه ويسمع من المظلوم شكايته ، ويتولى أمور الرعية حقيرها وخطيرها بنفسه ولا يهمل شيئا منها(١٠٧) .

ولاية العهد :

أثارت مشكلة ولاية العهد أو الاستخلاف كواحدة من نظم الدولة الإسلامية كثيرا من الجدل والخلاف بين المفكرين والعلماء والفقهاء المسلمين ، فمنهم من أدان هذا الاتجاه ونادى ببطلانه ، ومنهم أوجد له المبررات ووضع له من القواعد ما يجعله مشروعا متمما للخلافة .

وكانت البداية التاريخية لولاية العهد سنة ٤٠ هـ/٦٦٠ م حين تولى الحسن بن على خلافة المسلمين ، إلا أنها لم تتم على يد على بن أبى طالب ﷺ ولم يوص بها ، فقد ترك هذا للمسلمين يرون فيه رأيهم ، ومع ذلك يمكن القول أن تولية الحسن بن على كانت البداية لقاعدة جديدة من قواعد الحكم ونظم الدولة ، ربما كانت سابقة سار عليها معاوية بن أبى سفيان فأخذ البيعة لابنه يزيد(١٠٨)

وعلى الرغم مما فى البيعتين من بعد عن أسس الخلافة الإسلامية التى وضعها الرسول ﷺ فقد أقحم هذا التقليد على الخلافة وأصبح ملازما لها .

وقد عارض بعض المسلمين بيعه يزيد ، بل أن معاوية أكره الناس أو بعضهم على البيعة ، فقد ثار الحجاز ، وعندما تولى يزيد خلافة الأمة بعث إلى واليه على المدينة الوليد بن عقبة يأمره فى كتاب يقول فيه : خذ حسينا وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة والسلام(١٠٩) .

إن القاعدة التى وضعها الأمويون ، وساروا عليها منذ خلافة معاوية وحتى مقتل مروان بن محمد لم تمر دون أن تحرك الثورة فى النفوس ، وعندما مات معاوية

ازدادت الثورة اشتعالا ورأى الحسين بن على أن يطالب بحقه فى الإمامة وسادة أهل العراق وانتهى الأمر بقتله سنه ٦١هـ / ٦٨٠م فى كربلاء(١١٠) .

ولم تكن كربلاء نهاية المشكلات بالنسبة ليزيد ، فقد كان عبدالله بن الزبير بمكة كما لم تكن المدينة بأقل رفضا للموقف ، وسير يزيد جيشه إلى الحجاز حيث دارت الحرب مع أهل المدينة فى موقعة الحرة وقتل فيها كثيرون(١١١) وسارت الجيوش الأموية بعد ذلك إلى مكة وبها عبدالله بن الزبير ولم تنجح هذه المحاولة ، كما لم تنج المدينة من نار الأمويين(١١٢) ، واستمرت ولاية العهد تنتقل بين أولاد الخلفاء وأخوتهم وأقاربهم الأقربين .

مكن الأمويون لأنفسهم ووضعوا أسس ولاية العهد ، وبذلك تحولت نهائيا إلى حكم وراثى(١١٣) وازداد الصراع على ولاية العهد خلال العصر العباسى ، ولجأ الخلفاء إلى أخذها لأكثر من واحد من الأبناء ، ولم يتورع كل أولئك فى الدخول فى حروب دامية وصولا للانفراد بها تمهيدا للوصول إلى الخلافة ، فقد عهد أبو العباس السفاح إلى المنصور وجعل ولاية العهد من بعده لعيسى بن موسى(١١٤) فأراد المنصور تقديم المهدى فاستنزله عن العهد عفوا لحقه فيه ، ويذكر الماوردى أنه ليس من حق الخليفة أن يكره ولى العهد على التنازل ، إذ يجب أن يتنازل طائعا راضيا(١١٥) .

وقد حرص الخلفاء العباسيون على ولاية العهد ، فيذكر أن الرشيد رتب الخلافة فى ثلاثة من أبنائه هم الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن وذلك بناء على مشورة من عاصره من فضلاء العلماء(١١٦) .

فإذا عهد الخليفة إلى ثلاثة ورتب الخلافة فيهم ومات والثلاثة أحياء كانت الخلافة بعده للأول ، ولو مات الأول فى حياة الخليفة كانت الخلافة بعده للثانى، ولو مات الأول والثانى فى حياة الخليفة فالخلافة بعده للثالث لأنه قد استقر لكل واحد من الثلاثة بالعهد إليه حكم الخلافة من بعده[١١٧] .

وفى عام ١٨٧هـ/ ٨٠٢م بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون شريطة أن يكون الأمر للمأمون ان أراد أقره فى ولاية العهد وان شاء أن يخلعه خلعه[١١٨] .

وعندما تولى الأمين الخلافة أراد أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد وسير إليه من يحاربه فى خراسان ، وتصدى لذلك طاهر بن الحسين الذى تمكن من انزال الهريمة بجيش الأمين وعلى رأسه القائد على بن عيسى بن ماهان[١١٩].

وتعرضت بغداد بسبب ولاية العهد للحصار ودارت الحرب التى انتهت بمقتل الأمين ، وحملت رأسه إلى أخيه المأمون فى خرسان ، ولقد بكى المأمون واشتد حزنه على أخيه ، ثم قدم من خرسان إلى بغداد ليتولى أمر المسلمين[١٢٠].

ويتصل النزاع على ولاية العهد حتى أننا نرى تدخل الموالى لتأييد ولى العهد وهذا ما حدث خلال عهد الخليفة المعتز الذى علم أن المؤيد يتآمر عليه وذلك بالاتصال بالموالى فقبض عليه وطلب إليه أن يخلع نفسه من ولاية العهد ولم يهدأ إلا بعد أن قتله مسموما[١٢١] .

واستمرت ولاية العهد قضية من قضايا الخلاف حتى نهاية العصر العباسى وسقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .



ولذا يمكن القول أن ولاية العهد ظلت أسلوبا من أساليب اختيار الخليفة ، وذلك منذ العصر الأموى وحتى انتهاء الخلافة العباسية ، وإذا اعتبرنا أن هذا التطور قد أملته الظروف التى عاشت خلالها نظرية الدولة الإسلامية فإن هذا الأسلوب يضاف إلى ما سنه الخلفاء الراشدون ابتداء بالاختيار دون نص أو عهد مكتوب إلى نص وعهد مكتوب إلى قيام مجلس الشورى وانتهاءا بولاية العهد لواحد ثم لأكثر من واحد [١٢٢] تحولت الخلافة فى عهد الأمويين من نظام الشورى والانتخاب إلى النظام الملكى الوراثى ، فقد بايع معاوية بن أبى سفيان لابنه يزيد بولاية العهد دون أبناء الصحابة مثل الحسين بن على ، وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن العباس وغيرهم ، وكان الخلفاء الأمويون يولون العهد أحيانا لأكثر من واحد ٠

واتبع العباسيون هذا النظام وغالوا فيه ، فقد عهد أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ) بالخلافة أبى أخيه إلى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م) ثم إلى أخيه عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس ، فلما تولى المنصور الخلافة خلع عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى ، ثم لعيسى بن موسى من بعده . ولما تولى المهدى الخلافة (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م) خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وولى ولديه الهادى ثم هارون الرشيد ٠

كذلك أراد الهادى (١٦٩-١٨٠هـ) خلع أخيه هارون والبيع لابنه جعفر مثلما فعل المهدى مع عيسى بن موسى ، لولا أن مات الهادى قبل أن ينفذ ذلك ٠

كما حاول الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، والبيعة لابنه مما أدى إلى النزاع بين الأخوين ، وانتهى الأمر بقتل الأمين ٠

وكان لنظام ولاية العهد نتيجة سيئة على العباسيين والأمويين من قبلهم ، حيث نشب الخلاف بين الكثيرين مما أضعف الخلافتين(١٢٣) ٠

الكتابة:

الكتابة فى اللغة : لفظ مشتق من كتب وهو يدل على جمع شئ إلى شئ والكتاب بمعنى الفرض أيضا وذلك فى قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (١٢٤).

يقصد بالكتابة هى احدى الوظائف المعاونه للحاكم تشاركه مسئوليات الحكم بتدوين وكتابة ما يعهد الحاكم إليها من رسائل وغيرها القيام بالأعمال الإدارية التى تعين الوزير فى أدائه لعمله ، فقد كان عبء الوزارة يضطلع به شخص واحد فى العادة وهو من يطلق عليه فى عصرنا الحالى لقب "رئيس الوزراء" ، ولكن أعباء الوزير أخذت تتزايد بحيث لم يعد من الممكن أن يقوم بها وحده ، ولذا استعان بموظفين أو كتاب يشرفون معه على الدواوين المختلفة أى الوزارات بالمفهوم الحديث(١٢٥) وقد عرف المسلمون الكتابة فى صورتها البسيطة الأولى فى عهد الرسولﷺ ، حيث كان يتخذ له كتاب من الصحابة الذين يجيدون القراءة والكتابة يدونون القرآن الكريم ويكتبون الرسائل والعهود والمعاهدات المختلفة ، كان على بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما يكتبان الوحى فان غابا

كتب أبى بن كعب وزيد بن ثابت ، وكتب خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان بين يدى الرسول فى حوائجه ، واتخذ الرسول ﷺ المغيرة بن شعبة والحصين ابن غير كتبة يكتبان ما بين الناس من المداينات والمعاملات ، وجعل عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء وأضاف إلى زيد بن ثابت كتابة الكتب إلى الملوك ، وجعل كتابة المغانم إلى معيقيب بن أبى فاطمة حليف بنى أسد ، وكان حنظلة ابن الربيع خليفة كل كاتب من كتاب النبى ﷺ إذا غاب عن عمله حتى غلب عليه اسم الكاتب ، وكان الرسول يضع خاتمه عنده ، وبلغ كتاب الرسول ﷺ اثنين وأربعون رجلا(١٢٦) فمنهم عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب (رضى الله عنهم) ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة(١٢٧).

وسار على نهجه الخلفاء الراشدون حيث اتخذوا لهم كتابا أيضا ، وكانت الكتابة فى عهدهم مازالت بسيطة فى وظيفتها ففى عهد أبى بكر اتخذ عثمان بن عفان كاتبا له وكذلك زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم ، وعبد الله بن خلف الخزاعى وحنظلة بن الربيع(١٢٨) وفى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وتم تعيين كاتب بكل ولاية كانت مهمته تنحصر أولا فى كتابة الرسائل ، وتدوين الدواوين ثم أصبحت المهمة تتسع لتشمل حسابات الدواوين وتسجيل أسماء الجند وأعطياتهم وكاتب للخراج وكاتب للقضاء(١٢٩) .

وعندما انتقلت الخلافة إلى الأمويين تعددت الدواوين وأصبحت خمسة هي: ديوان الرسائل والخراج والجند والشرطة والقضاء وكان لكل ديوان من هذه الدواوين كاتب ، وكان يتصدرهم في الأهمية كاتب ديوان الرسائل(١٣٠) .

وخلال العصر العباسي زادت مكانة الكاتب نتيجة لكثرة أعمال الوزارة ، حيث أصبح من الضروري تعيين موظفين لمعاونة الوزير للإشراف على الدواوين المختلفة وإدارة شئونها ، وكان من أشهر الكتاب في ذلك العصر كاتب الرسائل الذي يتولى مكاتبة الأمراء والملوك عن الخليفة ، وقد حرص الخلفاء على أن تدون الرسائل بأسلوب شائق وبليغ ، كما حرصوا على اختيار كتابهم من رجال الأدب من أعرق الأسر وممن عرفوا بسعة العلم ورصانة الأسلوب(١٣١) .

وكان كاتب الرسائل يجلس مع الخليفة في مجلس القضاء وينوب عن الخليفة أو الأمير في بعض الأحيان ، وعندما استقرت وظيفة الوزير وزادت أهمية شاغلها صار الكاتب مجرد موظف في الدواوين(١٣٢) .

وعرف نظام الكتابة في الأعمال والولايات الإسلامية فكان بكل ولاية كاتب للخراج والمال وكاتب الرسائل .

وكانت طائفة الكتاب تؤلف وحدة على رأسها الوزير ، بل وتتدرج في الرقي إلى الوزارة ، معتمدة على كفايتها وبلاغتها ، وكان لهؤلاء الكتاب أثر كبير في نشر نوع من الثقافة خاص ، وذلك أن ثقافتهم كانت أوسع من ثقافة غيرهم ، وكانت معارفهم ودائرة إطلاعهم واسعة شاملة ، وأنهم بحكم مناصبهم مضطرون أن يعرفوا



أحوال الناس الاجتماعية وتقاليدهم ، وأن يعرفوا من اللغة والأدب وعلوم الدين والفلسفة والجغرافية والتاريخ طرفا لأن كثيرا من مواقفهم يحتاج لذلك(١٣٣) ٠

وكان هناك صفات ينصح أن يتحلى بها الكتاب من هذه الصفات والخصال الحلم والفقه والعفاف والعدل والإنصاف والأمانة وكتم السر والوفاء والبعد عن السعاية والنميمة والكبر والعظمة والبعد عن المطامع ، والنظر فى كل صنف من صنوف العلم ، واجادة الخط ورواية الأشعار ، ومعرفة أيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها والنظر فى الحساب(١٣٤) ٠

وكان لابد أن تكون هناك مؤهلات خاصة بفئة من الكتاب دون الأخرى ، وذلك لخصوصية الدواوين وتميزها عن بعضها فى الوظائف فمثلا ، كان لا غنى لصاحب ديوان الخراج عن معرفة الحساب والمساحة ٠

- ولا غنى لصاحب ديوان الصدقات عن الإلمام بعلوم الفقه ٠
- ولابد لصاحب ديوان الجيش من معرفة عرض الرجال وشيات الدواب ودار السلاح ٠
- ولابد لصاحب ديوان النفقات من الإلمام بالحساب والمكاييل والأوزان والأسعار وأمثالها ، وهكذا فى الدواوين الأخرى(١٣٥) ٠

وكانت الدولة تقوم بصرف الرواتب والأرزاق للكتاب وعمال الدواوين ، وعلى سبيل المثال كان راتب كاتب عبد الله بن على العباس فى خلافة المنصور عشرة دراهم كل شهر(١٣٦) ٠



وكان الأمويون والعباسيون يصرفون راتبا سنويا لرؤساء الكتاب والعمال ثلاثة مائة درهم وزادت رواتبهم عن ذلك خلال عهد المأمون(١٣٧) .

ويذكر المقريزي رواتب أرباب الدواوين خلال العصر الفاطمي كالآتي :

- الراتب الشهري لصاحب ديوان النظر سبعين دينارا .
- وصاحب ديوان التحقيق خمسين دينارا .
- وأربعين دينارا لصاحب ديوان المجلس .
- وخمسة وثلاثين دينارا لصاحب دفتر المجلس .
- وأربعين دينارا لصاحب ديوان الجيش (١٣٨) .

وكانت كتابة الدواوين في صدر الإسلام في صحف مدرجة تسمى قراطيس وإذا كانت طويلة سميت طوامير، وأول من اتخذ الطوامير وكتب فيها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٩-٩٦هـ/ ٧٠٧-٧١٤م) وكره الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م) استعمالها وجعل كتبه في شبر من الصحف أو نحوه(١٣٩) وظلت الكتب تثبت في صحف وتحفظ في هذه الصحف في الدواوين حتى كانت خلافة أبي العباس السفاح ، فجعلها خالد بن برمك في دفاتر واتخذت الدفاتر من الجلود ، ثم استعمل جعفر بن يحى بن خالد برمك بن الكاغد في خلافة هارون الرشيد وتداوله الناس من بعده(١٤٠) .

القضاء :

القضاء في اللغة مصدر من قضى وهو أصل يدل على أحكام أمر واتقانه وانفاذ لجهته كما يتضح من قوله تعالى :

﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ... ﴾[١٤١]

أى أحكم خلقهن ، والقضاء هو الحكم قال تعالى:

﴿ ... فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ... ﴾[١٤٢]

أى أحكم ولذلك سمى القاضى قاضيا لأنه يحكم وينفذ الأحكام، وسميت المنية قضاء لأنه ينفذ فى بنى آدم وغيره من الخلق[١٤٣] .

والقضاء من أعظم المناصب ومرتبته تلو مرتبة النبوة ، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وكلفهم الأخذ بالشرائع ، وبعث الرسل قضاة ليحكموا بين الناس قال تعالى :

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ... ﴾[١٤٤]

وقال تعالى لرسوله محمد ﷺ :

﴿ ...وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾[١٤٥] .

والقضاء من عمل الخليفة لأن معناه الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع ، على حسب القانون الشرعى المأخوذ من الكتاب والسنة[١٤٦] وقد كان سنة متبعة عند العرب قبل الإسلام وكانوا يعرفون بالحكام[١٤٧]

ولما جاءت دولة الإسلام صار الرسول ﷺ يفصل في الخصومات بين الناس في المدينة وصار مرد كل حدث أو اختلاف بينهم إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ[١٤٨] .

ثم صار القضاء بعد الرسول ﷺ في عداد الوظائف الداخلة تحت الخلافة ، وفي ذلك يذكر الهروي أنه على الخليفة ألا يهمل أمر القضاة والعدل وأصحاب المناصب لان بأيديهم أزمة الأمور وصلاح الرعية ، ولهم الحكم على الأرواح والأشباح والأموال وأمور الدين والدنيا بل يمتحنهم في مجلسه ويسألهم عن أمور دينهم ودنياهم وليجعل عليهم عينا ورقيبا ليعلم أمرهم ، فان أهمل أمرهم فسد حاله[١٤٩] .

فكان الخلفاء يباشرون هذا العمل بأنفسهم ويستفتون في الحكم ان كانت هناك حاجة إلى الاستفتاء ، وعندما استخلف أبو بكر ﷺ قال له عمر بن الخطاب ﷺ "أنا أكفيك القضاء" [١٥٠] ، ولما تولى عمر بن الخطاب ﷺ عين على بن أبي طالب ﷺ قاضيا ، وجعل على الأمصار والولايات قضاة ينظرون في الخصومات بين الناس ، وصار ذلك سنة في الذين جاءوا من بعده من الخلفاء ، حيث كان يتخذ كل منهم قاضيا في حاضرة الخلافة وقضاة آخرين في الولايات والأمصار[١٥١] .

والسبب في ذلك هو كثرة مشاغل الخلفاء بالفتوح وانشغالهم بالجيوش وتدبيرها مما جعلهم يفوضوا هذا العمل إلى من في استطاعتهم الاستنباط ، ولكنهم لم يتسموا باسم القضاة إلا منذ عهد عمر بن الخطاب ﷺ حيث بعث قضاة إلى الأمصار والولايات فولى أبا الدرداء قضاء المدينة ، وشريحا قضاء البصرة ، وأبا



موسى الأشعرى ، قضاء الكوفة ، وقيس بن أبى العاص قضاء مصر ، ووضع لهم نموذجا يسيرون عليه ، واستمر الحال على ذلك إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين(١٥٢) وكان القضاء فى الأمصار أول الأمر مضاف إلى الولاة ، حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ﷺ فجعله مستقلا عن نظر الوالى ، وعين له من ينفرد بالنظر فيه ، وكان تقليد القضاة فى الولايات يتم فى الغالب عن طريق الولاة وذلك بتفويض الخليفة لهم(١٥٣) ، ولم يكن لأمراء الأمصار سلطان عليهم فى قضائهم .

وخلال العصر العباسى ظهر منصب قاضى القضاة وذلك زمن هارون الرشيد وتولاه القاضى أبو يوسف صاحب كتاب الخراج وصار لقاضى القضاة حق الإشراف نيابة عن الخليفة على النظام القضائى من حيث النظر فى تعيين القضاة ومراقبتهم فى عاصمة الدولة وخارجها(١٥٤) .

وذلك لأنه كان لا يوجد إلا خليفة واحد للمسلمين فى بغداد هو الخليفة العباسى ، ونتيجة لتعدد الخلفاء بعد قيام الدولة الفاطمية بدأ تعدد قاضى القضاة فى عدة عواصم(١٥٥) .

وقد ظهر الأئمة الأربعة ابتداء من القرن الثانى الهجرى وبتدوين مذاهبهم وانتشارها اخذ القضاة يتقيدون فى قضائهم بمذهب مشهور ، فانتشر مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان (٨٠-١٥٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م) فى سائر بلاد العراق(١٥٦) كما انتشر مذهب الإمام مالك وهو مذهب أهل الحديث فى بلاد الحجاز ، والإمام مالك هو ابن انس الأصبحى ولد سنة ٩٣هـ/٧١١م وتوفى سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م .



- أما المذهب الشافعى نسبه إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعى القرشى المولود بغزة سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م والمتوفى بمصر سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م فقد انتشر فى مصر والشام ٠
- وقد انتشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل المولود ببغداد سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م والمتوفى بها سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م فى بغداد فى بلاد الشام ونجد ٠

وهكذا كان لكل مذهب من هذه المذاهب قاضى قضاة يقوم بدوره بتعيين القضاة فى الأمصار والمدن وفقا لمذهبه(١٥٧) ٠

وكان الخلفاء يتحرون عند اختيار القضاة أن يكون القاضى من أهل العدالة والعلم وقد ذكر المصنفون لكتب "أدب القضاء" الشروط التى يجب توافرها فيمن يقلد منصب القضاء استقوها من الشواهد القرآنية والسوابق من عهد الصحابة ومن تلاهم فقد ذكر الماوردى سبعة شروط هى : الذكورة حيث يشترط فيمن يتولى القضاء أن يكون رجلا ، وأجاز أبو حنيفة تولى المرأة القضاء فيما يجوز فيه شهادتها ويرى الكاسانى أن الذكورة ليست من جواز التقليد فى الجملة لأن المرأة من أهل الشهادات فى الجملة ، إلا أنها لا تقضى فى الحدود والقصاص لأنه لا شهادة لها فى ذلك ، وأهلية القضاء تدور مع أهلية الشهادة وأجاز ابن جرير الطبرى تولى المرأة القضاء فى جميع الأحكام(١٥٨) مع البلوغ ، والإسلام ، والعقل ، والعدالة والحرية والعلم بالأحكام الشرعية ، وسلامة الحواس والعلم بآراء السلف(١٥٩) ، حيث يجب فيمن يتولى القضاء أن يسمع ويبصر حتى يستطيع تمييز الحق من الباطل



وهذا بخلاف سلامة الأعضاء فهى غير معتبره فى القضاء ولكنها معتبرة فى الولاية العامة(١٦٠) .

واهتم الخلفاء والولاة بتصفح أحوال القضاة وتتبع أخبارهم والاطمئنان على سلامة إجراء أحكام العدل بين الناس ، وكان دور بعض الخلفاء مشهودا فى بيان معالم القضاء وكشف غموضه وإزاحة علله(١٦١) .

كان النبى ﷺ هو الذى يتولى القضاء ، وكان يعتمد فى قضائه على الوحى والاجتهاد فيما لا نص فيه ، وقد درب ﷺ أصحابه على ذلك فعندما بعث بمعاذ بن جبل إلى اليمن قال له : "كيف تقضى إذا عرض عليك قضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله قال فإن لم تجد قال أقضي بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد فى سنة رسول الله قال أجتهد فى رأيى ولا آلو فقال له الحمد لله الذى وفق رسول الله إلى ما يرضى الله"(١٦٢) .

وفى عصر الخلفاء الراشدين كانت المصادر هى الكتاب والسنة والإجماع والقياس وذلك على الترتيب السابق ، على أنه إذا كان القاضى من أهل الإجتهاد كما كان فى صدر الإسلام ، فإنه يأخذ الحكم نفسه من هذه المصادر السابقة مباشرة وعلى الترتيب السابق ، أما إذا لم يكن كذلك فإنه يأخذ الحكم منها بواسطة المجتهدين ، واستمر الأمر كذلك حتى ظهور المذاهب الفقهية فقل اجتهاد القاضى وأصبح يحكم وفق قواعد مذهب من المذاهب .

وكان القضاة يرجعون فى الفصل فى الخصومات بين الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يستنبطون الأحكام ، وكانت السنة النبوية لم تدون ولم تجمع

حتى عهد عمر بن عبد العزيز ، فكان إذا تعثر أمرا أمام القضاة رجعوا فيه للخلفاء[١٦٣] .

ولم يكن القاضى فى أحكامه موكولا إلى الاجتهاد الصرف وإنما كان موكولا إلى الاجتهاد فى فهم الشريعة الإسلامية ، وتطبيقها على الحوادث والواقعات[١٦٤] وعلى الرغم من ذلك صارت أصول الأحكام فى الغالب مبنية على أربعة أمور هى كتاب الله وسنة رسوله ، والإجماع والقياس[١٦٥] وصار القاضى يجد من خلالها طريقه إلى العلم بأحكام النوازل وتمييز الحق من الباطل.

وكانت وظيفة القاضى فى عهد الخلفاء الراشدين مقصورة على الفصل فى الخصومات المدنية ، أما القصاص والحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاة الأمصار[١٦٦] إلا أنه مع مرور الزمن لم تقتصر سلطة القاضى على الأعمال القضائية البحتة ، بل امتدت إلى أمور دينية أخرى ليس لها علاقة بالقضاء وإنما ضمت إليه لمعرفته بالضرورة للشرع الإسلامى[١٦٧] .

وهذه الأعمال تتمثل فى الآتى :

النظر فى أموال اليتامى ومثال لذلك أن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج قاضى مصر أثناء ولاية عبد العزيز بن مروان بن الحكم على مصر (٨٦هـ /٧٠٥م) من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان (٨٦-٨٩هـ/ ٧٠٥-٧٠٧م) عين عريف على كل قوم للنظر فى أموال اليتامى وأضيف إلى عمله هذه الوظيفة[١٦٨]

وأيضا النظر فى الأحباس ومثال لذلك توبة بن نمر قاضى مصر أثناء ولاية الوليد بن رفاعة على مصر (١١٥-١٢٠هـ/ ٧٣٣-٧٣٧م) من قبل هشام بن عبد الملك



(١٠٥-١٢٥هـ) وكانت الأحباس من قبل فى أيدى أهلها وفى أيدى أوصيائهم ، ولم يمت توبة حتى صار للأحباس ديوانا عظيما[١٦٩] .

وأضيفت إلى القضاء ولاية الشرطة ، ومن القضاة الذين تولوا الشرطة مع وظيفتهم عابس بن سعيد الذى تولى القضاء من قبل مسلمة بن مخلد الأنصارى (٦٠-٦٨هـ / ٦٧٩-٦٨٧م) وأقره مروان بن الحكم عندما جاء إلى مصر وجمع له القضاء والشرطة ، وأيضا يونس بن عطية الذى تولى القضاء من قبل عبد العزيز بن مروان (٨٤-٨٦هـ / ٧٠٣-٧٠٥م)[١٧٠] .

ومن الأعمال التى أضيفت إلى القاضى امامة المصلين والخطابة وولاية الحج . وأخذ البيعة للخليفة أو السلطان ، ومصاحبة الجيوش[١٧١] ، وتولى بعضهم قيادة الجيوش[١٧٢] وأيضا الإشراف على الأحوال الدينية ، والإشراف على المكاييل والعملة[١٧٣] .

ومن الأعمال التى أضيفت إلى القاضى خروجه لرؤية هلال شهر رمضان مع الشهود وقد أضيفت هذه السلطة إلى القاضى فى ولاية عبد الله بن لهيعة على القضاء (١٥٥-١٦٤هـ/ ٧٧١-٧٨٠م) من قبل الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، وكذلك أثناء ولاية هاشم بن أبى بكر البكرى قضاء مصر (١٩٤-١٩٦هـ/ ٨٠٩-٨١١م) من قبل محمد الأمين خرج لرؤية هلال رمضان[١٧٤].

وكان بعض القضاة على درجة كبيرة من الكفاية والخبرة التى جعلت بعض الخلفاء يولونهم أمورا خارجة عن اختصاص القضاء ، فقد خول الخليفة عمر بن

عبد العزيز أبا إدريس الخولانى فى النظر فى المظالم[١٧٥] وجمع هشام بن عبد الملك الشرطة والأحداث مع القضاء إلى بلال بن أبى بردة[١٧٦] .

وقد كانت وظيفة القضاء من الوظائف السامية التى تحاط بالهيبة والإجلال كما كان لصاحبها نفوذ كبير يتفق مع خطورة العمل الذى يؤديه .

ونتيجة لكثرة الأعمال المسندة للقاضى فقد اتخذ له نوابا فى الأقاليم[١٧٧] واتخذ القاضى الشهود ليعاونوه فى عمله القضائى البحت ، وكان يطلق على الشهود اسم الشهود العدول حيث يتصفون بالأمانة والعدل ولا يشك فى ذمتهم وكان القاضى يراقب تصرفاتهم[١٧٨] . ولهم رئيس يسمى مقدم الشهود[١٧٩] .

واتخذ القاضى بوابا وحاجبا وأعوانا لإحضار الخصوم وكتابا ومترجمين ومستمعين ، وصار العلماء يحضرون مجلس الحكم للمشاورة فى المشكلات والمناظرة فى المجتهدات[١٨٠] .

وكان المكان الذى يجتمع فيه القاضى بالخصوم يعرف باسم مجلس الحكم وكان مقره مسجد العاصمة الكبير ، وكان القاضى أحيانا يفصل فى أمور الناس وهو فى داره ، وكان مجلس الحكم يعقد علنا فى أيام محدودة[١٨١] ، ويتكون هذا المجلس من القاضى والشهود العدول ، والموقعين الذين يكتبون ما يدور فى الجلسة ، والحجاب الذين ينظمون دخول المتخاصمين[١٨٢] .

وكان تعيين القضاة وعزلهم لا يتأثر بتعاقب الخلفاء وتبدل الولاة وتغيير الدول، ومثال لذلك فقد ولى شريح بن الحارث الكندى قضاء الكوفة منذ خلافة عمر بن

الخطاب ﷺ وحتى خلافة عبد الملك بن مروان[١٨٣] وولى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى القضاء لبنى أمية ثم ولى القضاء لبنى العباس[١٨٤] .

وهذا يدل دلالة واضحة على استقلال القضاء وعدم تأثره بالاتجاهات السياسية ، وحرص الدولة الإسلامية مع تعاقب حكامها على نزاهة القضاء وإجراء أحكام العدل بين الناس من جهة أخرى .

واستتماما لاهتمام الخلفاء بأمر القضاء صرفوا للقضاة الرزق والعطاء ، وكانت رواتبهم تختلف بين خليفة وآخر وبين عهد وعهد وبلد وبلد وذلك وفقا للأحوال المعيشية .

ومثال لذلك القاضى عبد الرحمن بن حجيرة كان على قضاء مصر من قبل عبد العزيز بن مروان (٦٩-٨٣هـ/ ٦٨٨-٧٠٢م) وكان راتبه فى السنة ألف دينار[١٨٥] ، وكان للقاضى زى معين يتميز به ويمنع القاضى من أخذ الهدايا ، وكان يركب بغلة شهباء ولا يسمح لأحد باتخاذ بغلة مثلها[١٨٦] .

قضاء المظالم:

نظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة[١٨٧] ، فهى وظيفة ممتزجة بين سطوة السلطنة ونصفه القضاء ، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى وكأنه يمضى ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه[١٨٨] .

وفى بداية الأمر كانت ولاية المظالم متداخلة مع ولاية القضاء وفرعا منها ومنذ نهاية القرن الأول الهجرى نظم القضاء وتحددت اختصاصاته ، كما نظمت



ولاية المظالم ، وتحددت اختصاصاتها ، وهكذا أصبحت ولاية المظالم تجمع بين خصائص القضاء والتنفيذ معا ، ولذلك لا يسمى من يتولها قاضيا بل بسمى صاحب المظالم أو ناظر المظالم(١٨٩) .

وكان السبب فى ظهور ذلك هو تضخم ظروف الحياة فى الخلافة الإسلامية ويعتبر هذا النظام من أعظم أمور القضاء لأنه يمكن المتخاصمين من اللجوء إليه فى حالة التظلم من حكم أصدره القاضى وخلال عهد الرسول ﷺ لم تدع الحاجة إلى النظر فى المظالم ، وكذلك خلال عهد الخلفاء الراشدين ، لأن الوازع الدينى فى عهدهم كان له سلطان على نفوس المسلمين حيث لم ينتدب أحد من الخلفاء الراشدين للمظالم ، وكان أول من نظر فيها هو عبد الملك بن مروان حيث جعل يوما يتصفح فيه قصص المتظالمين ، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يقوم بنفسه للنظر فى المظالم ورد الحقوق لأصحابها ، كما جلس لها من الخلفاء العباسيين الخليفة المهدى ، والهادى ، وهارون الرشيد ، والمأمون والخلفاء من بعدهم(١٩٠) ونشأ ديوان خاص للنظر فى المظالم خلال العصر العباسى ، كان بمثابة هيئة تحكيم أو محكمة استئناف يلجأ إليها المتخاصمون عند اعتراضهم على حكم أصدره القاضى .

وكان مقر نظر المظالم هو مقر الخليفة فى العاصمة ، ويكون عادة فى القصر أو أثناء سيره فى المواكب ، فعلى سبيل المثال كان ناظر المظالم فى القصر الفاطمى يجلس فى مكان خاص بقصرهم يعرف بباب الذهب(١٩١) .

ويذكر الماوردى أن مجلس والى المظالم لا يستغنى عن خمسة أصناف ولا ينتظم نظره إلا بهم ، وهذه الأصناف هى :-



١- **الحماة والأعوان** : لتنظيم المجلس وحمايته ٠

٢- **القضاة والحكام** : لاستعلام ما يثبت عندهم من الحقوق ومعرفة ما يجرى فى مجالسهم بين الخصوم ٠

٣- **الفقهاء** : ليرجع إليهم فيما أشكل ويسألهم عما اشتبه وأعضل ٠

٤- **الكتاب** : ليثبتوا ما جرى بين الخصوم وما لهم وما عليهم من حقوق ٠

٥- **الشهود**(١٩٢) .

وفيما يتعلق باختصاصات قضاة المظالم فهى الفصل فى النزاع بين الناس والدولة أو أحد أفراد موظفيها فى أى عمل من أعمالها سواء كان فى الحكم أم الإدارة أو فى غيرها ، وقد فصل الماوردى هذه الاختصاصات بالآتى :

- تعدى الولاة على الرعية ٠
- جور العمال فى جباية الأموال من الرعية ٠
- التظلمات المتعلقة بالميزانية وقضايا الدخل والخرج منها ٠
- تظلمات الموظفين فى رواتبهم من نقص أو تأخير فى تسليمها ٠
- رد الغصوب التى استولى عليها ذوى السلطان والأيدى القوية ٠
- تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه فى ميدان الأحكام والحسبة والعبادات الظاهرة
- النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة فى مصالح العامة ٠
- مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع ، والأعياد ، والحج والجهاد ٠
- النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين(١٩٣) .

ويشترط فيمن يتولى قضاء المظالم أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، وله من علو اليد وعظيم الرهبة ما يقمع به الظالم ويمنعه عن التغلب والتجاذب(١٩٤)، لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحكام، وثبات القضاة، فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين.

الحسبة:

الحسبة نظام إسلامي قديم قدم الإسلام وتطور بتطور الحضارة الإسلامية، وصار له قواعد وقوانين شملت معظم مناحي الحياة، وأساس هذا النظام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأساس له سند شرعي في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾(١٩٥).

ويجب الأمر بالمعروف إذا ظهر في المجتمع تركه، وكذلك النهي عن المنكر إذا ظهر فعله، ولذا فإن نظام الحسبة مبني على الشدة والسرعة في الفصل(١٩٦) ولذا ما لبث نظام الحسبة أن تطور وتعدى ذلك، إلى واجبات عملية تتفق ومصالح المجتمع وبخاصة سكان المدن حيث كان معظمهم من أرباب الحرف والتجارة.

وهذا النظام باشره الرسول ﷺ بنفسه، حيث كانت أقواله وأفعاله مليئة بنهيه عن المنكر وبأمره بالمعروف حيث نهى عن عبادة الأوثان وأمر بعبادة الله

الواحد الأحد ، كما نهى عن أكل الربا ، ونهاهم عن بيع المعدوم ، وهو بيع الشئ قبل أن يكون أمام المشترى ، ونهى عن أشياء عديدة كانت منتشرة فى المجتمع(١٩٧) .

وكان ﷺ يمر فى الأسواق ويتفقد حال السلع ومدى سلامتها ، حتى أنه رأى بعض السلع وقد أصابها التلف وصاحبها يغش بها الناس ، فقال ﷺ " من غشنا فليس منا " وأن الغاش ليس بمؤمن .

وقال ﷺ: "إياكم والجلوس فى الطرقات" ، كما نهى القرآن الكريم عن التطفيف فى الموازين والمكاييل ، ونهى الرسول ﷺ عن الاحتكار والتسعير(١٩٨)

عن أبى سعيد الخدرى أن الرسول ﷺ نهى عن المنابذة ، وهى طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى الرجل قبل أن يقلبه أو ينظر إليه ، ونهى عن الملامسة ، والملامسة لمس الرجل الثوب لا لينظر إليه .

ومن وسائل الرسول ﷺ فى حفظ حقوق العاملين وزجره عن استغلال جهلهم بحال الأسواق والأسعار ، أنه منع تلقى الركبان وبيع الحاضر للبادى - للسمسار - وبيع الرجل على بيع أخيه(١٩٩) .

وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسول ﷺ فى إقامة الحسبة بين الناس ، وقد روى أن عمر بن الخطاب ضرب جمالا وقال له حملت جملك ما لا يطيق وروى أنه حرق بيت الرويشد الثقفى لأنه كان يبيع الخمر ، وقال له أنت فويسق ولست برويشد .

وفى العصر الأموى اتسعت الدولة الإسلامية وكثرت مشاكلها وشغل الخلفاء بالأمور الإدارية فأخذوا يعينون من يقومون بعمل الحسبة ، ويدعى المحتسب ،

وأصبح نظام الحسبة فى العصر الأموى له جهاز كبير يتبعه كثير من الموظفين يعاونون المحتسب(٢٠٠) .

وقد اشترط الفقهاء فى المحتسب عدة شروط هى أن يكون مسلما ، حرا ، بالغا، عاقلا ، قادرا والشرط الأخير مهم لأن الحسبة موضوعه للرهبة ، وأن يكون عالم بالمنكرات الظاهرة(٢٠١) .

ومن صفات المحتسب :-

- يجب أن يكون بارعا فى الاجتهاد .
- وأن يعمل بما يعلم ولا يكون قوله مخالفا لفعله حتى لا يتعرض لسخرية الناس من ناحية وتكون دعوته مقبولة من ناحية أخرى لأنه لا يجوز أن يدعوا لشئ يفقده(٢٠٢) ، وأيضا ليتجنب قول الله تعالى فى ذم مثل هذا:

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٢٠٣).

- كما اشترط أن يكون مرتب المحتسب من بيت المال ، وكان له زى مميز ، حيث كان يرتدى زى العلماء (٢٠٤) .

مهام المحتسب :

كانت المهام الداخلة تحت وظيفة المحتسب عديدة والجهات الموكلة إلى نظرة كثيرة ولذلك كان يتخذ الأعوان للوفاء بعمله والقدرة على القيام به ، وكان من جملة الأعمال التى ينظر فيها ما يلى :



مهام المحتسب الاقتصادية:

كان من مهام المحتسب الاقتصادية إشرافه على أصحاب الحرف والمهن التى تتعلق بالمجال الاقتصادي فكان يراقب عملية صنع الخبز حيث كان له دفتر خاص يسمى "دفتر المحتسب" يسجل فيه أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم ، وكان يخصص لكل حانوت من هذه الحوانيت كمية معينة من الدقيق كل يوم لئلا يختل اقتصاد البلد من قلة الخبز ويلزمهم بذلك(٢٠٥) .

وكان المحتسب يزن الخبز حيث كان له وزنا معلوما ، وكان يلزم الفرانين بألا يخرجوا الخبز من بيت النار إلا بعد تمام نضجه(٢٠٦) .

وكان يأمر الجزارين بعدم ذبح الحوامل من البقر وأن توضع ذيول الماعز معلقة فوق لحومها حتى يعرف الناس نوع اللحوم التى يشترونها ، وعلى الجزارين ذبح الحيوانات فى المذابح لا على أبواب دكاكينهم لئلا تتلوث الطريق بالدم والروث(٢٠٧) ، وكان يقوم بحملات تفتيشية على المطاعم والشوانين والطباخين والعطارين والنحاسين والحدادين والسقائين ، والخياطين والبزازين للاطمئنان على عملهم والتأكد أن أحدا لم يرتكب أية مخالفة ، فإذا عثر على شئ من ذلك كان عليه أن يمنعه فى الحال(٢٠٨).

وكان يقوم بترتيب وتنظيم الصناعات المختلفة من خلال إقامة كل صنعة فى مكان خاص بها ، وكان الهدف من ذلك هو تسهيل عملية الإشراف عليها ومراقبة ما يتم فيها من صناعات ، ولكى لا تتلف صنعة أخرى(٢٠٩) .

وكان المحتسب يتأكد من الدراهم والدنانير المتداولة فى الأسواق وأنها غير مزورة ومختومة بخاتم السلطان ، وكان يراقب المكاييل والموازين المتداولة فى الأسواق ويمنع الإحتكار ، ويذكر البائعين بعدم خلط البضاعة الرديئة بالجيدة ، وكان يمنع الكبوديين – بائعى الكبده – من خلط كبود الماعز أو البقر بكبود الضأن ومن خلط البائت بالطازج ، وألا يخلطوا لحوم الإبل بلحوم البقر(٢١٠) .

ولكى يتمكن المحتسب من أداء مهامه الاقتصادية كان يختار لكل صنعة عريفا من بين أفرادها يشرف على أحوال طائفته ، ويطلع على أخبارهم وحيلهم وطرق غشهم حتى يتسنى له مراقبتهم .

مهام المحتسب الاجتماعية :

كان المحتسب وأعوانه يشرفون على أخلاق أفراد المجتمع وكان يحرص على توفر الأمانة والأخلاق الحسنة بينهم ، وكذلك اتباع سلوك حميد والظهور بالمظهر اللائق(٢١١) .

فكان من واجباته الاجتماعية الإشراف على الآداب العامة ومنع اختلاط الرجال بالنساء فى المتنزهات والأسواق والطرقات وغيرها ، كما كان يمنع الناس من التطلع على جيرانهم من النوافذ والأبواب أو من على السطوح(٢١٢) وكان يراقب الحمامات العامة ، ويحافظ على الآداب والأخلاق الحسنة بها ، وكان يمنع النساء من الجلوس على أبواب الحوانيت خاصة حوانيت القطانين والكتانين ، وراقب النساء فى الأفراح ، وكذلك فى الجنائز والمآتم وسلوكهن وسيرهن فى الطرقات والملابس التى كانت ترتديها النساء(٢١٣) .



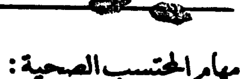
مهام المحتسب الدينية :

ومن مهام المحتسب الدينية إقامة الشرع وإحياء السنة . فكان يطبق الأحكام على من يفطر فى نهار رمضان ، وعلى المطلقات اللائى لا يراعين العدة قبل زواجهن للمرة الثانية(٢١٤) ، وحرص أن تسير الجنازة وفقا لما نصت عليه الشريعة الإسلامية ، وكان يمنع النساء من تتبع الجنائز وكشف وجوههن ورؤوسهن(٢١٥) وكان يهتم بأمر المساجد من حيث عمارتها وتنظيفها وحفظ الأمن بداخلها ، كان يأمر الأئمة فى المساجد بعدم الإطالة فى الصلاة(٢١٦) .

وكان يختار مؤذن المسجد واشترط منه أن يكون ذكرا مسلما عاقلا وكان يختبرهم فى الأوقات ، وكان ينهى عن التغنى فى الآذان وكذلك التطويل(٢١٧) .

وكان يمتحن الوعاظ والقراء ، ولا يجوز أن يعمل بالوعظ إلا من كان عالما بالعلوم الشرعية حافظا لكتاب الله ، والأحاديث النبوية الشريفة . وأن يكون صالحا فاضلا ذا سيرة محمودة بين الناس(٢١٨) .

وكان يحث الناس على أداء الصلوات الخمس فى مواقيتها وأداء الأمانة وكان يشرف على أهل الذمة ويأمرهم باتخاذ الخيار ، ومنعهم من ركوب الخيل والبغال والحمير وألا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة وأن يكون فى أعناق النصارى الصلبان واليهود الجلاجل إذا دخلوا الحمام(٢١٩) ، وشدد على الخمارين وطارد السكارى وعاقب المخالفين .



مهام المحتسب الصحية :

كان المحتسب يشرف على أداء عمل الأطباء والكحالين والمجبرين وغيرهم من أصحاب الحرف التى لها علاقة بصحة الإنسان ، وكان يشترط عليهم خاصة أو يعقد لهم اختبارات فمن ثبت كفاءته سمح له بممارسة المهنة وأعطى تصريحا بذلك من العريف الخاص وكان يراقب عملية صنع الخبز فيطلب من العجانين استعمال أوعية للماء نظيفة وذات غطاء وغسل المعاجين قبل استعمالها وأن يكون العجان ملثما أثناء عمله ، وأن يشد عصابة فوق جبينه تمنع تساقط العرق منه ، ويحلق شعر ذراعية حتى لا يسقط شئ منه فى العجين ، وأن ينخل العجان الدقيق قبل عجنه ، ويكلف شخصا آخر بطرد الذباب بمذبة يمسكها بيده ، ويأمر الفرانين بإصلاح المداخن وتنظيف بلاط الفرن بالكنس من بقايا الخبز المحترقة ، وكان يراقب السقائين ويأمرهم بجلب المياه من داخل البحر حتى يبعد عن مواضع الأوساخ ويأمرهم بنظافة قربهم وتغطيتها وكيزان الشرب التى اشترط فيها عدم استخدام كيزان المجزوم والأبرص[٢٢٠] .

ومن مهام المحتسب الصحية إشرافه على الحمامات وتفقدها كل يوم وكان يأمر ضامن الحمام بنظافته وكنسه وغسله بالماء النظيف بالأشياء الخشنة لئلا يتعلق بها الأوساخ والصابون[٢٢١] .

وكان يشرف على الباعة الجائلين ويأمرهم بتغطية الأطعمة من الذباب والحوام ، وأن يغسلوا أطيافهم بالماء النظيف[٢٢٢] .





وكان للمحتسب سلطة تنفيذية مفوضة إلى رأيه ، وهو ما عرف بالتعزير ، الذى هو نوع من العقاب لم يقرره القرآن الكريم ، وكانَ يستعين فى تنفيذه بالأعوان[٢٢٣] وشمل التعزير عدة أنواع منه : الردع بالقضاء على شئ محرم ، والتوبيخ بالقول أو الضرب ، بالسوط المتوسط أو الغليظ ، أو بالدره وهى من جلد البقر أو الجمل ٠

ومن التعزير أيضا النفى من البلد ، والتشهير أو التجريس[٢٢٤] ٠

وبعد دراسة الحسبة والمحتسب نجد أن الهدف من الحسبة أمر دينى يقضى بالمحافظة على حياة الناس ، وابتغاء مرضاة الله فى جميع تصرفاتهم ، وكان يقوم بذلك المحتسب الذى تطورت وظيفته واتسعت مهامه ، فكان ينظر فى أحوال الرعية ، وكشف أحوال الأسواق ، ومنع التجار من الغش والاحتكار ، وكذلك مراقبة صانعى الأطعمة مثل الخبز واللحوم والحلويات ومراقبة السقائين ، والإشراف على المساجد والتدقيق فى اختيار الأئمة والوعاظ والمؤذنين وغيرها من الأمور التى ذكرناها ، وهكذا كانت الحسبة والمحتسب فى الحضارة الإسلامية نظاما متكاملا يشرف على شتى مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والصحية .

الشرطة :

الشرطة[٢٢٥] وهى وظيفة من وظائف السيف وموضوعها تنفيذ العقوبات وبعد الفتح الإسلامى امتدت أطراف الدولة الإسلامية إداريا ، وأنشئت الدواوين وبيت المال ، وبعد زيادة الخراج أصبحت المدينة فى حاجة ماسة إلى حراسة ليلية مستمرة ، فخصص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لهذه المهمة بعض الرجال

الذين يتناوبون الحراسة فيما بينهم فى نوبات ودوريات متبادلة ، وسمى هؤلاء بالشرطة لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها(٢٢٦) .

وكانت وظيفة الشرطة هى توفير الأمن والأمان للمواطنين ، وحراسة مؤسسات الدولة العامة ، وأطلق على الرجال الذين يقومون بهذه المهمة اسم العسس وذلك خلال عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ(٢٢٧) .

وكان الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أول من اتخذ صاحب شرطة ، وكان على الشرطة فى عهده عبد الله بن قنفذ التميمى القرشى ، غير أنه لم يكن يسير بين يدى عثمان بن عفان ﷺ بحربة ، ولم تكن هناك جماعة للشرطة(٢٢٨) فكان عبد الله بن قنفذ على الفساد وتتبع الجناة والمفسدين فقط .

واتخذ الخليفة على بن أبى طالب ﷺ فى الكوفة صاحب شرطة هو معقل بن قيس الرياحى ، وقيل أن الشرطة نظمت تنظيما متميزا فى عهد على بن أبى طالب ﷺ ، أو فى عهد بنى أمية(٢٢٩) .

وكان الولاة على الأمصار يتخذون صاحب شرطة لهم ، فكان للوالى فى أغلب الأحيان حق تعيين صاحب الشرطة على أنه كان بمثابة نائب الوالى حيث كان ينوب عنه فى إدارة البلاد أثناء غيابه للحج أو الحرب ، كما كان ينوب عنه أيضا فى إقامة الصلاة(٢٣٠) .

وكان الخلفاء يتدخلون فى بعض الأحيان فى تعيين أصحاب الشرطة ولجأ بعضهم إلى تعيين صاحب الشرطة فى منصب الوالى بعد تنحية الوالى أو وفاته . وهذا بطبيعة الحال راجعا إلى تمرس أصحاب الشرطة فى الحكم(٢٣١) .



ومثال للولاة الذين كانوا يتخذون صاحب شرطة والى البصرة زياد بن أبيه والذى احتاج إلى زيادة عدد الشرطة فيها للقضاء على المفسدين وأهل العبث فى النهار والليل بسبب الحرب التى كانت قد اشتعلت من سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م وحتى سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م ، وكان زياد قد اتخذ رجلين ولاهما أمر الشرطة وكان يسيران بين يديه بالحربة ولما تنازعا ذات يوم أعفى أحدهما وثبت الأخر[٢٣٢] .

وكان لأبى جعفر المنصور صاحب شرطة على العدوى - المفاسد - وصاحب شرطة للحربة أى يكون ملازما للخليفة ويسير بين يديه[٢٣٣] .

وخلال عهد المأمون عرفت الشرطة نظام المباحث حيث كان له عدد من النسوة العجائز يأتونه كل مساء بأخبار اللصوص وقطاع الطرق والمعارضين السياسيين[٢٣٤] .

وبعدما كان رئيس جهز الشرطة يسمى فى خلافة بنى أمية "**صاحب الأحداث**" سمى فى العصر العباسى " **صاحب الشرطة**" وفى دولة الترك عرف باسم "**والى الشرطة**"[٢٣٥] ، وكان يطلق عليه فى الأندلس اسم " **صاحب المدينة**" واسم الحاكم فى بلاد أفريقية .

مهام صاحب الشرطة :

كانوا يساعدون الولاة فى مهامهم بجانب مساعدة القضاة فى تنفيذه أحكامهم هذا بجانب تنفيذ العقوبات التى كانت تفرض على بعض المخالفين والمذنبين من قبل المحتسب .

كانوا يحافظون على الأمن الداخلى بمنع وقوع الجرائم والقبض على الجناة وإقامة الحدود عليهم[٢٣٦] وتنفيذ عقوبات السجن وغيرها .

- ومن مهامهم نشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق الفاضلة ومنع الفساد[٢٣٧]
- وأسندت إليهم بعض المهام الأخرى بجانب الحراسة ومنع الفساد حيث كانوا يساهمون فى إطفاء الحرائق ، وتحصيل الجزية وإصدار الدنانير[٢٣٨] .
- وأيضا الإشراف على السجون ومراقبة أسوار المدن وأبوابها ، هذا وكان للشرطة زى خاص وأسلحة خاصة شملت الحربة والطبرزين – وهى عبارة عن سكين طويلة أو بلطة يعلقها فى وسطه ، والسوط الذى كان يصنع من الجلد .

السجون وأحوالها :

ظهرت السجون فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكنها نظمت فى عهد عمر بن عبد العزيز الذى أوجد لها ديوانا يشرف عليها ، وأمر بإعطاء المسجونين رزق الصيف والشتاء وكسوة الشتاء والصيف ، والعناية بمرضاهم ، وألا يقيد أحد فى المحابس بقيد يمنعه من الصلاة ، والفصل بين فئات المسجونين بين من يسجن فى دين ومن يسجن فى جريمة ، وجعل للنساء حبسا على حدة .

بينما تذكر سجون الحجاج فى العراق بعدم ملاءمتها للصحة العامة والقسوة فى معاملة المساجين[٢٣٩] .

وكانت السجون فى مصر خلال العصر الفاطمى سيئة للغاية ، حيث يصفها المقريزى بقوله "كلها شنيع المنظر والمخبر ، كلها موحش قذر وضيق ، يشم المار بقربه



رائحة كريهة ، ويسمع صراخ المساجين وشكواهم الجوع والعرى ، والقمل وشدة الظلام وكثرة الوطاويط ، أى أن الداخل إليها مفقود والخارج منها مولود"(٢٤٠) .

ويعد حبس المعونة أقدم السجون الفاطمية بمصر (الفسطاط) اتخذه يانس الصقلى أحد ولاة الشرطة سجنا سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م بعدما كان دارا للشرطة ، وأنشأ المستنصر بالله سجنا بخزانة البنود لأرباب الجرائم السياسية من الوزراء والأمراء والأعيان(٢٤١) .

الدواوين :

الديوان : موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال .

اختلفت فى أصل كلمة ديوان فقيل أنها ترجع إلى العربية ومعناها الأصلى الذى يرجع إليه ويعمل بما جاء فيه ، ومنه قول ابن العباس : إذ سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب(٢٤٢) ، ويقال دونته أى أثبته .

ويطلق الديوان على مجتمع الصحف أو الكتاب أو السجل أو الدفتر الذى يكتب فيه أسماء المقاتلين ومقدار ما خصص لهم من عطاء وأرزاق كما صار يطلق على المكان الذى يجلس فيه الكتاب وتحفظ فيه السجلات(٢٤٣) .

نشأة الدواوين :

لم يفرض الرسول ﷺ ، ولا أبو بكر الصديق ﷺ للمسلمين عطاء مقررا ، ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم ، وإذا ورد إلى المدينة ما من بعض البلاد ، أحضر إلى الرسول ﷺ وفرق فيهم حسب ما يراه ، وجرى الأمر على ذلك فى خلافة أبو بكر ﷺ .

يذكر الماوردى الدواوين كان فى المحرم سنة ١٠هـ(٢٤٤) ، وبالطبع هذا ليس صحيح لأن عمر بن الخطاب ﷺ تولى الحكم من سنة (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٤م) وقد تباينت الروايات حول تاريخ وضع الديوان حيث ذكر كل من ابن الأثير(٢٤٥) والطبرى(٢٤٦) أن الخليفة عمر ﷺ دون الدواوين سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م بينما ذكر البلاذرى(٢٤٧) والنويرى(٢٤٨) وابن خلدون(٢٤٩) أن سنة تدوين الدواوين هى سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م والمرجح أن الرواية الأخيرة هى الأقرب إلى الصحيح ، أما الرواية التى تشير إلى أن البداية كانت فى سنة ١٥هـ / ٦٣٦م فيبدوا أن الخليفة بدأ بالفعل فى التفكير بتدوين الدواوين ، وجرت المشاورات واستغرقت وقتا طويلا حتى كانت سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م أصبح الديوان قائما .

فلما كانت سنة ١٥هـ / ٦٣٦م خلال خلافة عمر بن الخطاب ﷺ رأى أن الفتوح قد توالت وأن الأموال قد زادت . فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال ، ولم يكن يعرف كيف يضبط ذلك فأشار عليه جماعة من الفرس المسلمين بالأخذ بنظام الدواوين عن الدولة الفارسية(٢٥٠) .

وفطن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لذلك وكان أول من وضع الدواوين ورتبها من العرب فى الإسلام[٢٥١] وكان الديوان الذى وضعه هو "ديوان الجند" ولكنه كان يعرف باسم الديوان فقط لأنه الديوان الوحيد فى المدينة ، حاضرة الدولة الإسلامية آنذاك[٢٥٢] وكانت هناك دواوين مماثلة فى الأمصار مثل البصرة والكوفة والشام ومصر وغيرها ، ورأى الخليفة عمر أن يجعل العطاء على حسب السبق فى الإسلام ، ثم استخدم الكتاب فى الدواوين ، وهم رجال مدنيون من أرباب الأقلام ، وكان معظمهم من أهالى البلاد المفتوحة ، وظلت تستخدم فيها لغات غير العربية ، فكان ديوان الشام بالسريانية أو باليونانية ، وديوان مصر بالقبطية وديوان فارس والعراق بالفارسية[٢٥٣] .

تعريب الدواوين :

كانت لغة الدواوين حتى عهد عبد الملك بن مروان فى العراق فارسية وفى الشام الرومية ، ومصر اليونانية[٢٥٤] وكان سرجون ابن منصور يتولى ديوان الشام فأمره عبد الملك يوما فتثاقل عنه وتوانى فيه ، فعاد لطلبه وحثه عليه ، فرأى منه تفريطا وتقصيرا . فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والى الأردن ، وكان يتولى له ديوان الرسائل ، أن ينقل ديوان الشام إلى العربية وقد أتم سليمان التعريب فى سنة واحدة[٢٥٥] وكان ذلك سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م .

أما ديوان العراق فقد أمر الحجاج بن يوسف الثقفى سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م كاتبة صالح بن عبد الرحمن مولى بنى سعد ، وكان يكتب بالعربية والفارسية[٢٥٦] أن يقوم بتعريب الدواوين ففعل .



أما ديوان مصر فقد نقل إلى العربية سنة ٨٧هـ/٧٠٥م وذلك بأمر من أميرها عبد الله ابن عبد الملك بن مروان فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، فصرف عبد الله بن انتناش (القبطى) وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص[٢٥٧] .

وكان هناك ديوان خراج فى خراسان وتم تعريبة سنة ١٢٤هـ/ ٧٤٢م فى ولاية نصر ابن سيار من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك[٢٥٨] .

أثر تعريب الدواوين :

كان لتعريب الدواوين أثر مزدوج من الناحيتين السياسية والأدبية ، فمن الناحية السياسية أصبحت لغة الدواوين هى اللغة العربية مما ساعد على تقلص نفوذ أهل الذمة ، والمسلمين من غير العرب ، ومن الناحية الأدبية أصبحت اللغة العربية لغة التدوين فنقل إليها الكثير من الاصطلاحات الفارسية والرومية وابتدأت تظهر طبقة الكتاب منذ ذلك الوقت .

وخلال العصر العباسى أصبح لموظفى الدواوين مكانة كبيرة ، حيث كانت لهم علامات تميزهم عن غيرهم من رجال الدولة ، مثل الدواة والكرسى ، والمخدة والمسند والمرتبة[٢٥٩] وهى أدوات تستخدم فى الكتابة والجلوس فى الديوان ، وكانوا يتميزون فى ملابسهم بعمائم كبيرة تتفاوت فى ضخامتها حسب مراتبهم ، وكان يطلق عليهم أصحاب العمائم[٢٦٠] .

ويذكر قدامة بن جعفر أنه خلال العصر العباسى كان هناك مجلسين لديوان الجيش هما مجلس التقرير ويجرى فيه أمر استحقاقات الرجال ، وتقدير أرزاقهم ، والثانى مجلس المقابلة ويختص بالسجلات وتصفح الأسماء[٢٦١] .



وكان ديوان الجيش فى العصر الفاطمى يتألف من قسمين هما : الأول ديوان الجيش ويتولى تصفح أحوال الجند فمن نجح منهم عرضت دوابه فكان لا يثبت بالديوان إلا الجيد ، والثانى ديوان الرواتب ويشمل أسماء كل مرتزق ، ويشمل راتب الوزير ، وحواشى الخليفة وأرباب الرتب وقاضى القضاة ومن يليه وداعى الدعاة وقراء الحضرة ، وخطباء المساجد ، والشعراء ، ورجال الدواوين ، والمستخدمين فى القصور السلطانية وغيرهم(٢٦٢) .

وكان عمل الدواوين عموما يتلخص فى الإدارة المركزية ، والإدارة المحلية ، تشمل الإدارة المركزية التراسل وشئون المال وتشمل الثانية إدارة الولايات .

ديوان الخاتم :

كان معاوية بن أبى سفيان أول من اتخذ ديوان الخاتم وذلك على أثر التزوير الذى وقع فى إحدى رسائله إلى بعض ولاته(٢٦٣) وقد عرف الختم على الرسائل والصكوك من قبل الإسلام ، وقيل كان للأكاسرة أربعة خواتيم .

فكان على خاتم الحرب والشرط **"الأناة"** .

وعلى خاتم الخراج والعمارة **"التأييد"** .

وعلى خاتم البريد **"الوحاء"** .

وعلى خاتم المظالم **"العدل"**(٢٦٤) .

واتخذ الرسول ﷺ خاتما من فضة ونقش فيه "محمد رسول الله" وكان يختم به الكتب التى كان يبعث بها إلى الملوك والرؤساء ، وختم الخلفاء من بعده

حتى سقط من يد عثمان بن عفان ﷺ في بئر أريس ، فصنع عثمان آخر على أمثاله[265] فلما كان عهد معاوية رتب وظيفته واتخذ له الديوان ، واتخذ كل خليفة من بعد نقشا خاصا لخاتمه . وكانت الكتب الموجهة من دار الخلافة تمر به وتثبت فيه ، وتختم بخاتم الخليفة فعلى سبيل المثال نقش الخليفة المأمون خاتمه "الموت حق"[266] وذلك بعد أن تكون قد مرت على دواوين عدة ، وتم التأكد من صحتها[267]. ويبلغ من أهمية الخاتم أنه كان الوزير في العصر العباسي إذا تناوله بيده به كتابا وقف تعظيما للخلافة وإجلالا لاسم الخليفة[268] واستمر هذا الديوان إلى أواسط العصر العباسي ثم ألغى لتحول الأعمال إلى نظر السلاطين[269]

ديوان الرسائل :

يبدو أن تنظيم هذه الوظيفة وترتيب ديوان لها تم في خلافة عبد الملك بن مروان[270] وعرف ديوان الرسائل باسم ديوان الإنشاء[271] منذ أخريات الدولة العباسية ، وعرف باسم ديوان الإنشاء في الدولة الفاطمية أيضا .

وكان ديوان الرسائل من الدواوين الجليلة في الدولة وكان من يتولاه يتمتع بحظوة متقدمة عند الخليفة ، وكان يخاطب في عهد الفاطميين بالشيخ الأجل ويقال له كاتب الدست الشريف ، وتسلم إليه المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة ، ويأمر بالإجابة عنها ، وكان الخليفة يستشير رئيس ديوان الإنشاء في أكثر الأمور ، ولا يحجب عنه متى أراد المثول بين يدى الخليفة[272] .

وقد أصبح عمل هذا الديوان معقدا ، فتعددت اختصاصاته وكثر من يعملون فيه ، فقد وجد فيه كتاب رئيسيون يقومون بالكتابة والإنشاء ، وآخرون مساعدون

يقومون بالتلخيص والتبييض ، وكان لابد للعاملين فيه من إتقان اللغة العربية ، ومعرفة اللغات الأخرى مثل التركية والفارسية ، واليونانية والأرمنية ، وكان به أرشيف توضع فيه أصول كل ما يصدر عنه وله مشرف خاص يسمى "الخازن"(٢٧٣).

ديوان البريد :

البريد هو تبليغ إجراءات ولاة الأمر إلى الأطراف ، وتوصيل الترتيبات المتعلقة بهذه الأطراف إليها ونقل أخبار هذه الأطراف وحاجاتها إلى ولاة الأمر ، ومن ثم الوقوف على مجريات الأمور والأحداث فى الدولة(٢٧٤) ، بمعنى نقل الأوامر الصادرة من الخليفة إلى عماله فى الولايات وإرسال كتب الولاة إلى الخليفة.

قيل فى أصل لفظ البريد أنه فارسى ، وهو بريده دم ، وقيل بريده ذنب ، أى مقصوص الذنب ، لأنه كان من عادة ملوك الفرس أنهم إذا أقاموا بغلا فى البريد قصوا ذنبه ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد .

وعربت الكلمة وخففت وسميت دابة البريد : بريدا ، والرسول الذى يركبها بريدا ، والمسافة ما بين السكنين أى المحطتين بريدا ، وقدرت هذه المسافة بنحو أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال ، أى أن مسافة البريد اثنا عشر ميلا (٢٧٥) وتعادل ٨٦٤٠٠٠ ذراع هاشمى ، أو ٥١٨٤٠٠٠ شعيرة معترضة ظهر إحداهما لبطن الأخرى(٢٧٦) .

كان البريد سنة قديمة وأسلوب متبعا فى عهد الأكاسرة من ملوك الفرس والقياصرة من ملوك الروم وبدأ البريد بهذا منذ عهد الرسول ﷺ ومن المهام التى أداها البريد زمن الرسول تلك السفارات التى بعثها ﷺ إلى أكابر الملوك والأمراء

كانت مهمتها جميعا هى الدعوة للإسلام ، ومثال لذلك البعثات ، إلى كسرى ، وأمير البحرين وأمير عمان ، وإلى قيصر ، وإلى المقوقس ، وإلى النجاشى وغيرهم ، وهذه البعثات كانت أول عمل قام به ديوان البريد(٢٧٧) .

وبلغ من اهتمام الرسول ﷺ بالبريد أنه أمر عناله أن يبردوا له البريد مع أناس يتوافر فيهم حسن الوجه وجمال الخلقة ، وكان ﷺ حريصا على توافر تلك الصفات فى من بعثهم إلى الملوك المعاصرين له ، وذلك لعلمه بأن المبعوث إنما هو لسان مترجم لرغباته وآرائه ، وإذا لم يكن كذلك خسر مهمته ورجع على مرسله بالخسران المبين(٢٧٨) .

ومن نواحى اهتمام الرسول ﷺ بالبريد أنه اتخذ الخاتم وختم به أبو بكر وعمر وعثمان من بعده ، وسبب اتخاذ الخاتم أنه قيل أن العجم لا يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما ، لأنهم يرون ختم الكتب تعظيما للمكتوب إليه(٢٧٩) .

ومنذ عهد الرسول ﷺ كانت أخبار الجيوش الإسلامية فى ميادين القتال ، وأحوال الأمور فى الولايات تصل إلى ولاة الأمر فى حاضرة الدولة باستمرار ، وكانت توجيهات ولاة الأمر تصل الأمصار ، والاتصال بين الجانبين لا ينقطع(٢٨٠)

البريد زمن الراشدين :

ورث أبو بكر الصديق رضي الله عنه البريد عن الرسول ﷺ وذلك لكثرة الفتوحات ، وقيام حركة الردة مما جعل الأمر يستلزم الإبقاء على نظام البريد والاهتمام به ، وكان البريد يخرج من المدينة إلى ميادين القتال ، وقد حرص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إرسال البريد إلى عماله يأمرهم بإعلان الناس عن مواعيد خروج

البريد إلى المدينة[٢٨١] وحافظ عثمان بن عفان ﷺ على نظام البريد حيث كان يستقصى الأخبار وهو فى المسجد وكان يفعل ذلك يوم الجمعة على وجه الخصوص[٢٨٢] .

بريد الأمويين :

لما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان واتخذ من دمشق عاصمة للدولة الإسلامية ، أنشأ ديوان الخاتم لتنظيم البريد ، وأمر بإحضار الدهاقين من الفرس ، وأهل عمال الروم وعرفهم ما يريد فوضعوا له البريد[٢٨٣] وبذلك كان معاوية أول من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة[٢٨٤] وفى خلافة عبد الملك بن مروان حظى البريد بمزيد من العناية والتنظيم[٢٨٥] وخص لديوانه رجلا من ثقاته الأوفياء هو قبيصة بن ذؤيب كان يقرأ الكتب الواردة من الأقاليم ويخبر عبد الملك بما جاء فيها[٢٨٦] .

ثم يأتى من بعده ابنه الوليد الذى زاد من مهام البريد حيث جعل خيله وابله تحمل الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ليبطن بها حوائط المسجد الجامع بدمشق ، ومساجد مكة ، والمدينة والقدس الشريف[٢٨٧] واهتم عمر بن عبد العزيز بإنشاء خانات للبريد على جوانب الطرق الرئيسية خصوصا بطريق خرسان ليبيت فيها الناس ، وأمكنة يقيم فيها الدواب من خيل وجمال ، ومياه فى الأحواض للشرب[٢٨٨] .

البريد العباسي :

اهتم المهدى بالبريد حيث أقام طريق للبريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يكم هناك بريد قبل ذلك ، ولم يكتف المهدى بذلك بل اهتم بطريق البريد ومنازله وأقام فيها البغال والإبل(٢٨٩) .

واستخدم الخلفاء العباسيون البريد كوسيلة من وسائل استتباب الأمن وقمع الثورات ، ولما آلت الخلافة إلى هارون الرشيد أشار عليه يحى بن خالد البرمكى بإجراء البريد والاهتمام به ، وبين له فوائده والمزايا التى تجنيها الدولة من العناية به، فأمره الرشيد بإقراره ، وكان يحى خير من يضع الأمور فى نصابها فصب نظام البريد فى قالب جديد وجعل له المراكز والبغال وكان لا يجهز عليه إلا الرشيد أو صاحب الخبر(٢٩٠) وظهرت أهمية البريد خلال عصر الأمين والمأمون وذلك من بغداد إلى خرسان(٢٩١) .

والبريد فى تاريخ الحكم الإسلامى شمل ثلاثة أنواع هى :

***الأول* : البريد البرى :**

وكانت طرقه تمتد من عاصمة الدولة نحو الأمصار ، وتنتشر على هذه الطرق منازل أو محطات للبريد ، هذه المحطة فى الغالب تتألف من خان ومسجد وسقاية ، وفيها دواب البريد ومن يتعدها بالخدمة والعناية (٢٩٢) ، وكانت دواب البريد تضم البغال والخيل والإبل ، وكانت معلمه بعلامات ميزة ، وكانت تعرف بـ " دواب البريد " وكان توفير الدواب للبريد يتم بطريقتين :



الأولى : ربط الدواب والعناية بها فى الإصطبلات التى كانت تعرف بالإصطبلات السلطانية ٠

والثانية :إعطاء إقطاعات للعربان النازلة بالقرب من محطات البريد وتكليفهم بتقديم ما يلزم من الخيل للبريد (٢٩٣) وعرفت هذه الخيول باسم خيل الشهارة (٢٩٤) وقد استخدمت النجب من الإبل وكانت العرب تفضلها على غيرها لأنها أسرع من الخيل وأصبر على السير ، وكان يطلق اسم النجابون على من ركبها فى هذا السبيل(٢٩٥) ٠

واستعين فى أغراض البريد بوسيلة أخرى وهم الرجال الذين أطلق عليهم اسم الفيوج أو السعادة ، وهم رجال خفاف تعودوا على الجرى والصبر على السير حتى كان أحدهم يقطع ثلاث مراحل فى مرحلة واحدة ، وقيل أن بعض رجال البربر كان يتبع الفارس فيلحقه ، ويجرى وراء الغزال فيقتنصه(٢٩٦) ٠

ويذكر القلقشندى كيفية نقل الخبر بالبريد بقوله : كانت الرسالة تخرج بما يرسم به لمن يركب فى المهمات السلطانية وغيرها ، وكان للبريد ألواح من نحاس أو فضة ، كان اللوح منها بمقدار الكف أو نحوها ، منقوشة على أحد وجهيه ألقاب السلطان ، وعلى الوجه الآخر "لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" ٠

وهذه الألواح كان بها شرابة من حرير أصفر ، فإذا حضرت الرسالة إلى كاتب السر دفع إلى البريدى لوحا من تلك الألواح فيجعلها البريدى على صدره ، وشرابة الحرير الأصفر يعلقها فى رقبته ، وكتب إلى صاحب الإصطبل السلطانى ليفرج له

عما يلزم من الخيل ، ويختم الكتاب وتسلم إليه ، ويكتب له ورقة بالطريق الذى يتوجه بسببه فى دفتر – ديوان الإنشاء – الرسائل – ولذلك كان ديوان الإنشاء أو الرسائل وديوان البريد مضافين إلى نظر متولى واحد[٢٩٧] .

البريد الجوى :

وكانت وسيلة الحمام الزاجل الذى كان يتخذ لحمل المكاتبات على شكل بطائق تعلق به ويعرف باسم الهدى من الوسائل التى انتشرت فى العصور الإسلامية والوسطى وقد اعتنى بحمام المراسلات خلفاء بنى العباس وتنافس الناس فى العراق وخاصة بالبصرة فى اقتنائه ، وصار الحمام متجرا من المتاجر بين الناس ، وبلغ ثمن الطائر الفاره منه سبعمائة دينار ، وشاع استعماله زمن السلطان نور الدين محمود وفى زمن الفاطميين ، بلغت مسافات طيرانه ما بين القاهرة والبصرة وبين القاهرة ودمشق ، وأقيمت له الأبراج فى الطرق ، وكان يوضع فى أبراج دمشق من حمام مصر ، ومن حمام دمشق فى أبراج مصر[٢٩٨] .

وكانت الرسائل التى يحملها هذا الحمام من ورق خفيف يسمى بطائق أو ورق الطير ، تحمل تحت جناح الحمام لحفظها من المطر ، ثم حملت بعد ذلك فى الذنب وكان يكتب فى هذه الرسائل أمور مختصرة من لب الكلام من غير حشو. وتؤرخ بالساعة واليوم ولا داعى للسنين وحرصا على وصول الرسالة كانت الرسالة تكتب من صورتين ترسلان مع حمامتين تطلق أحدهما بعد الأخرى[٢٩٩] حتى كان الحمام يصبغ بلون أزرق كلون السماء حتى لا يرى أو يطلى بلون السواد لكى لا يراه العدو إذا أطلق ليلا[٣٠٠] .

وكان حمام البريد يميز بعلامات " دغامات " فى أرجلها أو على مناقيرها ، وكانت الرسالة إذا مرت بمركز ما كتب الوالى بمرورها إلى أنْ تصل مختومة [٣٠١]

وجرت العادة ألا يطلق الحمام فى الجو المطر ، ولا أن يطلق قبل تغذيته الغذاء الكافى[٣٠٢] وكانت مغارات الحمام "الأبراج" على بعد أطول مسافة من محطات البريد البرى حيث كانت المسافة بين الواحدة والأخرى تبلغ ثلاثة عشر ميلا[٣٠٣] وأقام لها نظار وحراسا يراقبون وصول الحمام نهارا وليلا خوفا من أن يمر عليهم وهم عنه غافلون ، وكانت أسرع أنواع الحمام تقطع من ٤٠ إلى ٥٠ ميلا فى الساعة ، وأقل الأنواع سرعة تقطع من ٢٥ إلى ٣٠ ميلا ، وكان متوسط طيران الحمام ٣٥ ميلا فى الساعة[٣٠٤] .

البريد البحرى :

حيث كانت تستخدم المراكب البحرية ، ويقول الحسن بن عبد الله وإذا كانت البلاد بحرية فليكن لصاحب الخبر مراكب خفيفة سريعة وكان الحجاج بن يوسف الثقفى أول من أجرى فى البحر السفن المقيرة السمسرة غير المخرزة والمدهونة[٣٠٥] .

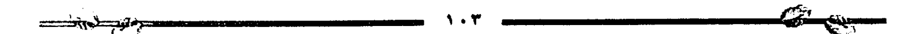
وهناك طريقة أخرى للبريد المائى وهى أن توضع الرسالة ضمن صندوق محكم الأقفال ويجعل نقله متوازنا بحيث لا يطفو على وجه الماء ولا يغرق فى قاعه بل يكون متوسطا بينها منعا لظهوره أو وقوفه على الأرض ، ثم يلقى فى النهر أو الترعة فيندفع بالماء لغاية مركز الجيش الآخر وهناك يقع فى شباك معدة[٣٠٦] .

ومن طرق البريد المائى أنه كانت تكتب الرسالة وتعلق فى قصبة وتغرس القصبة فى باقة حشيش وتلقى فى الماء فيعوم الحشيش ولا يزال جاريا بمجرى النهر حتى يراه المرسل إليه(٣٠٧) .

التخاطب بالمشاعل والطبول :

بجانب طرق البريد التى ذكرناها عرفت الدولة الإسلامية طريقة نقل الرسائل والإشارات عن طريق إشعال النيران حيث وضع نظام لاستعمالها وعمال لمراقبتها . وعرفت الأماكن التى تشعل فيها النيران بالمناور ، ومواضع رفع النار فى الليل والدخان فى النهار وذلك للإعلام بقدوم عدو(٣٠٨) وكانت هناك شارات يتفق عليها المنورين عند نقل الخبر ، وقد نشر العرب هذه المناور من الإسكندرية حتى طنجة على طول الساحل الأفريقى الشمالى ، فإذا وقعت واقعة ذات خطورة أوقدت النيران من طنجة ولا تزال من برج إلى أخر حتى يبلغ ذلك الإسكندرية فى ليلة واحدة ومن طرابلس إلى الإسكندرية تصل الرسالة النارية فى ثلاث ساعات إلى أربع ساعات(٣٠٩) .

أما الطبول فقد استخدمت أيضا للتخاطب ونقل الأوامر ومثال لذلك أن الأفشين قائد الخليفة المعتصم بالله العباسى عندما كان يحارب الثائر بابك الخرمى وتعذر اتصاله بجنده فى ميدان القتال لكثرة الدروب وتشعب الطرقات بين جبال أذربيجان العظيمة الارتفاع والكثيرة الالتواء استعان بالطبول لإعلان قواته بحركات سيره ووقوفه ، وبلغت طبوله الكبار واحد وعشرين طبلا (٣١٠) .



ديوان الطراز :[٣١١]

كان ديوان الطراز معروفا لدى الفرس والروم ، إلا أن هذه الوظيفة لم تنشأ فى عهد الرسولﷺ وعهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وذلك لبعد الحكم الإسلامى فى هذه الفترة عن أبهة الملك وفخامة السلطان إنما ظهرت فى عهد بنى أمية[٣١٢]

وكان ديوان الطراز يشرف على دور الطراز ، المعامل ، المصانع[٣١٣] التى كانت تقوم بصناعة الثياب والملابس الخاصة بالخلفاء والسلاطين وحاشيتهم ، كما كان يصنع بها الشارات والأعلام والفساطيط وملابس الجند وغيرها ، وكان الخلفاء يقلدون هذه الوظيفة بخواص دولتهم وثقات مواليهم ، فكان صاحب ديوان الطراز ينظر فى أمور الصباغ والآلة والحاكة فى دور الطراز وإجراء رزقهم ومشارفة أعمالهم، ولما تعددت الدول وضعفت تعطلت وظيفة ديوان الطراز[٣١٤] .

ديوان الصدقات :

ويقوم هذا الديوان بالنظر فى الأموال المستحقة فى أموال المسلمين ، وهى أموال ظاهرة لا يمكن إخفاؤها كالزرع والثمار والمواشى ، وأموال باطنة يمكن إخفاءها كالذهب والفضة وعروض التجارة[٣١٥] وإذا أخذت زكاة هذه الأموال صار الحال إلى توزيعها فى الأصناف الثانية التى ذكرها الله تعالى فى كتابة العزيز:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[٣١٦] .

- **الفقراء** : هم الذين لا شئ لهم .
- **المساكين** : أسوأ حالا من الفقير لأن المسكين هو الذى أسكنه العدم .
- **المؤلفة قلوبهم**: هم المسلمون حديثا أو الذين أضيروا بسبب إسلامهم .
- **معنى الرقاب** : ما ينفق من الزكاة لتحرير العبيد.
- **الغارمون** : هم الذى استدانوا لحاجة وعجزت مصادرهم عن سداد ديونهم.
- **وفى سبيل الله** : الغزاة الذين لم يفرض لهم فى ديوان العطاء.
- **ابن سبيل** : هو المسافر المنقطع الذى لم يتبق معه ما يستعين به على سفره.
- **العاملين عليها** : هم عمال الزكاة أو جامعوها ، فيدفع لهم أجرهم.

ديوان النفقات :

وكان من اختصاصه النظر فى مصروفات الدولة ، واستمر عمل هذا الديوان خلال العصر العباسى ، وصار يضم المجالس التالية :

- **مجلس الجارى** : ويختص بأمر استحقاقات الحشم .
- **مجلس الإنزال** : ويقوم بمحاسبة التجار الذين يتولون تقديم الطعام فى حالة الإقامات والإنزال .
- **مجلس الكراع** : ويباشر أمر العلوفة الخاصة بالدواب وسياستها وعلاجها وأرزاق القائمين عليها .



- ***مجلس البناء والمرمة*** : ويتولى محاسبة الزراع والمهندسين والصناع وباعة مواد البناء .
- ***مجلس الحوادث*** : ويقوم بتولى أمر النفقات الطارئة .
- ***مجلس الإنشاء ومجلس النسخ*** لتسجيل كل ذلك [٣١٧] .

ديوان بيت المال :

ويعرف بالديوان السامى ، وهو أصل الدواوين ومرجعها إليه ، ووظيفته ثبت جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها من عين وغلال وفئ وغنائم وأعشار وأخماس ويثبت ما تحصل من ذلك ، ويتخذ بيوتا لأصناف الأموال ويجعل عليها دواوين وحرسا ، فالأموال والقماش لها ديوان الخزانة ، والغلال لها ديوان الأهراء ، والأسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح[٣١٨] .

ويكون لصاحب هذا الديوان علامة على الكتب والصكاك والاطلاقات يتفقدها الوزير وخلفاؤه ويراعونها ويطالبون بها ، وكان الوزير يطالب صاحب المال برفع حساب فى كل أسبوع ، ليعرف ما حل وما قبض وما بقى[٣١٩] وكان من واجبات صاحب بيت المال أن يقدم فى آخر كل شهر حسابا كان يطلق عليه اسم "الختمة" وحسابا فى آخر السنة يسمى ختمة جامعة[٣٢٠] .

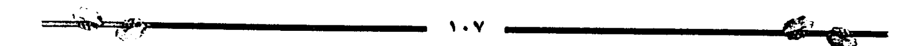
وإلى جانب هذه الدواوين التى بدأت فى عهد الخلفاء الراشدين أو فى عهد الخلفاء من بنى أمية واكتسبت فى العهود التالية مزيدا من الترتيب والتنظيم فى

الغالب ظهرت هناك دواوين أخرى ترجع فى معظمها إلى العصر العباسى ومن عاصرهم أو من جاء بعدهم ومنها الآتى :

- ***ديوان الأحشام*** : وهو ديوان الذين كانوا فى خدمة البلاط .
- ***ديوان الحوائج*** : واختص بجمع الرقاع – الشكاوى – من المشتكين وتقديمها للخليفة .

وقد ذكر اليعقوبى هذين الديوانين فى عداد الدواوين التى نقلها أبو جعفر المنصور إلى بغداد سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م حين أتم بناءها[٣٢١] .

- ***ديوان المصادرين*** : لتسجيل أسماء من صودرت أموالهم ومقدار ما صودروا عليه .
- ***ديوان الضياع*** : واختص بإدارة ضياع الخليفة وأسرته وجميع هذه الدواوين كانت فى خلافة أبى جعفر المنصور[٣٢٢] .
- ***ديوان الصوافى*** : وكان يتولى إدارة الأراضى التابعة لنظر خليفة المسلمين[٣٢٣].
- ***ديوان الموالى والغلمان*** : واختص بتسجيل موالى الخليفة وعبيده[٣٢٤].
- ***ديوان المواريث*** : وكان يختص بأموال من لا وارث له أو توفى ويرث أقاربه جزء من تركته فيصبح الجزء الباقى من حق ديوان المواريث الغاه الخليفة المعتضد سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م ، حيث أمر برد الفاضل من تركة المواريث على ذوى الأرحام[٣٢٥] .



- **ديوان الجهبذه :** وكان يتولى النظر فى الحسابات المالية وتدقيق موارد المال وبقايا أموال المطالبات التى كان يتعذر على أهل الخراج أداؤها فى وقت المطالبة(٣٢٦) .
- **ديوان الأكرة :** وكان يشرف على القنوات والترع والجسور وشئون الرى
- **ديوان الماء :** وكان يحفظ فيه خراج كل من أرباب المياه وينظر فيما يملكه أرباب المياه من الماء وما يباع وما ينقص منه(٣٢٧) .

وذكر المقريزى من الدواوين عند الفاطميين ديوان النظر ، وكان ينظر فى دواوين المال ، وديوان المجلس وكان ينظر فى الإقطاعات(٣٢٨) .

ومما سبق يلاحظ كثرة الدواوين ونجد أن سبب ذلك هو اهتمام ولاة الأمر بشئون الدولة والأمة ، فكلما ظهرت مصلحة الأمة فى شئ سارع الحكام إلى إنشاء دائرة – أى ديوان – لرعايتها والقيام على شئونها .

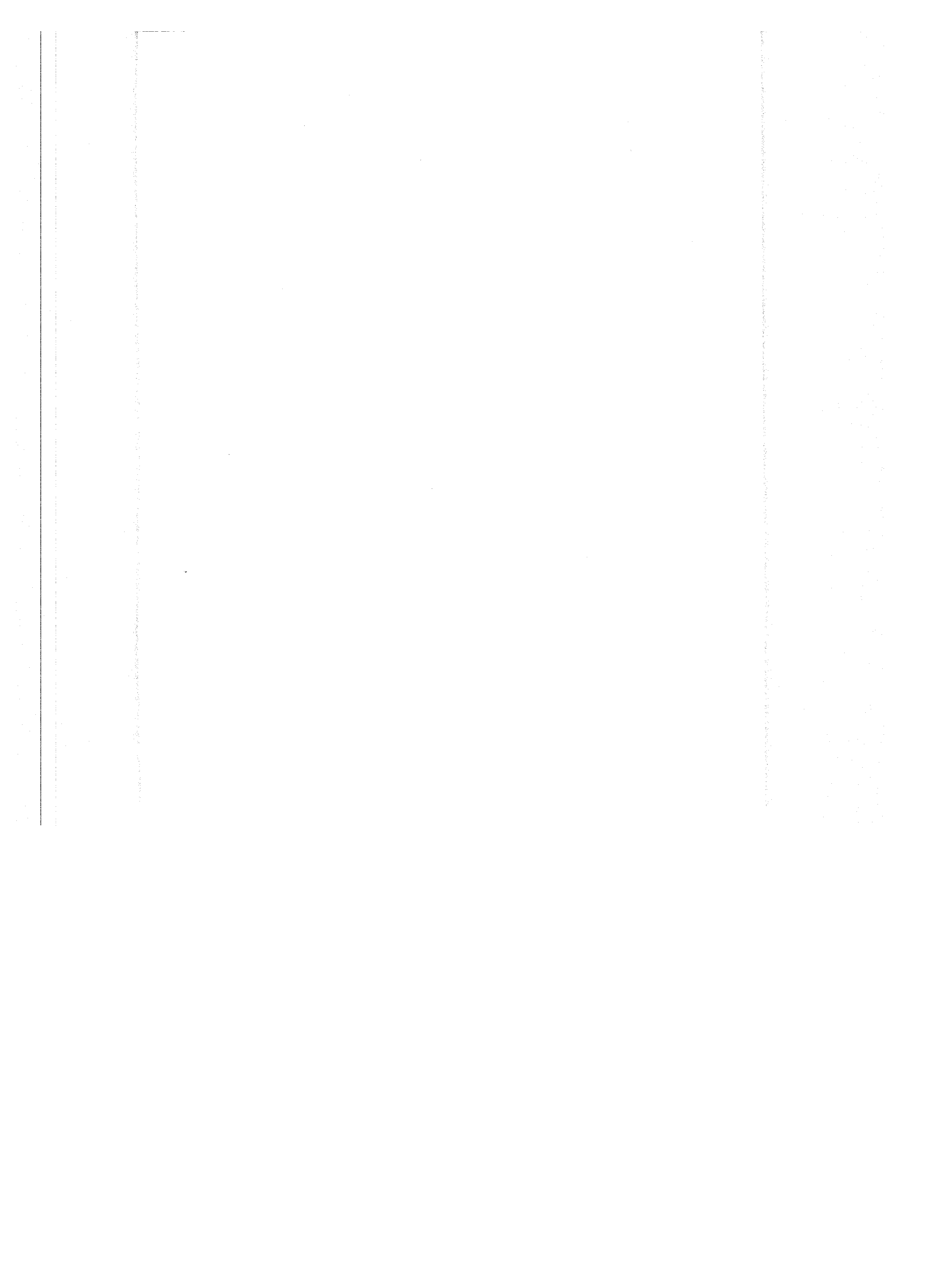
ولذا كثرت الدواوين ، وكبر الجهاز الإدارى فى الدولة الإسلامية متماشيا مع المصالح وكثرتها .

غير أن الضعف الذى صار إليه شأن الخلافة بعض الوقت خلال القرن الثالث الهجرى وفى القرن الرابع الهجرى أدى إلى ضعضعة الجهاز الإدارى ، لاستيلاء الأتراك على أمور الدولة وبخاصة فى عصر إمرة الأمراء ، ومضايقتهم للعمال حتى اضطرهم إلى بذل المرافق لهم ، فاقتنى الأتراك الأملاك ، وتغلبوا على حقوق بيت المال ، وتشبه بهم الديلم – البويهيون – فكسروا على السلطان حقوقه وانقطعت الحمول إلى بغداد وأزيلت سوق الدواوين وأبطلت(٣٢٩) .

كان المسجد الجامع أول الأمر مركز الإدارة مثلما كان مركز العبادة والمجمع والمحكمة وديوان المال والمدرسة وكل ما له علاقة بالسلطان والسكان ، ثم انفصلت هذه الوظائف عن المسجد عدا وظيفة العبادة ، واستقلت بمنشئات أقيمت خاصة لهذه المصالح ، ففى بغداد كان حول القصر بيت المال ، وخزائن السلاح ، وديوان الرسائل ، وديوان الخراج ، وديوان الخاتم ، وديوان الجند ، وديوان الحوائج، وديوان الأحشام ، وديوان النفقات(٣٣٠) .

وكانت الدواوين خلال العصر الفاطمى موجودة بدار الإمارة إلى جوار الجامع الطولونى بالقاهرة ، ثم نقلها يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله إلى داره ، فلما مات يعقوب نقلها العزيز إلى القصر، ثم بنيت لها دار أطلق عليها ، "دار الملك" ونقلت الدواوين إليها ثم أعيدت من بعد ذلك إلى القصر(٣٣١) .

وكان يقوم بوظائف الديوان فئة من الناس أطلق عليهم اسم "الكتاب" وكان يشرف عليهم رئيس أطلق عليه اسم "صاحب الديوان" أو متولى الديوان وكان أصاحب الدواوين فى حاضرة الدولة مسئولين أمام الخليفة وفى الولايات مسئولين أمام الوالى ، ولما استحدث منصب الوزارة ، صارت أمور الدواوين ترجع إلى نظر الوزير نيابة عن الخليفة فى كل ما يتصل بها من تعيين وعزل واستحداث واستغناء، ويتصفح أحوالها وسير أعمالها وضبط أمورها .



مصادر ومراجع الفصل الثاني

١. سورة النجم :آية ٣،٤ .

٢. محمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم ، جـ٢ ، ص١٥٦ ٠

٣. سورة آل عمران:الآية ١٤٤، محمد الخضرى:الأمم الإسلامية ، جـ٢، ص١٥٦.

٤. محمد بطاينه : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٤١ ٠

٥. سورة المائدة : آية ٣ .

٦. فتحية النبراوى : نظم الدولة الإسلامية في المشرق "دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية" المجلد الثانى ، ص١٦٦ ٠

٧. أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٨٢ ٠

٨. محمد الخضرى : الأمم الإسلامية ، جـ١ ص١٦٢ ، محمد بطاينة : تاريخ الحضارة ، ص٤٤ .

٩. ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١ ص١٧٨ ، ابن قتية : الإمامة والسياسة، جـ١ ص١٣ .

١٠. الماوردى:الأحكام السلطانية، ص٧، أبو زيد شلبى:الخلفاء الراشدين ، ص٦ .

١١. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٧،٨ ، الغزالى : إحياء علوم الدين، جـ٢ ص٣٤ ، أبو زيد شلبى : الخلفاء الراشدون ، ص١-٢

Rosenthal. , F : political thought in medieral Islam , cambridge , 1962 .p34 .

١٢. على ابن أبى بكر الهروى : التذكرة الهروية فى الحيل الحربية ، ص٨ ٠

١٣. ابن خلدون : المقدمة ، ص٢٠٠ ٠

١٤. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢٨ ، ٢٩ ،إبراهيم العدوى: تاريخ الوطن العربي وحضارته ، ص١٩٣ .

١٥. أنظر السجلات المستنصرية .

١٦. الجهشيارى : ألوزارة والكتابة ، ص١٥ .

١٧. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٨٢ .

١٨. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٨٥ .

١٩. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٣٣ - ١٣٧ ، على حسنى الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٤٦ .

٢٠. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص١٧٢ .

٢١. على حسنى الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٤٨ .

٢٢. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٩ .

٢٣ ابن خلدون : المقدمة ، ص١٣٧ .

٢٤. إبراهيم طرخان : دولة المماليك الجراكسة ص ٣٣٢- ٣٣٦، على حسن الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٤٧ .

٢٥. الشورى : آية ٨٣ .

٢٦. آل عمران آية ١٥٩ .

٢٧.ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص١٤١ ، ١٩٦ ، البلاذرى : أنساب الأشراف جـ٥ ، ص١٥ .

٢٨. أبو زيد شلبى : الحضارة الإسلامية ص٨٥ .

٢٩. محمد بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص٥٤ ٠

٣٠. الماوردى : الأحكام ، ص١٩٩ ٠

٣١. أبو يوسف:كتاب الخراج ص ٦٦،أبو زيد شلبي:الحضارة الإسلامية،ص٨٦

٣٢. أبو زيد شلبي : الحضارة الإسلامية ، ص٨٦ ٠

٣٣. الطبرى : تاريخه جـ١ ص١٧٧ ، ابـــن خلكـــان : وفيـات ، جـ١ ص٢٨٨ ، إبراهيم بركات : السياسة والمجتمع ، ص١٤٨ ،

٣٤. ابن حجر : الإصابة ، جـ١ ص٥٢٤ ٠

٣٥. الطبرى: تاريخه جـ٦ ص٤٢٧ ، محمد بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص٥٥ ٠

٣٦. محمد بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص٥٦ ، ٥٧ ٠

٣٧. الطبرى : تاريخه ، جـ٨ ، ص١٤ ، ٩٢ ٠

٣٨. الطبرى : تاريخه ، جـ٨ ، ص٢٠٧ ، جـ٩ ، ص٣٦ ٠

٣٩. محمد بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص٥٧ ٠

٤٠. محمد بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص٥٨ ٠

٤١. ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٢٧٧ ٠

٤٢. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص٦٨-٧٣ ٠

٤٣. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص٩١ ٠

٤٤. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٨٦ ٠

٤٥. سورة طه الآيات ٢٩،٣٢ ٠

٤٦. سورة الفرقان الآية ٣٥

٤٧. ابن بحشل : تاريخ واسط ، ص٢٠٦ ٠

٤٨. الماوردى : الأحكام السلطانية : ص٢٤-٢٦ ٠

٤٩. حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ، ص١٠ ٠

٥٠. أحمد أمين : ضحى الإسلام ، جـ٣ ، ص١٦٤ ٠

٥١. سورة القيامة آية ١١ ٠

٥٢. الماوردى : الأحكام ، ص١٤ ٠

٥٣. ابن خلدون : المقدمة ، جـ٢ ص٦٠٣ ٠

٥٤. اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ص٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ص١٣٠ ٠

٥٥. الطبرى : تاريخ جـ٣ ص٢٢٠ ٠

٥٦. محمد بطاينة :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٦٠ ، حمدى المناوى : الوزارة والوزراء، ص١٢ ٠

٥٧. فتحية النبراوى : النظم الإسلامية ، ص١٨٤ ٠

٥٨. ابن خلدون : المقدمة ، جـ٢ ص٦٠٣ ، ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الإسلامية، ص٢٢٣ ٠

٥٩. الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٨٤-٨٦ ٠

٦٠. ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٥٦ ٠

٦١. الطبرى : تاريخه ، جـ٨ ص٢٣٣-٢٦٥ ٠

٦٢. القلقشندى : صبح جـ٣ ص٤٧٨ ٠

٦٣. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٧٩ ٠

٦٤. علي ابن أبي بكر الهروى : كتاب التذكرة الهروية ص٩ ٠
٦٥. محمد ضيف الله : تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٦٩ ٠
٦٦. ابن طقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية : ص٢٣٢، ٢٤٤ ، ٢٨٠ ٠
٦٧. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٢٧ ٠
٦٨. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٢٨ ٠
٦٩. الماوردى : الأحكام ص٢٨ ٠
٧٠. فتحية النبراوى : النظم الإسلامية ، ص١٨٦ ٠
٧١. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٢٨،٢٩ ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، ص٨٤ ٠
٧٢. إبراهيم العدوى : تاريخ الوطن العربي وحضارته ، ص١٩٤ ٠
٧٣. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٧٨ ٠
٧٤. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٧٩ ، محمد بطاينة : في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٦٩ ، عبد المنعم ماجد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص٣٤ ٠
٧٥. فتحية النبراوى : النظم الإسلامية ، ص١٨١ ٠
٧٦. ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ص٢٤٦ ، خليفة بن خياط: تاريخه ، ص٩٦،٩٧ ، أبو زيد شلبي : الحضارة ص١٧٥ ٠
٧٧. الطبرى : تاريخه ، جـ٢ ، ص٤٠٠ ، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٧٥

٧٨. **أبو زيد شلبى** : الحضارة ، ص١٧٦ ، **محمد الخضرى** : تاريخ الأمم الإسلامية ، ص٢٤١،٢٤٢ ٠

٧٩. **خليفة بن خياط**:تاريخ خليفة بن خياط، ص١٢٣، **الطبرى** : تاريخ جـ٣ ص٤٢٧.

٨٠. **أبو يوسف** : الخراج ، ص٦٦ ٠

٨١. **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى ، ص٩٢ ٠

٨٢. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٣٠ ٠

٨٣. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص١ ٠

٨٤. **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية ، ص١٨٢ ٠

٨٥. **الطبرى** : تاريخ جـ٤ ، ص٢٠٣ ، جـ٥ ص٣١٦ ٠

٨٦. **الطبرى** : تاريخ جـ٨ ، ص٣١٥ ٠

٨٧. **الهروى** : التذكرة و الهروب ، ص١٠ ٠

٨٨. **إمارة الاستيلاء** : هى التى تعقد عن اضطرار ، فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد ويضطر الخليفة إلى تفويض تدبيرها وسياستها إليه استدعاء لطاعة الأمير المستولى ، وحرصا على اجتماع الكلمة ووحدة الدولة ، مثل الدويلات المستقلة فى الدولة الإسلامية،**الماوردى الأحكام** : ص٣٣ ، ٣٤

٨٩. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٣٣ ٠

٩٠. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٣٣ ٠

٩١. **الماوردى** : الأحكام السلطانية ، ص٣٣ ٠

٩٢. **الكندى** : الولاة والقضاة ص٣٢ ، **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص١٠٥ ٠



٩٣. أبو المحاسن : النجوم ، جـ٢ ، ص٣٠٨ ٠

٩٤. محمد بطاينة :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٧٨ ، ٧٩ ٠

٩٥. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، جـ٢ ص ١٤٣.

٩٦. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٦٣ ٠

٩٧. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى فى الإسلام ، ص٩٤ ٠

٩٨. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى ، ص٩٤ ٠

٩٩. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٦٣ ٠

١٠٠. حسن إبراهيم وعلى إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص١٤٠ ٠

١٠١. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى فى الإسلام ، ص٢٦٣ ٠

١٠٢. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٦٣ ٠

١٠٣. ابن طباطبا : الفخرى ، ص٢١٣ ٠

١٠٤. ابن الأثير : الكامل ، جـ١ ص٢٩١ ٠

١٠٥. حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن: النظم الإسلامية ، ص١٣٩، ١٤١ .

١٠٦. الهروى : التذكرة ، ص٩ ٠

١٠٧. الهروى : التذكرة ، ص١٠ ٠

١٠٨. الدينورى : الإمامة والسياسة ، ص١٧٩ ٠

١٠٩. الطبرى : تاريخه ، جـ٥ ص٣٣٨ ٠

١١٠. محمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ، ص٤٤١ ٠

١١١. محمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ، ص٢٢٢-٢٢٦ ، ص٤٤١ ٠

١١٢. الدينورى : الإمامة والسياسة ، ص٢١٣ ٠

١١٣. يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص٤٣ ، ٤٤ ٠

١١٤. البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ١٠ ، ص١١٢ ٠

١١٥. ابن طباطبا : الفخرى ، ص١٧٢ ، ١٧٣ ، الطبرى : تاريخه جـ٢ ص٤٣٥ ٠

١١٦. الماوردى:الأحكام السلطانية ، ص١٥،الطبرى : تاريخه جـ٢ ، ص٢٩٦،٢٤٠.

١١٧. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٥ ٠

١١٨. المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ص٢٦٤ ٠

١١٩. ابن طباطبا : الفخرى ص٢١٤ ٠

١٢٠. اليعقوبى : تاريخه ، جـ٨ ص٥٠٠ ، يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ص٨٤ ٠

١٢١. ابن طباطبا : الفخرى : ص٢٤٣ ، ٢٤٤، فتحية النبراوى : النظم الإسلامية ، ص١٨١ ٠

١٢٢. فتحية النبراوى : النظم الإسلامية ، ص١٨١ ٠

١٢٣. على حسنى الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٥٦ ، ٢٥٧ ٠

١٢٤. سورة البقرة : الآية ١٢٤.

١٢٥. حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص٣٥ ٠

١٢٦. الجهشيارى :الوزراء والكتاب ص ١٢، ١٣ محمد بطاينة: تاريخ الحضارة ص ٣٨

١٢٧. حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص١٤٠ ·

١٢٨. الطبرى : تاريخه ١جـ٦ ص ١٧٩.

١٢٩. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى فى الإسلام ، ص٩٣ ·

١٣٠. حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص١٤١ ·

١٣١. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص١٨٠ ،الخربوطلى : العرب والحضارة ص١٨٠ .

١٣٢. جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ، ص٣٨ ، ٣٩ ·

١٣٣. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٦٣ ·

١٣٤. الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٧٤-٧٧ ·

١٣٥. الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى رتيب الدول ، ص٦٧-٧٢ ·

١٣٦. الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٣٢ ·

١٣٧. الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٢٦ ·

١٣٨. المقريزى : الخطط جـ٢ ص١١٥ ·

١٣٩. الجهشيارى : الوزراء والكتاب . ص٥٣ ·

١٤٠. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص١٦٤ ·

١٤١. سورة فصلت : الآية ١٢.

١٤٢. سورة طه : الآية ٧٢.

١٤٣. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة . جـ٥ ص٩٩.

١٤٤. البقرة : الآية ٢١٣ ·



١٤٥. المائدة : الآية ٤٩ ٠

١٤٦. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٦٥ ٠

١٤٧. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٧٩ ٠

١٤٨. ابن هشام : السيرة ، جـ٢ ص١٤٩ ٠

١٤٩. الهروى : التذكرة ، ص١١ ٠

١٥٠. الطبرى : تاريخه جـ٣ ، ص٤٢٦ ٠

١٥١. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٨٠ ٠

١٥٢. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٧٣-١٧٥، محمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم جـ٨ ص٣٨٦ ٠

١٥٣. اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ، ص٤٠١ ٠

١٥٤. الدينورى : الإمامة والسياسة ، ص٣١٢ ٠

١٥٥. الكندى:الولاة والقضاة ص٥٩٠، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ٢ ص٩١ .

١٥٦. السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ٢ ص٩٩ ٠

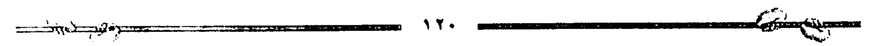
١٥٧. أحمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص١٥ ٠

١٥٨. حسن محمد جوده : نظم الحضارة ص ٨٢.

١٥٩. حسن محمد جوده : نظم الحضارة ص ٨٣.

١٦٠. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٦٥ ، ٦٦ ٠

١٦١. الكندى : كتاب الولاة والقضاة ، ص٣١٢، محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٨٧ ٠



١٦٢. أبو داود : السفن الأقضية ، ص ٣٥٩٢.

١٦٣. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٨٥ .

١٦٤. محمد الخضرى : الأمم الإسلامية ،ج٢ ، ص٣٨٧ .

١٦٥. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٦٦ .

١٦٦. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٨١ .

١٦٧. الماوردى : الأحكام ، ص٥٨ .

١٦٨. الكندى : كتاب الولاة والقضاة ، ص٣٢٥ .

١٦٩. الكندى : كتاب الولاة والقضاة ، ص٣٤٦ .

١٧٠. الكندى : الولاة والقضاة ، ص٣٤٨ .

١٧١. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٤٨ ، ٤٩ .

١٧٢. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٦٦ .

١٧٣. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٤٩ .

١٧٤. هويدا رمضان : المجتمع المصرى جـ١ ص٣١٢ .

١٧٥. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٦٦ .

١٧٦. الطبرى : تاريخه جـ٧ ص٦٦ .

١٧٧. الكندى : ولاة مصر ، ص٥٩ .

١٧٨. القلقشندى : صبح جـ١٠ ، ص٣٨٧ .

١٧٩. الكندى : الولاة ، ص٥٨٨ .

١٨٠. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٨٤ .

١٨١. الكندى : الولاة ، ص٥٨٨، المقريزى : الخطط جـ٢ ، ص٢٤٦ ، القلقشندى : صبح جـ٣ ، ص٤٨٧ ٠

١٨٢. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٤٨،٤٩ ٠

١٨٣. خليفة بن خياط : تاريخه ص٤٢٧،٢٠٠،١٥٠ ٠

١٨٤. ابن قتيبة : المعارف ، ص٢١٦ ٠

١٨٥. الكندى : كتاب الولاة والقضاة ، ص٣١٧ ، ٤٣٥ ٠

١٨٦. الماوردى:الأحكام ، ص٧٩ ، القلقشندى : صبح ، جـ٣ ، ص٥٢٦ ، المقريزى: الخطط ، جـ٢ ، ص٢٤٦ ٠

١٨٧. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٩٤ ٠

١٨٨. ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٤.

١٨٩. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ، ص ٨٥.

١٩٠. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٩٤ ٠

١٩١. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة ، ص٥٤ ٠

١٩٢. الماوردى : الأحكام ، ص٧١ ٠

١٩٣. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٢٠٤ – ٢٠٦ ، الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص٢٦٩

١٩٤. الماوردى: الأحكام السلطانية ، ص١٩٤ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص١٦٦.

١٩٥. آل عمران : آية ١٠٤ ٠

١٩٦. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٩٣-٦٢ ٠

١٩٧. الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص٦٢ ، الخربوطلى : حضارة العرب ص١٧٠ .

١٩٨. سهام أبو زيد : الحسبة ، ص٤٧ .

١٩٩. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٧٠ ، ٧١ .

٢٠٠. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ص ٩٠.

٢٠١. الماوردي : الأحكام ، ص ٢٠٨.

٢٠٢. ابن الأخوة : معالم القربة ، ص١٢ .

٢٠٣. البقرة : الآية ٤٤ .

٢٠٤. فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، ص١١٢ ، سهام أبو زيد : الحسبة ، ص١١٦ .

٢٠٥. الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ٢١.

٢٠٦. ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ٩١.

٢٠٧. ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ٩٩.

٢٠٨. سهام أبو زيد : الحسن ، ص ٢١٤.

٢٠٩. ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ١٥٩.

٢١٠. سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٧١.

٢١١. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة ص ٧٥.

٢١٢. ابن الأخوة : القربة ، ص ١٧٣.

٢١٣. سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٥١.

٢١٤. الماوردي : الأحكام ، ص ٢٤٧.

٢١٥. سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٥١.

٢١٦. الشيزرى: نهاية الرتبة ، ص ١١١.

٢١٧. سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٤٩، أحمد منصور الحسبة ص ٢٠.

٢١٨. ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ١٨٠.

٢١٩. ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ٢٤٠-٢٤٤.

٢٢٠. ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٧١، ٧٢.

٢٢١. ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ٢٤١

٢٢٢. المقريزى : إغاثة الأمة ، ٤٧ .

٢٢٣. ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٨ ، سهام أبو زيد : الحسبه ص ١٥٠.

٢٢٤. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥٨ ٠

٢٢٥. الشـــــرطة : كلمة مشتقة من الشرط أى العلامات التى كان أصحاب الشرطة يضعونها فوق ملابسهم من أجل أن يعرفهم الناس ، القلقشندى : صبح جـ٢ ، ص٤٢٣،٤٠٥ ٠

٢٢٦. الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، مادة الشرطة .

٢٢٧. الطبرى :تاريخه ، جـ٤ ، ص٢٠٥ ٠

٢٢٨. خليفة بن خياط : تاريخه ، ص١٧٩ ٠

٢٢٩. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص٢١٧ ٠

٢٣٠. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٥ ، ابن دقماق : الانتصار جـ٤ ، ص٦ .

٢٣١. الكندى : الولاة ، ص١٩٢ ، أبو المحاسن : النجوم جـ٢ ، ص٢١ ٠

٢٣٢. الطبرى : تاريخ ، جـ٥ ، ص٢٢٢ ٠

٢٣٣. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٣٥ ٠

٢٣٤. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون جـ١ ، ص٣٢٧ ٠

٢٣٥. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٨٨ ٠

٢٣٦. أبو المحاسن : النجوم ، جـ٢ ص٢٦ ٠

٢٣٧. أحمد عبد الرازق : شرطة القاهرة ، ص١٣ ٠

٢٣٨. أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص٣٧ ٠

٢٣٩. القلقشندى : صبح جـ١ ص٨٩ ، ٩٠ ٠

٢٤٠. المقريزي : الخطط ، جـ٢، ص ١٨٧.

٢٤١. المقريزي : الخطط ، جـ٤، ص ١٨٧، مشرفة الحكم ص ٢٥١.

٢٤٢. انظر مادة الديوان : فى القاموس المحيط للفيرزبادى ، ولسان العرب لابن منظور ٠

٢٤٣. القلقشندى : صبح جـ١ ، ص ٩٠ ٠

٢٤٤. الماوردى : الأحكام ، ص١٧٣ ٠

٢٤٥. ابن الأثير : الكامل ، جـ١ ، ص٢٣٠ ٠

٢٤٦. الطبرى : تاريخه جـ١ ، ص١٦٢ ٠

٢٤٧. البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٤٣٦ ٠

٢٤٨. النويرى : نهاية الارب ، جـ٨ ، ص١٩٨ ٠

٢٤٩. ابن خلدون : المقدمة ، ص٢٤٤ ٠

٢٥٠. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٨٣ ٠

٢٥١. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٩٢ ٠

٢٥٢. الطبرى : تاريخه جـ٦ ، ص١٨٠ ٠

٢٥٣. المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص١٥٨ ٠

٢٥٤. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ، ص ٦٢.

٢٥٥. المقريزي : الخطط جـ١ ص ١٨١.

٢٥٦. الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٣٨-٤٠.

٢٥٧. الماوردي: الأحكام ، ص ١٧٩ ، محمد بطانية : الحضارة الإسلامية ، ص ١٤٨.

٢٥٨. الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٦٧ ، أبو زيد شلبي : الحضارة ص ١١٣.

٢٥٩. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ١٧٢.

٢٦٠. المقريزي : الخطط جـ٢ ، ص ٣٥٢.

٢٦١. قدامة بن جعفر : الخراج وصفه الكتابة ص ٢١ ، ٢٣.

٢٦٢. المقريزي : الخطط جـ٢ ص ١١٤.

٢٦٣. الطبري : تاريخه جـ٥ ص ٣٣٠.

٢٦٤. الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٢.

٢٦٥. البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٦٢.

٢٦٦. هونكة : شمس العرب ، ص ١٧٨.

٢٦٧. آدم متز : الحضارة جـ١ ، ص ١٥٤.

٢٦٨. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ص ١٧٢.

٢٦٩. **محمد بطاينة** : في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٤٥.

٢٧٠. **الجهشياري** : الوزراء والكتاب ، ص ٣٥، **الطبري** : تاريخه جـ٦ ص ١٨٠.

٢٧١. الإنشاء من الألفاظ المستعلمة في ديوان الرسائل ويقصد بها عمل نسخة يعملها الكاتب فتفرض على صاحب الديوان ليزيد فيها أو ينقص أو يقرها على حالها ويأمر بتحريرها : **الخوارزمي** : مفاتيح العلوم ، ص ٥ .

٢٧٢. **المقريزي** : الخطط جـ٢ ص ١١٦.

٢٧٣. **عبد المنعم ماجد** : في تاريخ الحضارة ، ص ١٥٠.

٢٧٤. **محمد بطاينة** : في تاريخ الحضارة ، ص ١٥٠.

٢٧٥. **الرازي**: معجم مختار الصحاح، مكتبة لبنان ١٩٨٥ ، ص ١٩ ، **القلقشندي**: صحيح جـ١٤ ص ٣٦٥ ، **أحمد مختار العبادي** : نظم الحكم والإدارة ، ص ١٧٠.

٢٧٦. **محمد بطاينة** : في تاريخ الحضارة ، ص ١٥١.

٢٧٧. **نظير حسان سعداوي** : البريد : ص ٤٥.

٢٧٨. **نظير سعداوي** : البريد : ص ٤٥.

٢٧٩. **فيليب حتى** : تاريخ التمدن الإسلامي ط ص ١٠٦.

٢٨٠. **محمد بطاينة** : في تاريخ الحضارة ، ص ١٥١.

٢٨١. **نظير حسان سعداوي** : البريد : ص ٤٥.

٢٨٢. **نظير سعداوي** : البريد : ص ٤٥.

٢٨٣. **القلقشندي** : صحيح جـ١٤ ، ص ٣٦٨.

٢٨٤. **ابن طباطبا** : الفخري ص ١٠٦.

٢٨٥. القلقشندي : صبح جـ١٤ ، ص ٣٦٨.

٢٨٦. نظير سعداوي : البريد ، ص ٥٤.

٢٨٧. القلقشندي : صبح جـ١٤ ، ص ٣٦٧.

٢٨٨. نظير سعداوي : البريد ، ص ٥٤.

٢٨٩. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص ٥١٧.

٢٩٠. نظير سعداوي : البريد ، ص ٦٠.

٢٩١. نظير سعداوي : البريد ، ص ٦٣.

٢٩٢. القلقشندي : صبح جـ١٤ ، ص ٣٧٧.

٢٩٣. القلقشندي : صبح جـ١٤ ، ص ٣٧٧.

٢٩٤. سميت باسم الشهادة لأنها كانت تأتي إلى محطة البريد من أول الشهر وتبقى نهايته ثم تعاد إلى صاحبها ويؤتي بغيرها . محمد بطاينة . الحضارة، هامش ص ١٥٢.

٢٩٥. الحسن بن عبد الله آثار الأول وترتيب الدول ، ص ٨٨.

٢٩٦. محمد بطانية : في تاريخ الحضارة ، ص ١٥٢.

٢٩٧. القلقشندي : صبح حاصى ١١٤-١١٧.

٢٩٨. محمد بطانية : في تاريخ الحضارة ، ١٥٤.

٢٩٩. القلقشندي: صبح جـ١ ص ١١٨، ابن شاهين: زيده كشف الممالك ص ١١٧.

٣٠٠. الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ٨٨.

٣٠١. حسان سعداوي : البريد ص ١٤١.

٣٠٢. عبد المنعم ماجد : نظم المماليك ورسومهم ص ٦٤ ، ٦٥.

٣٠٣. المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٧٥.

٣٠٤. الميل : ١٨٤٨.

٣٠٥. الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ٨٩ ، الجاحظ : البيان ص ٣٦٤ .

٣٠٦. حسان سعداوي : البريد ص ١٥٧.

٣٠٧. فيليب حق : تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ١ ،ص ١٨٣.

٣٠٨. القلقشندي : صحيح جـ ١٤ ، ص ٤٠٠.

٣٠٩. ابن شاهين : زيده كشف الممالك ١٩٣.

٣١٠. نظير حسان سعداوي : البريد ، ص ١٥٤– ١٥٦.

٣١١. الطـــراز : كلمة مشتقة من الكلمة الفارسية ترازيدن ، ومعناها النسيج الثمين المطرز بالأشرطة ، وتراز بمعنى التطريز وعمل المدبج ، ثم أصبح يدل على ملابس السلطان ألأمر الأمير أو رجال الدولة . وأطلق أيضا على المصنع والمكان الذي تصنع فيه المنسوجات عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر ، ص ١٨٨.

٣١٢. الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٦٠.

٣١٣. البلاذرى : فتوح البلدان ، ط ص ٢٨٣.

٣١٤. ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٠.

٣١٥. الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٦٠.

٣١٦. التوبة : الآية ٦٠.

٣١٧. قدامة من جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص٣٣-٣٥.

٣١٨. الحسن بن عبد الله : أثار الأول في ترتيب الدول ، ص٧٤.

٣١٩. قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٣٦.

٣٢٠. الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٣٧.

٣٢١. اليعقوبي : البلدان ، ص ١٣ ، محمد بطاينة : الحضارة ١٥٩.

٣٢٢. ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ص ٤٨ ، الجهشياري : الوزراء ، ص ١٢٤.

٣٢٣. اليعقوبي : تاريخه ، جـ٢ ، ص ٢٣٣.

٣٢٤. محمد بطاينة : الحضارة ، ص ١٦٠.

٣٢٥. الطبري : تاريخه جـ١ ، ص ٤٤.

٣٢٦. آدم متز : الحضارة جـ١ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥.

٣٢٧. الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٤٥.

٣٢٨. المقريزي : الخطط جـ٢ ، ص ١٠٨ ، ١١٤.

٣٢٩. مسكوية : تجارب الأمم ، ص ٩٩-١٧٥.

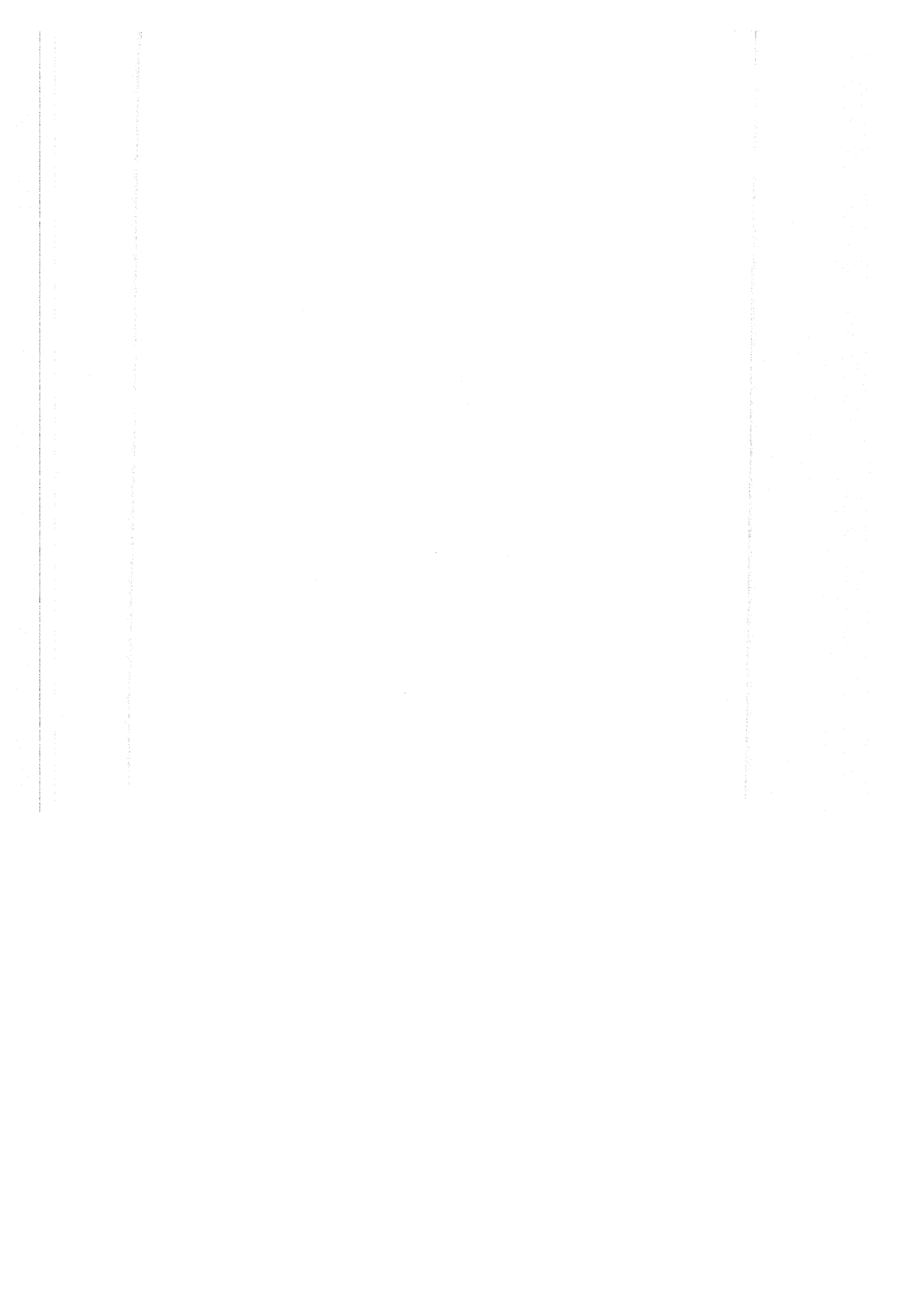
٣٣٠. محمد بطاينة : في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٢.

٣٣١. المقريزي : الخطط جـ ٢ ، ص ١٠٧.

الفصل الثالث .

النظم المالي

- الإيرادات .
- النفقات.
- النقود .
- المكاييل والموازين و المقاييس.



الفصل الثالث

النظم المالي

أقام الإسلام نظامه المالى على قاعدة هامة هى عدم الاستغلال مهما بدا من وراء ذلك أحيانا من اختفاء بعض المصالح المادية العاجلة ، كما أدار الإسلام نظامه المالى حول غاية أساسية هى تحقيق التكامل بين أفراد المجتمع الإسلامى .

وقد نما النظام المالى الإسلامى فى خط متواز مع نمو الدولة الإسلامية وتعدد وظائفها ، فيلاحظ أن هذا النظام فى صدر الإسلام – أى فى عهد الرسول ﷺ وعصر أبى بكر وأول عهد عمر ، كان بسيطا ببساطة الحياة الإسلامية الأولى ، ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فى عهد عمر ، وحوت العديد من الجنسيات والنحل ودخل المسلمون أحيانا فى معاملات مالية مع الأمم الأخرى ، بدأت تلح عليهم ضرورة تطوير نظامهم المالى بما يتلائم مع الحاجات الجديدة ٠

وقد اجتهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ووضع كثيرا من أسس النظام المالى فى الإسلام ، وجاءت اجتهاداته متسقة تماما مع القيم الإسلامية ، ولم تتجمد النظم المالية فى الإسلام عند عصر عمر بل نمت وتطورت فى عهدى عثمان وعلى رضى الله عنهما ، وفيما تلاهما من عهود ٠

وأول ما ينبغى أن نتناوله فى النظام المالى هو الموارد المالية الأساسية للدولة الإسلامية وهى الموارد التى شكلت ركيزة النظام المالى فى الإسلام .



موارد بيت المال :

وكانت موارد بيت المال فى الدولة الإسلامية الغنائم والفيئ ، والخراج والجزية والزكاة والعشور ، وخمس المعادن ، وتركة من لا وارث له وهذه الأقسام الأصلية يدخل تحتها فروع صغيرة ٠

الزكاة :

هى البركة والنماء ، وفى الشرع حصة من المال ونحوه يوجب الشرع بذلها للفقراء ونحوهم[1] ، وزكى أصل يدل على نماء وزيادة ، ويقال الطهارة زكاة المال وقال بعضهم سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاة المال وهى زيادته ونماؤه وقال بعضهم سميت زكاة لأنها طهارة وجاء ذلك فى قوله تعالى

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴾ [2] ٠

والزكاة فى الاصطلاح هى مقدار معين من المال - نقدا كان أم عينا - يدفعه المسلم مخيرا للإمام أو نائبة وأن يوزعها بنفسه لفئات معينة بشروط خاصة[3] ، وقد ثبت مشروعية الزكاة بنص القرآن الكريم فى آيات عديدة : قال تعالى :

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[4]

وقال جل شأنه :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[5]

وقال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴾ [6] ٠

والزكاة والصدقة شئ واحد وكان لها ديوان خاص بها فى دار الخلافة له فروع فى سائر الولايات ، فكان على المسلمين أن يؤدوا الزكاة على الأموال التى تبلغ النصاب ، ويحول عليها الحول وتختلف قيمة النصاب باختلاف الأنواع التى تجب فيها الزكاة.

حكمها ودليل مشروعيتها :

الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة وهى فرض على كل مسلم ومسلمة بفروضها . ودليل مشروعيتها من الكتاب فى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ... ﴾[7] ، وقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴾[8] ومن السنة قوله ﷺ : " بني الاسلام على شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت "[9] لما بعث معاذ إلى اليمن : " ادعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم"[10] .

هذا وقد أجمع المسلمون فى كل الأمصار والعصور على فرضيتها ، أما عن حكمة مشروعيته الزكاة فالحكمة التى أرادها الشارع تتمثل فى أن الزكاة فيها معنى التطهير ، وأنها مظهر من مظاهر العبودية الصادقة لله ، وفيها معنى النماء والصلاح والزيادة ، وهى مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي فى المجتمع المسلم ، وعلاجا للكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ولها أثر واضح فى تفتيت الثروة وتوزيعها بالمنظور الاقتصادي[11] .

أما عن إثم مانع الزكاة قال تعالى :

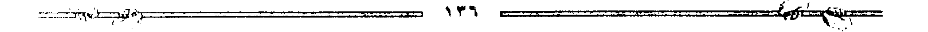
﴿... وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾﴾ (١٢)

وقالﷺ : من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له ربيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ للهمزتين - يعنى شدقيه - ثم يقول أنا مالك أنا كنزك "(١٣) .

كما قال "ما من صاحب ابل أو بقر أو غنم لا يؤدى حقها إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أخراها ردت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس"(١٤) .

خصائص الزكاة :

- أنها فريضة واجبة على المسلم إذا توافرت شروط أدائها ، كما حدد سبحانه وتعالى مقدارها الذى لا يجوز تعديله .
- أنها عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه ومن شأن العبادة أن يؤديها الإنسان عن طواعية ورضا نابعين عن نفسه ، وإلا فمن حق الإمام أن يأخذها من القادرين عليها فى حالة امتناعهم عن أدائها جبرا عنهم ولو باستعمال القوة(١٥) .
- **انعدام المقابل** : فالزكاة لا يدفعها المسلم مقابل نفع مادى دنيوى وإنما يدفعها بوصفه عضوا فى مجتمع مسلم يتمتع بحمايته .
- **فى المصارف** : فمصارف الزكاة محددة وواضحة يستطيع المسلم معرفتها ودفع زكاته إليها وهى ذات طابع إنساني لا يمكن لولاة الأمور تعديلها .



- المسئولية الدينية فى التهرب منها أو منعها .

شروط وجوب الزكاة :

شروط المزكى : يجب أن تتوافر فى المزكى الشروط التالية :

- **الإسلام :** فهى لا تجب إلا على المسلم لأنها ركن من أركان الإسلام ٠
- **الحرية :** لا تجب على العبد والمكاتب لأن العبد لا يملك شيئا والمكاتب ملكه ضعيف ٠
- **ملكية المال :** يجب أن يكون المزكى مالكا للمال ملكا تاما بحيث يكون مالكا للرقبة وحائزا للمال فى نفس الوقت ٠

شروط المال المزكى :

- **ملك النصاب :** وهو المقدار الذى ينبغى أن يبلغه المال كى يكون محلا لوجوب الزكاة فيه ودليل ذلك قوله ﷺ : " ليس فيما دون خمس أوسق صدقة " (١٦) .
- **حولان الحول :** هذا شرط فى النقدية والماشية وعروض التجارة ، وليس ضرورى فى زكاة الزروع والمعادن ٠
- **النماء :** أن يكون المال ناميا بالفعل قابلا للنماء ، كزيادة الإبل والبقر بالتوالد ، وزيادة المال بالتجارة ٠
- أن يكون المال فاضلا عن الحوائج الأصلية ٠
- أن يكون سالما من الدين ٠

- فهناك زكاة الذهب والفضة " أو ما يسمى زكاة النقد " ونصاب الذهب عشرون مثقالا أى خمسة وثمانون جراما ، ونصاب الفضة مائتا درهم ، وفى نصاب الذهب والفضة مقدارها ربع العشر أى ٢.٥٪ إذا حال عليها الحول ، وتعامل النقود بأنواعها معاملة الذهب والفضة[١٧] .
- **زكاة عروض التجارة** : وكانت تؤخذ من التجار على ما يتاجرون فيه من متاع عن الذهب والفضة ، ويجب عليها ربع العشر إذا بلغت قيمتها نصابا من الذهب والفضة وحال الحول كامل[١٨].
- **زكاة الزروع والثمار** : ونصابها أربعة اردب أو ما يعادلها بالوزن وهو ٦٥٠ك تقريبا، ومقدارها (١٠٪) إذا كانت الأرض تروى بالراحة أو بمياه الأمطار أو بنسبة ٥٪ إذا كانت تروى بآله ، أما إذا سقى السنة بكلفة ونصفها بغير كلفة ففيه ثلاثة أرباع العشر ، وإذا سقى بأحدهما أكثر من الآخر اعتبر أكثرهما ، وإن جعل المقدار غالبا العشر لأن الأصل وجوب العشر[١٩] ، وتجب هذه الزكاة على الزروع والثمار بمجرد حصادها[٢٠].
- **زكاة النعم (بفتح النون والعين)** وهى الإبل والبقر والغنم ، ونصاب الإبل يبدأ من خمسة ، والبقر والجاموس يبدأ من الثلاثين ، والغنم من أربعين[٢١] وتسمى السوائم أى التى ترعى الكلأ ، أما إذا كانت عاملة أو معلوفة فليس فيها زكاة على أصح الأقوال[٢٢] والخيل إذا اعتبرت آله من آلات الحرب فلا زكاة عليها[٢٣] .***يتحدد نصاب زكاة الإبل على النحو التالى :***
  - إذا بلغت ٥-٩ ففيها شاه .



- إذا بلغت ١٠-١٤ فيها شاتان ·
- إذا بلغت ١٥-١٩ فيها ثلاث شياه ·
- إذا بلغت ٢٠-٢٤ فيها أربع شياه ·
- إذا بلغت ٢٥-٣٥ ففيها بنت مخاض ما كانت فى السنة الثانية ·
- إذا بلغت ٣٦-٤٥ ففيها بنت لبون ما كانت فى السنة الثالثة ·
- إذا بلغت ٤٦-٦٠ ففيها حقه ما كانت فى السنة الرابعة ·
- إذا بلغت ٦١-٧٥ ففيها جذعة فى السنة الخامسة ·
- إذا بلغت ٧٦-٩٠ فيها بنتا لبون ·
- إذا بلغت ٩١-١٢٠ ففيها حقتان ·
- إذا بلغت ١٢١-١٢٩ ففيها ثلاث بنات لبون ·
- إذا بلغت ١٣٠-١٣٩ ففيها حقتان بنت لبون ·

ونلاحظ مما تقدم أن بعد ١٢٠ فى كل (٤٠) كاملة بنت لبون وفى كل (٥٠) حقه(٢٤) ·

البقــر:

- إذا بلغت ٣٠-٣٩ ففيها تبيع أو تبيعه وهو العجل الذى يبلغ سنة كاملة
- إذا بلغت ٤٠-٥٩ ففيها مسن أو مسنه وهو ما يبلغ من العمر سنتان ·
- إذا بلغت ٦٠-٦٩ ففيها تبعان ·
- إذا بلغت ٧٠-٧٩ ففيها مسنه وتبيع ·
- إذا بلغت ٨٠-٨٩ منها مسنتان ·
- ويتغير فرض النصاب فى كل عشرة من تبيع إلى حسنة ، والفرق بين الفرضين عضو – فإذا بلغ ٩٠ مثلاً فالزكاة ثلاث تبعات والتسعة التى بعد (٩٠) عضو(٢٥)·

وكان لصدقة " الزكاة " عمال يختصون بجمعها فى الولايات الإسلامية وكان لا يجوز أن يتولى عمال الخراج جبايتها ، لأنه لا يجوز اختلاط مال الخراج بمال الصدقات لان لكل منهم مصرف خاص ، ويشترط فى عامل الزكاة أن يكون حرا مسلما عادلا عالما بأحكام الزكاة وعليه أن يتولى الأموال الظاهرة التى لا يمكن إخفاءها كالزرع والثمار والماشية ، أما الأموال الباطنة كالذهب والفضة وعروض التجارة فعلى أصحابها إخراج زكاتها طوعا[٢٦] وعلى العامل أن يدعوا أهلها إلى إخراجها ويرغبهم فى المسارعة فى ذلك تميزا لهم عن أهل الذمة فى دفع الجزية[٢٧].

الجزية "الجوالى" :

الجزية فى اللغة مشتقة من الفعل "جزى" الذى قد يعنى كافأ أو قضى ، وهى فى الاصطلاح مبلغ معين يفرض على رؤوس أهل الذمة من الرجال الأحرار والعقلاء ولا تجب على امرأة ولا صبى ولا مجنون ، ممن خضعوا للحكم الإسلامى ولم يرغبوا فى اعتناق الإسلام[٢٨].

وقد فرضت على الذميين مقابل فرض الزكاة على المسلمين ، ووجبت عليهم نظير قيام المسلمين بالدفاع عنهم ومما بينهم ، لأنهم لم يكونا يشاركون فى الحروب مع المسلمين[٢٩].

وقد ثبتت الجزية بنص القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٣٠].

وعن مقدار الجزية فقد اختلف العلماء فى تقدير قيمتها حيث يرى الشافعى أن أقلها دينار ، وأكثرها مقدار بالاجتهاد ٠

وقدرها أبو حنيفة على ثلاث طبقات الأغنياء ويؤخذ منهم (١/٦ ٤ دينار) أربعة دنانير وسدس دينارا ومن الأوساط دينارا وقيراطان ، ومن العمال " الفقراء " دينار واحد وثلث وربع وحبتان " ويضاف إلى كل فئة من تلك الفئات درهمان وربع تدفع للقائمين على جبايتها [٣١].

أما عن شروط الجزية فهى :

- **الذكورة** : حيث لا تفرض على النساء ٠
- **البلوغ** : لا تفرض على الصبيان ٠
- **العقل** : لا تفرض على المجنون لأنها بدل عن القتال وهو ليس أهلا للقتال ٠
- **الحرية** : لا تفرض على المملوك لأنه لا مال له ٠
- **الصحة** : لا تفرض على المريض ولا على شيخ لا يستطيع القتال[٣٢] .

وعلى الرغم أن الجزية كانت تعتبر من أهم مصادر المال فى عصر الدولة الإسلامية إلا أننا نجدها فى العصر الفاطمى ليست ذات بال ، فقد كان تحول كثير من أهالى البلاد المفتوحة إلى الإسلام سببا فى أنها لم تعد مصدرا مهما للدخل بحيث أصبحت تعرف بالجوالى[٣٣].

وكانت الجزية تجمع مرة واحدة كل سنة بالشهور الهلالية ، وكان يسمح بدفعها نقدا أو عينا ، وكانت تختم رقاب أهل الذمة وقت جباية الجزية ثم تكسر

الخواتيم وتستبدل بشاره تعلق حول الرقبة يقدمها عامل الجزية دلالة على دفع الجزية[٣٤].

الخراج:

الخراج فى اللغة يعنى الأجر أو الرزق أو الناتج ، قال تعالى:

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[٣٥]

أى فرزق ربك أو أجر ربك ومثوبته خير.

والخراج بمفهومه الاصطلاحى مقدار معين من المال أو الحاصلات يفرض على الأراضى التى فتحها المسلمون ولم يثبت الخراج بنص قرآنى كما هو الشأن فى الجزية بل ثبت باجتهاد الصحابة[٣٦] .

والخراج فى الإسلام "هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عليها"، وهو ما يخرج من غلة الأرض ، ويعنى أيضا المال الذى يحصل فى أوقات معينة والخراج هو الضريبة السنوية التى تجبى على الأرض المزروعة[٣٧] .

ولما كان الخراج من أهم موارد الدولة المالية فقد ذكر ابن خلدون أن " الملك بالجند ، والجند بالمال والمال بالخراج"[٣٨] ، وقد اهتم الخلفاء والولاة بالخراج أكثر من اهتمامهم بالجزية لأن الخراج أكثر ثباتا من الجزية وأكثر دخلا حيث أن الجزية تسقط بالإسلام .

أسباب وضع الخراج:

١. بقاء الأرض فى أيدى أهلها أصلح لهم وأصلح للمسلمين .
٢. حفظ حق من جاء من بعد المسلمين .



٣. تحقيق الوئام بين سكان الدولة الإسلامية ووضع الحقد بينهم بإبقاء الأرض المفتوحة فى أيدي أهلها وعدم تقسيمها ٠

٤. منع قيام الملكيات الكبيرة ٠

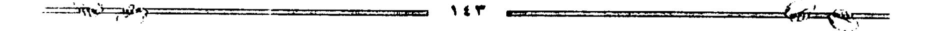
الخراج فى عهد عمر بن الخطاب ﷺ :

اتسعت الفتوحات الإسلامية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذى تولى الخلافة فى الفترة من سنة ١٣-٢٣هـ حيث فتحت العراق والشام وأراضى السواد ثم استمرت الفتوح فى الشرق وتم الاستيلاء على معظم أقاليم الإمبراطورية الفارسية وفتحت مصر فى أواخر عهد عمر(٣٩)٠ ومنذ اتسعت هذه الفتوحات ظهر أمام المسلمين مشكلة كبرى ، هى مصير هذه الأراضى الشاسعة التى خضعت للمسلمين وأيضا مصير أهلها المقيمين عليها ، ومن هنا نشأ نظام الخراج ٠

كانت أراضى الأمصار عدة أنواع ، وكان لكل نوع منها وضع خاص بالنسبة للخراج ، والخلاصة أن أراضى الخراج هى كل أرض مسحت ووضع عليها الخراج ، وكل أرض روتها أنهار الخراح وخصصت لزراعة الغلات أو جعلت بساتين للنخل والكروم وغيرها أو شغلت الطواحين(٤٠) ٠

كان الخراج يظل مفروضا على الأرض المفتوحة عنوة حتى بعد إسلام صاحبها لأن هذه الأرض فئ للمسلمين لهم جميعا ، وما يدفعه صاحبها هو إيجار مقابل زراعته لها(٤١) ٠

أما الأرض التى صولح أهلها على زوال ملكهم عنها فلا يجوز بيعها ويعتبر خراجها إيجارا ولا يسقط الخراج بإسلام أهلها إنما ترفع عنهم الجزية (٤٢) ٠



والأرض التى صولح أهلها على بقاء ملكهم عليها فيجوز بيعها ويسقط خراجها بإسلام أهلها وتصبح أرض عشرية(٤٣).

تقدير الخراج:

كان هناك نظامان أساسيان لتقدير الخراج فى الدولة الإسلامية :

الأول : **هو نظام المساحة** : ومعناه أن يكون هناك خراج معين على مساحة محددة من الأرض تجبيه الدولة كل عام مهما ارتفع أو انخفض محصول الأرض(٤٤).

وفى هذا النظام يجب مراعاة الآتى :

١. أن يتغير مقدار الخراج تبعا لتغير ظروف الأرض ونوع محصولها .
٢. أن يراعى مقدار جودة الأرض .
٣. أن يراعى نوع الحبوب والثمار حيث هناك ما كثر ثمنه ، وهناك ما يقل ثمنه .
٤. أن يراعى طريقة السقى ، فيفرق بين الأرض التى تسقى طبيعيا وبالأمطار ، والأرض التى تسقى بآله(٤٥).

وهذا النظام كان معمولا به منذ عهد عمر بن الخطاب ﷺ حتى تم تغيره .

الثانى : هو نظام المقاسمة أو المزارعة ويقصد به أن تتقاسم الدولة والناس ما ينتج من محصول بنسبة معينة فمثلا يكون الثلث للدولة والثلثان للزراعيين، والسبب فى الأخذ بهذا النظام أن شكوى المزارعين بدأت تتصاعد عندما هبطت أسعار المحاصيل ، فلم تف الغلال بخراجها .

ويرجع هذا النظام إلى الخليفة العباسى المهدى (١٥٨هـ/٧٧٤م) ، حيث قرر العدول عن نظام المساحة ، والعمل بنظامه المقاسمة وبدأ التنفيذ بهذا النظام منذ سنة ١٦٠هـ/٧٧٤م[٤٧] ٠

وقدرت قيمة المقاسمة بنسب معينة كما يلى :

- النصف على الأرض التى تسقى سيحا – بدون آله أو رافعة ٠
- الثلث على الأراضى التى تسقى بالدوالى – الناعورة – ويظهر أنها ساقية صغيرة أو شادوف٠
- الربع على تلك التى تسقى بالدواليب ٠

ولا شئ عليهم سوى ذلك[٤٧] وهذا النظام خاص بالزروع ، أما الثمار من نخيل وكروم وأشجار فتبقى على نظام المساحة ، وينبغى تعديل الخراج حسب قرب وبعد الأراضى من الأسواق مع مراعاة النسبة[٤٨].

العشور :

عشور التجارة هى نوع من الضرائب الجمركية فرضتها الدولة الإسلامية على تجارة أهل الذمة ، وكذلك على أهل الحرب إذ مروا بتجارتهم على ثغور الإسلام ، أو دخلوا دار الإسلام ، كما فرضت أيضا على تجارة المسلمين إذا جلبوها من خارج دار الإسلام ٠

لم تكن العشور معروفة على عهد الرسول ﷺ ولا فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق ﷺ ، وكان أول من سن تشريعها فى الدولة الإسلامية الخليفة عمر بن

الخطاب ﷺ ، وذلك نتيجة تشعب مظاهر النشاط الإسلامى فى عهده واختلاط المسلمين بالمجتمعات الأخرى ٠

والسبب فى ذلك أيضا أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ يقول له " إن تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر، فكتب إليه عمر خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما أى ربع العشر وليس فيما دون المائتين (من الدراهم) شئ[٤٩] ، وقد اعتبر أبو يوسف أن ما يؤخذ من المسلمين من العشور يجرى مجرى الصدقة ، وما يؤخذ من أهل الذمة وأهل الحرب يجرى مجرى الخراج[٥٠] ٠

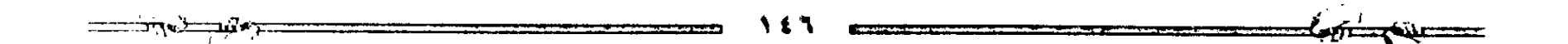
مبررات العشور :

- **الأمان** : وذلك لبسط حماية الدولة على التجار المكلفين بها وحمايتهم ٠
- استفادة التجار من مرافق الدولة ٠
- تحقيق النفع الاقتصادي للبلاد ٠

وكانت العشور لا تحصل إلا مره واحدة فى السنة ٠

الغنائم "الخمس" :

الغنيمة والغنم بالضم – تعنى الفوز بالشئ بلا مشقة ، والغنيمة هى ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه عنوه[٥١] تنقسم الغنائم إلى أربعة أقسام : أسرى وسبى وأرض وأموال[٥٢] .



الأسرى :

وهم المقاتلون من أهل الشرك الذين يقعوا أسرى فى يد المسلمين، وكانوا إما أن يقتلوا أو يسترقوا أو يفدوا أنفسهم بمال ، ويكون المال المأخوذ فى الفداء غنيمة(٥٣).

السبي :

فهم النساء والأطفال ولا يجوز قتلهم إذا كانوا أهل كتاب ولكن يعتبروا سبيا مسترقا ويقسمون مع الغنائم ، ولا يفرق بين الوالدة وولدها ، ويجوز فداء الأسرى بالمال ، ومبادلتهم بأسرى المسلمين(٥٤) .

الأرض :

وهى ثلاثة أقسام ، أرض ملكت عنوه ، وأرض ملكت عفوا ، أرض استولى عليها المسلمون صلحا ، ولكل نوع أحكامه(٥٥) .

أما الغنائم المنقولة كالماشية والمال والأسلحة فهى تقسم كما جاء فى الآية الكريمة :

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٥٦).

وعلى هذا فقيمتها الخمس أى أن بيت مال المسلمين يستحق نسبة قدرها ٢٠٪ من الغنائم التى يستولى عليها المسلمون من الحروب(٥٧) .



الفئ:

فى اللغة ، فاء الرجل يفئ فيئا من باب باع ، رجع ، وفى القرآن الكريم : ﴿ ...حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ... ﴾[٥٨] أى حتى ترجع إلى الحق ، وفاء الظل يفئ فيئا، أى رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق ، والفئ الخراج والغنيمة .

وتعددت تفسيرات الفئ بمفهومه الاصطلاحى وتختلف فيه وجهات النظر من خلال التفسيرات المختلفة ، ونستطيع أن تقول أن أدق معنى للفئ ، هو أن كل مال وصل إلى المسلمين من المشركين عفوا بدون حرب ولا يخاف خيل ولا ركاب راى بالرعب الذى يقذفه الله فى قلوب المشركين[٥٩].

وهناك فرق بين الغنيمة والفئ ، فمال الفئ مأخوذ عفوا ومال الغنيمة مأخوذ قهرا وإن أربعة أخماس الفئ تصرف فى أشياء غير أربعة أخماس الغنيمة[٦٠] حيث أن أربعة أخماس الفئ تؤول خالصة لبيت مال المسلمين[٦١] .

يجب إعادة النظر فى تقسيم خمسة كما تقسم خمس الغنائم " لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل "[٦٢] .

ومن مصادر الثروة فى عصر الراشدين الصوافى أو القطائع وهى الأرض التى بقيت بغير صاحب ، لجلاء أهلها ، أو لأنها كانت تابعة للملوك السابقين ، فضمها الخليفة عمر ﷺإلى بيت المال وسماها الصوافى ، لأنه استصفاها أى جعلها خالصة للمسلمين ، ورأى الخليفة عثمانﷺ أن المصلحة تقتضى إعطاءها لمن يشرفون على زراعتها ، فوزعها على بعض المسلمين من الصحابة والولاة وأقاربه

إقطاع إجارة لا تمليك فلما تولى الخليفة على بن أبى طالب ﷺ ردها إلى الملكية العامة[٦٣] .

هذه هى الموارد الأساسية لبيت المال ويمكن تقسيمها إلى قسمين موارد دورية منتظمة وموارد غير ذلك .

الموارد الدورية هى : الزكاة – الجزية – الخراج .

الموارد غير الدورية هى : الغنيمة – الفئ – عشور التجارة[٦٤] .

وهناك موارد أخرى أقل أهمية مما ذكرنا منها :

١. تركة من لا وارث له إن كان مسلما ، فإن كان ذميا فتركته ترد على أهل ملته .

٢. خمس الركاز – المعادن – وهى الذهب والحديد والنحاس والرصاص ويمكن أن يلحق بها البترول وغيره من الثروات التى تستخرج من باطن الأرض .

٣. المصادرات : قرر المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٤م إن من حق ولى الأمر بكل بلد أن يحد من حرية التملك بالقدر الذى يكفل درء المفاسد البينة وتحقيق المصالح الراجحة ، وإن هذه الأموال من حق ولى الأمر أن يردها إلى أهلها أو يدفعها للدولة فإن لم يوافقوا قام بمصادرتها ليجعلها فى مواضعها[٦٥] .

وكان الرسول ﷺ يحاسب عماله على المستخرج والمصروف ومصادر الهدايا التى تهدى إلى الولاة ويردها إلى أهلها إذا عرفهم ، أو يودعها بيت المال إذا تعثر معرفة أصحابها ليستعن بها فى أمور الدولة من جهاد وغيره ، ويتضح لنا ذلك ، من

الرواية التى رواها مسلم فى صحيحة ، عن أبى حميد الساعدى من قصة ابن النبيه الأزدى الذى ولاه الرسول ﷺ صدقات بنى سليم وعندما جاء الرسول ﷺ يحاسبه قال ، هذا لكم وهذا لى ، قال النبى ﷺ : "فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا "(٦٦) .

وقد حذا الخلفاء الراشدون حذو الرسول ﷺ فى هذا المجال فكان سبب مصادراتهم لعمالهم هو حجب بعض الولاة لجزء من مال الخراج أو اشتغالهم بالتجارة وانصرافهم عن مصالح الرعية ، فشاطرهم الخليفة عمر أموالهم ، وأخذ ما زاد عن رأس مالهم وأودعه بيت مال المسلمين ، وممن شاطرهم الخليفة عمر فى أموالهم عمرو بن العاص عامله على مصر ، وأبو هريرة عامله على البحرين ، وسعد بن أبى وقاص عامله على الكوفة ، والنعمان بن على والى نيسان ، وخالد بن الوليد والى الشام ، وعتبه بن أبى سفيان والى الطائف ، وأبو موسى الأشعرى والى البصرة(٦٧) ، ومن الوثائق التى تؤكد ذلك الخطاب الذى أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى والى مصر عمرو بن العاص جاء فيه " من عبد الله أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : سلام عليك أما بعد • فقد بلغنى أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبيد ، وعهدى بك قبل ذلك ولا مال لك ، فاكتب إلى من أين أصْلُ هذا المال"(٦٨).

وحدثت المصادرات فى عهود مختلفة غير عهد الخليفة عمر رضي الله عنه إلا أنها كانت تتم تعسفا وذلك فى عهد بنى أمية حيث كانت المصادرات إحدى وسائل الإنتقام من الخصوم ، دون أن يتعرضوا لأذى ، وأحيانا كانت المصادرات ولم تنفذ ، وأحيانا أخرى صادروا الأموال ثم ردوها لأصحابها(٦٩) .

ومن أمثلة مصادرات العصر الأموي :

استيلاء معاوية بن أبى سفيان على تركة زياد بن أبيه عامله على العراق . وكانت قيمتها ستة ملايين دينار ، ثم قام من بعده ابنه يزيد (٦٠-٦٤ هـ) بمصادرة أهل المدينة المنورة عندما خرجوا عليه ، ونفذ ذلك قائد جنده مسلم بن عقبة[٧٠] .

وفى خلافة عبد الملك بن مروان صادر أموال واليه على خرسان بكير بن وشاح وعزله ، وصادر الحجاج بن يوسف الثقفى أموال عبد الله بن الزبير بعد مقتله[٧١] وفى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك صودرت أموال الحجاج بن يوسف ، وتمت مصادرات فى عهد الخلفاء الأمويين حتى نهاية العصر الأموى[٧٢] .

وفى العصر العباسى ، بدأت المصادرات تكشف عن وجهها القبيح ، واتخذت شكلا جديدا غير متعارف عليه فى العصور السابقة ، وظل هذا الشكل سائدا فى الدولة الإسلامية حتى نهاية عصر المماليك وكان من أهم السمات العامة للمصادرات هى :

- ازدادت المصادرات فى بداية عهدهم خاصة لبنى أمية وكان مصير أكثر المصادرين القتل[٧٣].
- كان منفذ المصادرات الوزير ، وغالبا ما لجأ إلى الشدة فى تنفيذ ذلك[٧٤].
- لم تكن المصادرة جزاءا للمخالفات ، بل أصبحت غرضا لجمع الأموال من الأثرياء .
- كانت هذه الأموال تؤول إلى بيت مال العامة وبيت مال الخاصة .

مثال لبعض حالات المصادرات خلال العصر العباسى الآتى :

فى عهد أبو العباس السفاح أمر أقاربه بقتل ومصادرة كل من يجدونه من الأمويين[٧٥] ، وفى عهد أبو جعفر المنصور قام بمصادرة أموال الوزير أبى أيوب سليمان المورياني وقتله بسبب كذبه عليه ، وذلك سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م[٧٦] ، وكذلك صادر خالد بن برمك بعد اتهامه فى خراج الأهواز وأخذ منه مبلغ ٢.٧٠٠.٠٠ دينار استدانها من الناس[٧٧] ، وقد اودعت هذه الأموال فى بيت مال مفرد يسمى " بيت مال المظالم " وكتب على كل مال اسم صاحبه وأوصى ابنه المهدى من بعده استدعاء أصحاب الأموال وردها إليهم[٧٨] ، وفى عهد هارون الرشيد صادر أموال البرامكة بعد نكبتهم سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م وأخذ منهم ما يقدر ٥٠.٦٨٠.٠٠٠ خمسين مليون دينار[٧٩] وقبض على ابن ماهان والى خرسان وصادر خزانته ، ويقال أنها نقلت على ١٥٠٠ جمل[٨٠] وفى العصور اللاحقة لهارون الرشيد كانت المصادرات من قبل الخلفاء العباسيين حتى نهاية العصر العباسى .

وفى العصر الفاطمى كانت المصادرات كثيرة ، حيث تمت مصادرة الخلفاء للوزراء ، وصادر بعض الوزراء ممتلكات العامة[٨١] ، ومثال لذلك قام العزيز بعزل وسجن ومصادرة الوزير يعقوب سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م وأخذ منه نصف مليون دينار وفى سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م قبض المستنصر على الأسعد المريقى وصادر ممتلكاته ، وكانت تحوى عددا كبيرا من آلات الحرب[٨٣] ، وهكذا كانت المصادرات ضمن موارد الدولة التى تصل إلى بيت مال المسلمين .

النفقات :

وكـان لهـا ديـوان خـاص عـرف باسـم ديـوان النفقـات كانـت واردات الدولـة الأساسية وغير الأساسية التى سبق الحديث عنها تصب فى بيت المال لتكون تحت تصرف الخليفـة أو الحـاكم ، فبيـت المـال شـديد الشبه بالخزانـة العامـة للدولـة فـى عصرنا هذا ، وقد أصبح فى كل ولاية من الولايات الإسلامية بيت مال خاص بها بالإضافة إلى بيت المال المركزى فى قصر الخلافة أو مركز الحكومة ٠

وكانت مصارف بيت المال تنفق فى مصالح المسلمين ومرافقهم العامة وما تقضى الحاجة إلى إنفاقه وأهم هذه المصالح الآتى :

- أعطيات الجند ٠
- أرزاق القضاة والولاة والعمال والموظفين والكتاب وعمارة المساجد ٠
- الهبات والمنح وغيرها ٠
- المنافع العامة مثل شق الأنهار ، وحفر الآبار وإقامة الجسور ٠

النفقـات الخاصـة بقصـر الخليفـة ورجـال الـبلاط (بعـد عصـر الخلفـاء الراشدين) وازدادت نفقـات الدولـة خـلال عصـر العباسـيين ، لدرجـة كـبيرة حتـى بلغـت نفقـات دار الخلافـة فقـط عـدا الولايـات فـى اليـوم سـبعة آلاف دينـار[٨٣] ، وبـالطبع ترجـع هـذه النفقـات إلى بذخ الخلفـاء وتحـرر بعضـهم نوعـا مـا مـن التقـاليد الدينية والانغماس فى اللهو ٠

- نفقات بناء الحصون وإعداد الجيش وتسليحه ، وتسيير البريد [٨٤] هذا ولم تكن الدولة تنفق على كل الأمور حيث كانت هناك أموال الأوقاف الإسلامية وأهل

الخير التى تنفق فى إصلاح الجسور وشق الطرق ، وأحيانا ينفقون على الجهاد[٨٥].

- كانت هناك مصارف محددة لموارد محددة وخاصة الزكاة كما جاء فى الشرع وكما ذكرنا .

النقود الإسلامية :

كان العرب قبل الإسلام يتعاملون بنقود كسرى وفارس من الذهب والفضة واستعمل المسلمون فى عصر الرسولﷺ والخلفاء الراشدون تلك النقود ، وهى الدينار[٨٦] البيزنطى وهو عملة ذهبية ولما افتتحت الفتوح على عهد عمر واستولى المسلمون على بلاد فارس وكثير من بلاد الروم رأى عمر بن الخطاب ﷺأن يعين وزن الدرهم[٨٧] لأنه نظر فرأى الدراهم الكسروية المسكوكة مختلفة الوزن فمنها درهم وزن المثقال (٢٠ قيراطا) ومنها درهم وزنه قيراطا ، ودرهم وزنه ١٠ قراريط فأخذ عمر ﷺجميع هذه الأوزان الثلاثة وهى (٤٢ قيراطا)[٨٨] وأخذ ثلثها وهو (١٤ قيراطا) وضرب الدراهم على ذلك، فكان كل عشرة دراهم وزن سبعة مثاقيل لأن وزنها (١٤٠) فصارت النسبة بين الدراهم والمثاقيل كنسبة (١٠:٧)[٨٩] .

ويذكر المقريزى أنه فى سنة ١٨هـ/ ٦٩٣م ضرب الدرهم على نقش الكسراوية وشكلها بعينها غير أنها زاد فى بعضها : "الحمد لله" ، وفى بعضها "محمد رسول الله" ، وفى بعضها "لا إله إلا الله وحده" ، وعلى أخرى عمر ، وجعل وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل ، وفى عهد الخليفة عثمان ﷺ ضرب فى خلافته دراهم ونقشها الله أكبر[٩٠] .

واستخدمت الدولة الأموية الدنانير البيزنطية القديمة نفسها مع بعض التعديلات كإضافة عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" على أحد وجهى الدينار مع إبقاء صورة الإمبراطور البيزنطى هرقل على الوجه الآخر، وقد ضرب هذا النوع من العملة فى دمشق سنة ٧٢هـ / ٦٩١م[٩١] .

ثم حدث تعديل جديد على العملة حيث استبدلت صورة هرقل بصورة الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٩هـ/ ٦٨٤-٧٠٧م) واقفا يحمل سيفا وقد بدأ ضرب هذا النمط من الدنانير سنة ٧٤هـ/ ٦٩٣م ، وذلك بعد سنوات لضربه النقود دون أن تظهر عليها صورة الخليفة بل نقشت عليها عبارات مثل الشهادتين وآيه قرآنية [٩٢] .

ثم أمر بضرب الدراهم فى سنة ٧٥هـ وأمر بتعميم العملة الإسلامية فى جميع الولايات سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م ، ولهذا كان إصلاح العملة وتعريبها ما بين سنة٧٤هـ إلى سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م[٩٣] .

وجعل عبد الملك وزن الدينار إثنين وعشرون قيراطا إلا حبه بالشامى ووزن الدرهم خمسة عشر قيراطا سوى ، وقيل أن عبد الملك أمر الحجاج وهو بالعراق بضربها ففعل[٩٤] .

وكان السبب فى تعريب النقود هو أنه كانت القراطيس (أى ورق الكتابة) تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتى العرب من قبل الروم الدنانير ، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث رؤوس الطوامير ، كتابة " قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ " وغيرها من ذكر الله فكتب إليه ملك الروم ، إنكم أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه

فإن تركتموه وإلا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه ، فكبر ذلك فى صدر عبد الملك وكره أن يدع سنة حسنة سنها ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية يستشيره فأشار عليه بأن يحرم دنانيرهم ويمنع التعامل بها ويضرب للناس سككا ، ويمنع أن يدخل بلاد الروم شئ من القراطيس وانقطعت التجارة التى كان بها يتم التبادل بين الأوراق والدنانير(٩٥).

وبطل التعامل منذ ذلك الوقت بالنقود الفارسية والرومية(٩٦) وصارت العملة موحدة فى جميع أنحاء الأمصار ، فعبد الملك بن مروان هو أول من أوجد النقد القومى العربى للدولة الإسلامية(٩٧) .

وكانت الدنانير والدراهم الإسلامية تضرب أو تسك فى مصانع خاصة عرف الواحد منها باسم (دار الضرب أو دار السكة) (٩٨) وقد استخدم العرب بعد الفتوحات دور الضرب التى كانت موجودة فى أيام الساسانيين والبيزنطيين وفى خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٩هـ/ ٦٨٤-٧٠٧م) أنشئت أول دور الضرب الإسلامية فى الكوفة وواسط من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق(٩٩) .

وخلال العصر العباسى أوجد الخليفة هارون الرشيد منصبا جديدا للإشراف على سك النقود هو " ناظر السكة " وعندما ضعف نفوذ الخلفاء العباسيين وقامت عدة دويلات إسلامية فى الأقاليم أقيمت مراكز جديدة لسك النقود(١٠٠) وقد ساعد النشاط التجارى الإسلامى وتقدم الصناعات والمدن وازدهارها على ازدياد دور الضرب(١٠١) .

وكانت ترد لدور السكة العربية الإسلامية كميات كبيرة من الذهب والفضة والنحاس ، وكان يعمل بها عدد من الموظفين والعمال منهم :

السباك : وهو الذى يختص بإعداد السبائك المعدنية للسك(١٠٢) .

النقاش : وهو المكلف بنقش المسكوكات وصيانة رسومها وتصميمها(١٠٣) .

المقدم : وهو أهم شخصية فنية بدار الضرب ، حيث يعد المسئول الأول عن جميع مراحل عمليات السبك فى دار الضرب من اختيار المواد الخام وسبكها ثم اختيار السبيكة من خلال قياس مدى نقائها ، ويوكل إليه أعمال كثيرة بدار الضرب مثل حفظ عيارى الذهب والفضة ، ومعرفة أسرار المزيفين وغيرها(١٠٤) .

الضراب : وهو العامل الذى يقوم بضرب العملة أو سكها ، وقد ورد اسم الضراب بمعنى الطباع فى أول أمر تعريب النقود(١٠٥) .

الناقد أو المعدل : وكانت مهمته تمييز العملة وإخراج المزيف منها (١٠٦) .

الصانع : وهو الذى يقوم بصنع الصنج الزجاجية الخاصة بوزن النقود داخل دار الضرب(١٠٧) .

الكتاب : ومهمتهم تسجيل فئات النقود وكمياتها وأوزانها فى سجلات خاصة .

هذا وقد عرف المسلمون ثلاثة أنواع من العملة : الدينار من الذهب ، والدرهم من الفضة ، والفلس من النحاس .

وكانت أوزان هذه العملات تخضع لإشراف الدولة على قاضى القضاة أو القاضى للتأكد من مطابقتها للمواصفات(١٠٨) ، كما كان المحتسب يراقب دار الضرب وخاصة دار العيار فيها صنج المسكوكات(١٠٩).

وقد كان للسكة أو ضرب النقود أهمية خاصة كوسيلة لإظهار نفوذ الحكام ، ولذلك اعتبرت السكة من أهم شارات الخلافة والحكم فى الدولة الإسلامية ، وأن سك العملة يعد مظهرا يؤكد استقلال الدولة سياسيا واقتصاديا وإداريا ، فإذا ضرب أحد الحكام المسلمين نقودا باسمه دون اسم الخليفة كان ذلك دلالة على استقلاله فى الحكم وعدم اعترافه بسيادة الخليفة .

وكان الوزن الشرعى للعمله ، هو المثقال والدانق(١١٠) ، وهناك اختلاف بين وزن العمله وعيارها ، فالوزن هو المثاقيل أو الدوانق التى توزن بها الدنانير والدراهم، أما العيا، فهو يعنى قيمة الجودة فى العملة ، فإذا كانت خالصة كان العيار كاملا، وإذا كانت العملة غير خالصة كان العيار ناقصا(١١١) .

ديوان بيت المال :

ويعرف بالديوان السامى ، وهو أصل الدواوين ومرجعها إليه ، ووظيفته ثبت جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها من عين وغلال وفئ وغنائم وأعشار وأخماس ويثبت ما تحصل من ذلك ، ويتخذ بيتا لأصناف الأموال ويجعل عليها دواوين وحرسا ، فالأموال والقماش لها ديوان الخزانة ، والغلال لها ديوان الأهراء ، والأسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح(١١٢) .

ويكون لصاحب هذا الديوان علامة على الكتب والصكاك والاطلاقات يتفقدها الوزير وخلفاؤه ويراعونها ويطالبون بها ، وكان الوزير يطالب صاحب المال برفع حساب فى كل أسبوع ، ليعرف ما حل وما قبض وما بقى(١١٣) وكان من واجبات صاحب بيت المال أن يقدم فى آخر كل شهر حسابا كان يطلق عليه اسم "الختمة" وحسابا فى آخر السنة يسمى ختمة جامعة(١١٤) .

وإلى جانب هذه الدواوين التى بدأت فى عهد الخلفاء الراشدين أو فى عهد الخلفاء من بنى أمية واكتسبت فى العهود التالية مزيدا من الترتيب والتنظيم فى الغالب ظهرت هناك دواوين أخرى ترجع فى معظمها إلى العصر العباسى ومن عاصرهم أو من جاء بعدهم ومنها الآتى :

- **ديوان الأحشام** : وهو ديوان الذين كانوا فى خدمة البلاط .
- **ديوان الحوائج** : واختص بجمع الرقاع - الشكاوى - من المشتكين وتقديمها للخليفة .

وقد ذكر اليعقوبى هذين الديوانين فى عداد الدواوين التى نقلها أبو جعفر المنصور إلى بغداد سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م حين أتم بناءها(١١٥) .

- **ديوان المصادرين** : لتسجيل أسماء من صودر أموالهم ومقدار ما صودرت عليه .
- **ديوان الضياع** : واختص بإدارة ضياع الخليفة وأسرته وجميع هذه الدواوين كانت فى خلافة أبى جعفر المنصور(١١٦) .

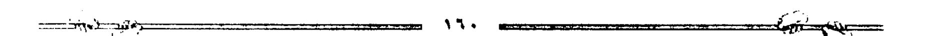
- **ديــوان الصــوافى** : وكــان يتــولى إدارة الأراضــى التابعــة لنظـر خليفــة المسلمين[١١٧] .

ديوان الموالى والغلمان : واختص بتسجيل موالى الخليفة وعبيده[١١٨] .

- **ديوان المواريث** : وكان يختص بأموال من لا وارث له أو توفى ويرث أقاربه جزء من تركته فيصبح الجزء الباقى من حق ديوان المواريث ، الغاه الخليفة المعتضد سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م ، حيث أمر برد الفاضل من تركة المواريث على ذوى الأرحام[١١٩] .
- **ديوان الجهبذه** : وكان يتولى النظر فى الحسابات المالية وتدقيق موارد المال وبقايا أموال المطالبات التى كان يتعذر على أهل الخراج أداؤها فى وقت المطالبة[١٢٠] .
- **ديوان الأكرة** : وكان يشرف على القنوات والترع والجسور وشئون الرى
- **ديوان الماء** : وكان يحفظ فيه خراج كل من أرباب المياه وينظر فيما يملكه أرباب المياه من الماء وما يباع وما ينقص منه[١٢١] .

وذكر المقريزى من الدواوين عند الفاطميين ديوان النظر ، وكان ينظر فى دواوين المال ، وديوان المجلس وكان ينظر فى الإقطاعات[١٢٢] .

ومما سبق يلاحظ كثرة الدواوين ونجد أن سبب ذلك هو اهتمام ولاة الأمر بشئون الدولة والأمة ، فكلما ظهرت مصلحة الأمة فى شئ سارع الحكام إلى إنشاء دائرة – أى ديوان – لرعايتها والقيام على شئونها .



ولذا كثرت الدواوين ، وكبر الجهاز الإدارى فى الدولة الإسلامية متماشيا مع المصالح وكثرتها .

المكاييل والموازين والمقاييس :

اختلفت المكاييل والموازين ووحدات القياس من قطر إلى آخر من أقطار العالم الإسلامى ، كما كانت تختلف أيضا فى القطر الواحد من مدينة إلى أخرى ، كما يظهر هذا الاختلاف أيضا من عصر إلى عصر .

١- المكاييل :[١٢٣]

ورد الكيل فى القرآن الكريم فى عدة مواضع منها قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[١٢٤]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾[١٢٥] .

وقال تعالى:﴿ ... وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ... ﴾[١٢٦]

وتعددت أنواع وأسماء المكاييل فى الأسواق حيث استخدمت لتقدير الأشياء اليابسة مثل الحبوب والملح والتمور وما شابهها فكان هناك :

الإردب :

وهو ميكيال مصرى قديم ، وهو أربعة وعشرون صاعا ، بما يعادل (٦) ويبات أو (١٢) كيلة أو (٢٤) ربعا أو (٤٨) ماواه أو(٩٦) قدحا ، وقدرت قيمة الأردب وزنا (١٥٠)كجم قمحا (١٣٠) كجم شعرا ، (١٤٠) كجم ذره ، (١٥٥) كجم فولا .

(٥٧) كجم عدسا[١٢٧] ، وعند الحنفية الأردب يعادل ٧٨ كجم ، وعند الجمهور يساوى ٤٨.٩٦ كجم[١٢٨] ، والاردب يساوى (١٩٨) لتر[١٢٩] .

الصاع :

ويستخدم فى تقدير الحبوب الحبوب أيضا ، وهو لغة مكيال لأهل المدينة ويقدر بأربعة أمداد[١٣٠] ومقداره ثمانية أرطال كوفية[١٣١] ومقداره عند الحنفية ٣.٢٥ كجم ، وعند الجمهور ٢.٠٤ كجم[١٣٢] .

الويبة :

لغة كيل مصرى معروف وهى تساوى ٦/١ (سدس إردب) كما تساوى كيلتين وتساوى ٣٣ لترا[١٣٣] .

الكيلة :

وهى وعاء يكال به الحبوب ، وهى من المكاييل المصرية ، تقدر بثمانية أقداح وتساوى أربعة ملاوى[١٣٤] وتعادل ١٦.٥ لتر[١٣٥] .

القدح :

وهو مكيال مصرى مقداره ٨/١ ثمن كيله مصريه ، وحجمه يعادل ٢.٠٦٢٥ لترا[١٣٦] وعرف منه بعض الأجزاء مثل نصف ، وربع وثمن القدح ، والخروبه والقيراط وهو أقلها جميعا إذ يبلغ جزء من (٣٢) جزء من القدح[١٣٧] .

المد :

اختلفت الفقهاء فى تقديره ولذا اختلفت قيمته من منطقة إلى أخرى فى العالم الإسلامى ، وهو مقدار ملء اليدين المتوسطتين من غير قبضهما ، وقد ورد فى

الحديث أنه ﷺ كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع[١٣٨] ومقدار المد رطلان بالعراقى عند الحنفية ، وعند الشافعية فهو رطل وثلث بالعراقى[١٣٩] وهو يساوى بالحنفية ٨١٢.٥ جراما ، وعند الجمهور يساوى ٥١٠ جراما[١٤٠] .

القفيز :

وهو المكاييل التى تفاوض الناس فى تقديرها لاختلاف الاصطلاح فيها ، والقفيز مكيال وهو ثمانية مكاييل ، وهو معروف لأهل العراق وهو يساوى صاع ونصف ، وثلاث كيلجات أو نصف ويبه (أى أحد عشر أو أثنى عشر مدا)[١٤١] ويعادل عند المالكية ٤٨ صاعا ، وعند الشافعية ١٢ صاعا .

الكيلجه :

تساوى ثلث مكوك أو ما يعادل خمسة أرطال أو ستمائة درهم[١٤٢] .

الجريب :

مكيال قدره أربعة أقفزة يساوى ٤٨ صاعا ، ومقداره عند الحنفية ١٥٦ كجم وعند الجمهور ٩٧.٩٢ كجم[١٤٣] .

الوسق :

وهو يساوي ٦٠ صاعا عند أهل الحجاز ، ورد ذكره فى الحديث النبوى الشريف ، فعن أبى سعيد الخدرى ، ليس فيما دون خمسة أواسق صدقة " متفق عليه[١٤٤] ، ومقداره عند الحنفية يعادل ١٩٥ كجم ، وعند الجمهور يعادل ١٢٣.٤ كجم ، ويعادل ١٠ كيلات مصرية .

الكـر :

هو أكبر مقاييس الكيل العربية ، وهو مكيال لأهل العراق ، والكر (٦٠) قفيزا في بغداد[١٤٥] ، أما الكر بواسط والبصرة كان مقدار مائة وعشرون قفيزا[١٤٦] ويعادل بالمصرى أربعين إردبا من أول = عشرة إردب من الحالى[١٤٧] .

القربـة :

ظرف من الجلد يخرز من جانب واحد ، وتستعمل لحفظ الماء واللبن ونحوهما[١٤٨] ومقدار القربة رطل بغدادى ، وتعادل ٤٠.٦٢٥ كجم عند الحنفية ، أما عند الجمهور فهى تعادل ٨.٢٥٠ كجم[١٤٩] .

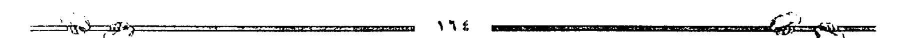
القسط :

يقدر بنصف صاع ، وأصله من القسط أى النصيب[١٥٠] ويعادل عند الحنفية ١.٦٢٥ كجم ، وعند الجمهور يعادل ١.٠٢ كجم[١٥١] .

المدى :

بالضم - وهو مكيال لأهل الشام ومصر وهو غير المد ، وقال الجوهرى : المدى : القفيز الشامى وقيل المدى مكيال لأهل الشام يقال له الجريب ، يسع خمسة وأربعين رطلا ، ومثل المدى مكيال لأهل الشام يسمح خمسة عشر مكوكا ، والمكوك صاع ونصف ، وهذه آراء مختلفة ، رأى يقول أنه مثل الجريب ، ورأى يقول أنه = ٤٥ رطلا ورأى أخر يقول أنه = ١٥ مكوكا كل منها صاع ونصف .

والتقدير الأخير للمدى هو ٢٢.٥ صاعا ، ويسع ١٢٠ رطلا ويعادل ٤٥.٩ جراما[١٥٢] .



٢- الموازين :[١٥٣]

لما كانت الموازين والمكاييل أساس المعاملات ، وبها اعتبار المبيعات وتقع بهما المعاملة على الوجه الشرعى ، فقد اصطلح أهل كل اقليم على موازين ومكاييل معينة فيما بينهم مثل : القنطار والوقية ، والرطل ، والدينار والدرهم ، والقيراط ، والقطمير، والنقير ، والفلس والمن ، وغيرهما وفيما يلى تفصيل موجز لهذه الأوزان :

القنطار :

ورد ذكر القنطار فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ ...وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ... ﴾[١٥٤]

وفى قوله﴿ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ... ﴾[١٥٥]

وقد اختلف الناس فى تحديده ، فقيل مقداره ألف ومائتا أوقية ، أو مائة رطل من ذهب أو فضة ، أو ألف دينار ، أو ثمانون ألف درهم ، وأصح الأقوال من ذلك أن القنطار يقدر بألف ومائتا أوقية ، بما يساوى ٨٤٠٠ دينار[١٥٦] .

ومقدار القنطار عند الحنفية = ١٤٩.٧٦ كجم ، وعند الجمهور ١٤٢.٨ كجم[١٥٧] .

الرطل :

معيار يوزن به ، وهو مكيال أيضا والمقصود به رطل بغداد أو الرطل العراقى ، ويساوى عند الحنفية ٤٠٦.٢٥ جراما ، وعند الجمهور الرطل يساوى ١٢٨ درهم وأربعة أسباع[١٥٨] ، واختلفت الأرطال تبعا لما يوزن بها ، فالرطل الذى يوزن به

الفحم والحطب والخشب غير الرطل الذى يوزن به الكافور والروائد والادهان النفيسة والطيب[١٥٩] .

وكان رطل نصيبين يساوى ٤٢٠ درهما ورطل الرى يساوى ٣٠٠ درهما ، ورطل واسط والبصرة ١٢٨ درهما[١٦٠] ، والرطل المكى يساوى ٢٠٠ درهم[١٦١] ، والرطل البغدادى وكلاهما يساوى ١٣٠ درهما[١٦٢] .

الأوقية :

من أشهر الموازين التى كانت سائدة فى الجزيرة العربية وقد ورد ذكرها فى الحديث النبوى الشريف ، فعن سلمة بن عبد الرحمن قال : قالت عائشة رضى الله عنها : كم كان صداق رسول الله ﷺ ؟ قالت كان صداقة لأزواجه اثنتى عشرة أوقية ونشا ، قالت أتدرى ما النش ؟ قلت لا . قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم " رواه مسلم[١٦٣]

وحددها ابن المجاور بحوالى ١/٣ ٢١ درهم وبحساب الدرهم ٣.١٢٥ جم يكون وزن الأوقية فى القرن ٦هـ / ١٢ الميلادى بلغ ٦٧.٠٧٨ جم بينما ذكر هنتس أن وزنها فى شبة الجزيرة العربية فى صدر الإسلام كان حوالى (٤٠) درهما أى ١٢٥ جم[١٦٤] .

النش :

هو لغة يطلق على النصف من كل شئ ، وقيل أن وزنه عشرون درهما وهو نصف الأوقية لأنهم يسمون الأربعين درهما أوقية ويسمون العشرين درهما نشا .

ويسمون الخمسة نواه[١٦٥] ، ومقداره عند الحنفية ٦٢.٤ جراما ، وعند الجمهور ٥٩.٥ جراما .

الدينار :

هو مثقال من الذهب ، ومقداره ٤.٢٥ جراما[١٦٦] ويساوى الدينار ٦ دوانق .
فوزن الدانق = ٠.٧٦٨ جرام[١٦٧] .

الدرهم :

اسم لما ضرب من الفضة على شكل مخصوص ، وهو وحدة نقدية من المسكوكات الفضية معلومة الوزن ، ورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾[١٦٨]

ومقدار الدرهم عند الحنفية ٣.١٢٥ جراما ، وعند الجمهور مقدار (٢.٩٧٥) جراما[١٦٩] .

الفلس :

الفلس فى اللغة : القشرة على ظهر السمكة[١٧٠] وفى الاصطلاح الفلس عملة يتعامل بها مضروبة من غير الذهب والفضة ، وتقدر بسدس درهم[١٧١] .

القيراط :

جزء من أجزاء الدينار ، وهو يساوى ٠.١٧٧١ جراما[١٧٢] حيث أنه يساوى ١/٢٠ من الدينار .

الحبة :

في اللغة واحدة الحب ، وتجمع أيضا على حباب وحبوب ، وهى الحبوب المختلفة فى كل شئ وحبة القلب سويداؤه [١٧٣] ، وفى الاصطلاح هى وزن للنوع من الحبوب التى يتركب منها الدرهم والدينار ، وباقى الأوزان ·

ومقدار الحبة عند الجمهور تساوى واحد من اثنين وسبعين من الدينار ·

أى ٤.٢٥ ÷ ٧٢ = ٠.٠٥٩ جراما [١٧٤] ·

المن :

فى اللغة المن مأخوذ من المنا الذى يوزن به ومقداره رطلان [١٧٥] ومقدار المن ٢٦٠ درهما ، أى ٧٧٣.٥ جراما [١٧٦] ·

القطمير :

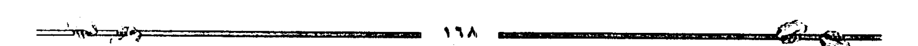
فى اللغة هو القشرة الرقيقة التى على نواة البلح ، كاللفافة لها [١٧٧] وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿... وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [١٧٨] .

والقطمير فى الاصطلاح يساوى ١٢ ذره أى (٠.٠٠٠٠٠٢٧٦) جراما [١٧٩] .

١. **الفتيل :**

فى اللغة ما يكون فى شق النواة ، ويضرب مثلا للشئ التافه الحقير وقد ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:


﴿... بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٤٩﴾﴾ [١٨٠] .

وذكر فى مواضع أخرى فى سورة النساء آيه (٧٧)، وسورة الإسراء آيه (٧)، ومقدار الفتيل يساوى ٠,٠٠٠٠٩٩٣٦ جراما[١٨١] .

٣- المقاييس :

كانت أهم وحدات قياس الأطوال المستخدم فى الأسواق الإسلامية هى الذراع :

فى اللغة بسط اليد ومدها وأصلة من الذراع وهو الساعد ، وهو بين طرف المرفق إلى طرف الاصبع الوسطى[١٨٢] . وهو أهم وحدات قياس الأطوال المستعملة فى الأسواق ومقداره ٢٤ إصبعا[١٨٣] ويساوى قدما ونصف ، أى أن القدم يساوى ٣٠.٩٠٤ سم ، ويبلغ طول الذراع ٤٦.٣٧٥ سم عند الحنفية[١٨٤] ٤٦.٢ سم[١٨٥]

ومن الأذرع المعروفة فى الدولة الإسلامية الذراع العمرية ، وهى الذراع التى وضعها عمر بن الخطاب ﷺ . وكان مقدارها بأن الخليفة عمر جمع أطوال الأذرع الموجودة وأوسطها وأحضرها وأخذ الثلث . وزاد عليها قبضة وابهاما قائما ، وهناك أيضا ما يعرف باسم ذراع العمل . وضعت من الخليفة معاوية[١٨٦] .

وهناك سبعة أنواع من الأذرع :

أقصرها القاضية – ثم اليوسفية ، ثم السوداء ، ثم الهاشمية الصغرى وهى البلاليه ثم الهاشمية الكبرى ، وهى الزيادية . ثم العمرية ثم الميزانية[١٨٧]

وعند الجمهور يسمى أيضا بالذراع المرسلة أو الذراع المأمونى [١٨٨] وهناك ذراع يستخدم فى قياس البز والتجارة يعرف بالذراع السوداء ، وأول من وضعها الخليفة هارون الرشيد ، وقدرها بذراع خادم كان على رأسه[١٨٩] .

الإصبع :

لغة يراد بها الجارحة ، ومقدار الإصبع عند الحنفية ٤٢/١ من الذراع ويساوى ٢.٥٧٦ سم[١٩٠] .

القبضة : مقدارها أربعة أصابع : أى ٢.٥٧٦ × ٤ = ١٠.٣٠٤ سم[١٩١]

الشبر : يقدر الشبر بستة أصابع ، ويساوى ١٥.٤٥٦ سم .

الباع :

مقدار من اليدين ، وهو طول ذراعى الإنسان وعضدية وصدره وذلك مقدار أربعة أذرع أى ٤٦.٢ × ٤ = ١.٨٤.٢ م[١٩٢] .

القصبة :

فى مصر خلال العهد الإسلامى صارت أراضى مصر تقاس بقصبة خاصة يقال لها القصبة الحاكمية ، وطولها ثمانية أذرع بذراع اليد ، أى ٤٦.٢ × ٨ = ٣٠٦٩٦ متر تقريبا[١٩٣] .

وكانت تقاس وتمسح بها الأراضى الزراعية فى مصر[١٩٤] وسميت بذلك نسبة إلى الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، حيث اتخذت وحدة قياس فى عهده وكانت عبارة عن عود من الغاب (البوص طوله ٣٨٥ سم)[١٩٥].

ومن الأنواع الأخرى القصبة السندفاوية ، وهى نسبة إلى مدينة سندفا قرب المحلة الكبرى بمصر وهى أطول من القصبة الحاكمية قليلا[١٩٦] .

الميل :

يطلق فى اللغة على عدة معان ، فمنها الميل الذى يكتحل به ، ومنها القطعة من الأرض بين الجبلين ، ومنها الميل أى مد البصر[١٩٧] ومقدار الميل هو أربعة آلاف ذراع بالمراسلة أى ٤٠٠٠ x ٤٦.٢ = ١٨٤٨ متر[١٩٨] .

الفرسخ :

كل شئ دائم كثير لا ينقطع ، وفراسخ الليل والنهار ساعاتها كأوقاتها ، والفرسخ : المسافة المعلومة من الأرض وهو فارسى معرب[١٩٩] ومقدار الفرسخ ثلاثة أميال أى أنه يساوى ١٨٤٨ x ٣ = ٥٥٤٤م[٢٠٠] .

البريد :

كلمة فارسية يراد بها فى الأصل البغل وأصلها بريده دم أى محذوف الذنب الأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كعلامة لها ، فعربت ثم سمى الرسول الذى يركبه بريدى ، والمسافة بين السكتين بريدا[٢٠١] .

ومقدار البريد العربى أربعة فراسخ أى أن طوله ٥٥٤٤ x ٤ = ٢٢.١٧٦م[٢٠٢] .

١. **المرحلة :**

هى المسافة التى يقطعها المسافر فى نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة ، والجمع مراحل[٢٠٣] ، وتساوى المرحلة ٢٤ ميلا أى ١٨٤٨ x ٢٤ = ٤٤.٣٥٢ ك .

مصادر ومراجع الفصل الثالث

1. الزكاة : الأصل اللغوى لهذه الكلمة هو الفعل "زكا" بمعنى طهر أو نما ، قال تعالى " وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ "(البقرة: من الآية١٢٩) أى يطهرهم، ويقال زكا الزرع يزكو زكاء أى نما:المعجم الوجيز: مادة زكاة،ص٢٩٠ .
2. التوبة آية ١٠٣ ، ابن فارسى : معجم مقاييس اللغة ، مجلد ٣ ص١٧ ٠
3. معبد الجارحى : النظم المالية ، ص٥٧ .
4. البقرة آية ١١٠ ٠
5. المؤمنون آية ١-٤ ٠
6. التوبة آية ١٠٣ ٠
7. البقرة آية ١١٠ ٠
8. التوبة آية ١٠٣ ٠
9. رواه البخارى فى كتاب الأعيان ٠
10. رواه البخارى فى كتاب الزكاة ٠
11. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ، ص١٥١ ٠
12. السورة التوبة آية ٣٤ ٠
13. رواه البخارى كتاب الزكاه ١٤٠٣ ٠
14. رواه البخارى كتاب الزكاه ١٤٦٠ ٠
15. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ، ص١٥١ ٠
16. رواه البخارى كتاب الزكاة ١٤٦٠ ٠

١٧. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ، ص١٥٣ ، ١٥٤ ٠

١٨. إبراهيم فؤاد أحمد : النظالم المالى فى الإسلام ، ص١٠ ٠

١٩. ابن مماتى : قوانين ، ص٦٠ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١١٣ ٠

٢٠. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ، ص١٥٦ ، ١٥٧ ٠

٢١. ابن مماتى : قوانين ، ص٦٢ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١١٣ ٠

٢٢. الماوردى : الأحكام ، ص١١٤-١١٦، حسن إبراهيم حسن ، وعلى إبراهيم حسن: النظم الإسلامية ، ص٢٣٢،٢٣٣ ٠

٢٣. الماوردى : الأحكام ، ص١١٥-١١٦ ٠

٢٤. أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة ، ص٨٣ ٠

٢٥. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ، ص ١٥٤،١٥٥ ٠

٢٦. الماوردى : الأحكام ، ص١١٦ ٠

٢٧. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٨٢ ٠

٢٨. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى فى الإسلام ، ص١٠٢ ، عبد الحميد رفاعى : الدولة الإسلامية ، ص٩٣ ٠

٢٩. ابن كثير : تفسير القرآن الكريم ، جـ٢ ، ص٣٤٧ ٠

٣٠. التوبة ، آية ٢٩ ٠

٣١. القلقشندى : صبح جـ٣ ، ص٤٥٨ ، قاسم عبده : أهل الذمة ، ص٦٩ ٠

٣٢. أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٣١ ، الماوردى : الأحكام ، ص١٢٥ ٠



٣٣. الجــــوالى : مفردها جالية ويرجع بعض المؤرخين تسميتها بذلك إلى عصر الخليفة عمر بن الخطاب ٠

٣٤. اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ، ص١٣٠ ٠

٣٥. المؤمنون الآية ٧٢ ٠

٣٦. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى فى الإسلام ، ص١٠٥ ٠

٣٧. الماوردى : الأحكام ، ص٤٠ ٠

٣٨. المعجم الوجيز : ص١٩٠ ٠

٣٩. البيومى إسماعيل : النظم المالية ، ص١٥٦ ٠

٤٠. القلقشندى : صبح جـ٣ ، ص٤٤٨ ، حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم : النظم الإسلامية، ص٢٢٧ ٠

٤١. ابن خلدون : المقدمة ، ص٣٩ ٠

٤٢. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى فى الإسلام ، ص١٠٦-١١٠ ٠

٤٣. البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٢٧٧ ، عبد الحميد رفاعى : الدولة الإسلامية فى عصر الراشدين ، ص٩٣ ٠

٤٤. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٧٨ ، ضياء ٠

٤٥. النويرى : نهاية الإرب ، جـ٢ ، ص٢٥٤ ٠

٤٦. الخربوطلى : العرب والحضارة ، ص١٧٨ ٠

٤٧. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى ، ص١١٤ ، ضياء الـــدين الـــريس : الخراج ، ص٤٠٢ ٠

٤٨. الماوردى : الأحكام ، ص١٤٨ ٠
٤٩. ضياء الدين الريس : الخراج ، ص٤٠٤ ٠
٥٠. الماوردى : الأحكام ، ص١٦٨ ، أبو زيد شلبى : الخلفاء الراشدون ، ص٢١٥ ٠
٥١. ضياء الدين الريس : الخراج ، ص٤٠٧ ٠
٥٢. أبو يوسف : الخراج ، ص١٣٥ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٣٩ ٠
٥٣. أبو يوسف : الخراج ، ص١٣٤ ٠
٥٤. يحى بن آدم : الخراج ، ص١٧ ٠
٥٥. الماوردى : الأحكام ، ص٢٠٣ ، أبو زيد شلبى : الخلفاء الراشدون ، ص٢١٤
٥٦. الأنفال : آية ٤١ ٠
٥٧. إبراهيم فؤاد أحمد : النظام المالى فى الإسلام ، ص١٣ ٠
٥٨. الحجرات آية ٩ ٠
٥٩. الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، باب الهمزة فصل الفاء مادة الفئ ، المغرى الفيومى : المصباح المنير ، مادة فاء ٠
٦٠. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى ، ص١١٩ ، أبو زيد شلبى : الخلفاء الراشدين ، ص٢٠٤ ٠
٦١. الماوردى : الأحكام ، ص١٢٦ ، ضياء الدين الريس : الخراج ، ص١١١ ٠
٦٢. عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى ، ص١٢٠ ، عبد الرحمن سالم : النظام السياسى ، ص١١٩ ٠

٦٣. محمد عبد الحميد الرفاعى : الدولة الإسلامية فى عصر الراشدين ، ص٩٦ .
٦٤. أحمد شلبى : الاقتصاد فى الفكر الإسلامى ، ص١٧٠ .
٦٥. قطب إبـــراهيم محمـــد : النظم المالية فى الإسلام ، الهيئة المصرية للكتاب . القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص١١٦ .
٦٦. محمد طاهر عبد الوهاب : الرقابة الإدارية فى النظام الإدارى الإسلامى فى (ندوة النظم الإسلامية) جـ١ ، ص٣٠٢ .
٦٧. ابن عبد الحكـــم : فتوح مصر . ص١٤٦-١٤٩ ، عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى فى الإسلام ، ص١٢٤ ، البيومى إسماعيل : مصادرة الأملاك . جـ١ ، ص٣٥ .
٦٨. القلقشندى : صبح جـ٦ ، ص٣٨٧ .
٦٩. البيومى إسماعيل : مصادرة الأملاك ، جـ١ ، ص٣٦ .
٧٠. البيومى إسماعيل : مصادرة الأملاك ، جـ١ ، ص٣٦ .
٧١. البيومى إسماعيل : مصادرة الأملاك ، جـ١ ص٣٦ .
٧٢. الدميرى : حياة الحيوان ، جـ٣ ، ص١٢٠ .
٧٣. ابن طباطبا : الفخرى ، ص١٢٠ .
٧٤. حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم ، ص١٣٤ .
٧٥. ابن طباطبا : الفخرى ، ص١٩ .
٧٦. الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٢١ .
٧٧. البيومى إسماعيل : مصادرة الأملاك ، جـ١ ، ص٤٠ .



٧٨. ابن طباطبا : الفخرى ، ص١٢٦ ·

٧٩. ابن خلكان : وفيات ، جـ١ ص١٧٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٧٥ ·

٨٠. الذهبى : تاريخ الإسلام ، جـ١ ، ص١٢١ ·

٨١. Rabie : The financial system of Egypt , London , 1972 , p. 122,

٨٢. البيومى إسماعيل : مصادرة الأملاك ، ص٤٥١ ·

٨٣. خليفة ابن خياط ، ص٣١٩ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٤٩ ·

٨٤. أبو زيد شلبى: الخلفاء الراشدون، ص٢١٦، عبد الرحمن سالم : النظام السياسى والمالى فى الإسلام ، ص١٣١-١٣٦ ·

٨٥. إبراهيم سلمان الكروى: المرجع فى الحضارة العربية الإسلامية،ص١٣٠ ، ١٣١

٨٦. الدينار : قيل أن أصله رومى حيث كان الروم يضربون الدنانير من الفضة أولا ثم ضربوها بعد ذلك من الذهب ، وقيل أن أصله يونانى مأخوذ من الكلمة اليونانية (دينار يوسى) ووزنه الشرعى ٤.٢٥ جرام ، وقيل أن أصله عربى من الكلمة العربية دنر بمعنى تلألأ ، وقد ورد لفظ الدينار فى القرآن الكريم كعملة يتعامل بها أهل الذمة فى قوله تعالى (وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا)(آل عمران: من الآية٧٥) ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ٥ ، باب دينار، ص٣٩٦٩ ، زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص٤٢ ·

٨٧. الدرهم : قيل أن أصله فارسى معرب من الكلمة درم ، وقيل أن أصله معرب من الكلمة دراخمة ، وقيل أن أصله عربى من حيث تكلمت به العرب قديما ابن منظور: لسان العرب ، جـ٥ ، ص٣٩٦٩ ، المقريزى : النقود ، ص٥٠ ·

٨٨. البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٤٧١ ٠

٨٩. محمد الحضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم ، جـ٣ ، ص٣٩٥ ٠

٩٠. المقريزى:النقود،ص٣١ ، ٣٢،ضياء الدين الريس: النظم المالية والخراج، ص٣٤

٩١. إبراهيم سلمان الكردى : المرجع فى الحضارة الإسلامية ، ص١٣١ ٠

٩٢. الطبرى : تاريخه ، جـ٧ ، ص٢٤٢ ٠

٩٣. حسن محمود الشافعى : النقود بين القديم والحديث ، ص١٠ ٠

٩٤. المقريزى : النقود ، ص٣٤ ٠

٩٥. البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٤٧١ ٠

٩٦. جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ١ ، ص١٠٠ ٠

٩٧. ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، جـ١ ، ص٢١٠ ٠

٩٨. السكة : هى الختم على الدنانير والدراهم والنقود والتعامل بها بين الناس بطابع من حديد ينقش فيه اسم الخليفة أو الملك أو السلطان ، وصور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدنانير والدراهم والنقود فتخرج تلك النقوش والكلمات عليها ظاهرة مستقيمة ، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس فى خلوصه بالسبك " بوزن معبن " ، ابن خلدون : المقدمة ص٢٦١ ، الرازى : مختار الصحاح ، ص٢٧ ، ابن منظور : لسان العرب جـ١٠ ، ص٤٤٠ ، الكرملى : النقود ، ص١١٣ ٠

٩٩. إبراهيم سلمان الكروى : المرجع فى الحضارة ، ص١٣٢ ٠

١٠٠. إبراهيم سلمان الكروى : المرجع فى الحضارة ، ص١٣٢ ٠



١٠١. ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٢٣٣ .

١٠٢. ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب ، ص٣٤ .

١٠٣. ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب ، ص٣٤ .

١٠٤. عبد الرحمن فهمي : فجر السكة الإسلامية ، جـ١ ص٢٣٨ .

١٠٥. حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، جـ٢ ص٧٢٨ .

١٠٦. ابن منظور : لسان العرب جـ٣ ص٤٢٥ .

١٠٧. حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، جـ٢ ص٦٩٩ .

١٠٨. ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص٣٣ .

١٠٩. عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، جـ١ ص١٢٧ .

١١٠. المقريزى : النقود ، ص٩ ، الماوردى : الأحكام ، ص١٥٤ ، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص٦٥ .

١١١. ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٢٣ ، الكرملى : النقود ، ص٤٨ .

١١٢. الحسن بن عبد الله : أثار الأول فى ترتيب الدول ، ص٧٤ .

١١٣. قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة ، ص٣٦ .

١١٤. الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص٣٧ ، آدم متز : الحضارة الإسلامية ص١٥٩ ، ١٦٠ .

١١٥. اليعقوبى : البلدان ص١٣ ، محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص١٥٩ .

١١٦. ابن الأير : الكامل ، جـ٥ ، ص٤٨ ، الجهشيارى : الوزراء ، ص١٢٤ .

١١٧. اليعقوبى : تاريخه جـ٢ ، ص٢٣٣ .

١١٨. **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة ، ص١٦٠ ٠

١١٩. **الطبرى** : تاريخه ، جـ١ ، ص٤٤ ٠

١٢٠. **آدم متز** : الحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ص١٥٤ ، ١٥٥ ٠

١٢١. **الخوارزمى** : مفاتيح العلوم ، ص٤٥ ٠

١٢٢. **المقريزى** : الخطط ، جـ٢ ، ص١١٤، ١٠٨ ٠

١٢٣. **المكاييل** : جمع مكيال ، والمكيال هو الكيل ويكيل مكيالا أيضا ، فالمكيال هو الصاع الذى يتعلق به وجود الزكاة والنفقات والكفارات ، **ابن مظور** :لسان العرب ، جـ٥ ، باب كيل ، ص٣٩٦٧ ٠

١٢٤. **المطففين** ، آية ٣ ٠

١٢٥. **الإسراء** ، آية ٣٥ ٠

١٢٦. **الأنعام** : آية ١٥٢ ٠

١٢٧. **المقريزى** : النقود ، ص١٠٨ ٠

١٢٨. **على جمعة محمد** : المكاييل والموازين الشرعية ، ص٣٩ ٠

١٢٩. **الكرملى** : النقود العربية ، هامش ص٥٩ ٠

١٣٠. **ابن منظور** : لسان العرب ، مادة صوع ، **ضياء الدين الريس** : الخراج والنظم المالية ، ص٣١٠ ٠

١٣١. **الخوارزمى** : مفاتيح العلوم ، ص١٤ .

١٣٢. **على جمعة محمد** : المكاييل ، ص٣٧ ٠

١٣٣. القلقشندى : صبح جـ٣ ، ص٤٤٥، المقريزى : النقود ، ص١٠٨ ، على جمعة: المكاييل ، ص٤٢ ٠

١٣٤. سامح عبد الرحمن فهمى : المكاييل فى صدر الإسلام ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ١٩٨١ ، ص٤٣ ٠

١٣٥. على جمعة محمد : المكاييل ، ص٣٥ ٠

١٣٦. على جمعة : المكاييل ، ص٣٦ ٠

١٣٧. المقريزى:النقود ، ص١٠٢،سامح فهمى : المكاييل فى صدر الإسلام ، ص٤٤ ٠

١٣٨. أخرجه مسلم فى صحيحة: كتاب الحيض باب ١ ، أخرجه ابن ماجه ، كتاب الطهاره باب ما جاء فى مقدار ماء الوضوء والغسل من الجنابة ص٢٩٧ ٠

١٣٩. ضياء الدين الريس : الخراج ، ص٣١٠ ٠

١٤٠. على جمعة : المكاييل ، ص٣٦ ٠

١٤١. ضياء الدين الريس : الخراج ، ص٣٠٨ ٠

١٤٢. الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص١٥ ، بدر عبد الرحمن : الحياة السياسة ومظاهر الحضارة ، ص٢٨٥

١٤٣. على جمعة : المكاييل ، ص٤١ الريس : الخراج ، ص٣٢٧ ٠

١٤٤. أخرجه البخارى: كتاب الزكاة ، وأخرجه مسلم كتاب الزكاة ٩٧٩ ، الريس: الخراج ص٢٣٣ ٠

١٤٥. على جمعه : المكاييل ، ص٤٣ ٠

١٤٦. بدر عبد الرحمن : الحياة السياسية ، ص٢٨٩ ٠

١٤٧. الريس : الخراج ، ص٣٣٥ .

١٤٨. المعجم الوسيط : مادة قرب .

١٤٩. على جمعة : المكاييل ، ص٤٣ .

١٥٠. المصباح المنير : مادة قسط .

١٥١. على جمعة : المكاييل ، ص٣٨ .

١٥٢. ضياء الدين الريس : الخراج ، ص٣٢٩ ، ٣٣٠ .

١٥٣. الموازين : هى الشواهين ومفردها شاهين ويعنى عامود الميزان ، والميزان آله ذات كفتين يوزن بها الشئ عن طريق الثقل لمعرفة مقداره ، أصله موازن الجمع موازين ، والميزان يعنى العدل ، وجاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى " وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾" (الرحمن:٧) ، وفى قوله تعالى " وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ " (الرحمن:٩).

١٥٤. آل عمران آية ٧٥ .

١٥٥. آل عمران آية ١٤ .

١٥٦. ضياء الدين الريس : الخراج ، ص٣٦٤ ، ٣٦٥ .

١٥٧. على جمعة : المكاييل ، ص٢٥ .

١٥٨. على جمعة : المكاييل ، ص٢٨ .

١٥٩. بدر عبد الرحمن : الحياة السياسية ، ص٢٨٦ .

١٦٠. الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص١٥ .

١٦١. المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٩٩ .

١٦٢. ملامح النشاط التجارى لبلاد تهامه فى العصور الإسلامية الأولى ، غيثان بن على بن جريس بحث ضمن ندوة طرق التجارة فى العالم العربى لسنة ٢٠٠١ ، هامش رقم ٢١٥ ، ص٢٢٠ ·

١٦٣. أخرجه مسلم : كتاب النكاح باب الصداق ١٤٢٦ ·

١٦٤. غيثان بن على بن جريس : ملامح النشاط التجارى لبلاد تهامه ص١٩٦ ، على جمعة : المكاييل ص٢٠ ·

١٦٥. الجوهرى : المختار الصحاح ، مادة ش ، المقريزى : النقود ، ص٢٧ ·

١٦٦. على جمعة : المكاييل ، ص١٩ ·

١٦٧. ضياء الدين الريس : الخراج هامش ، ص٣٥٤ ·

١٦٨. يوسف آية ٢٠ ·

١٦٩. على جمعة : المكاييل ، ص١٩ ·

١٧٠. المعجم الوسيط : مادة فلس ·

١٧١. على جمعة : المكاييل ، ص٢٨ ·

١٧٢. ضياء الدين الريس : الخراج ، ص٣٥٤ ·

١٧٣. ابن منظور : لسان العرب ، مادة حبب ·

١٧٤. على جمعة : المكاييل ، ص٢٨ ·

١٧٥. الجوهرى : المصباح المنير ، مادة منن ·

١٧٦. على جمعة : المكاييل ص٢٨ ·

١٧٧. المعجم الوسيط : مادة قطمر ·

١٧٨. فاطر آية ١٣ ٠

١٧٩. على جمعة : المكاييل ، ص٢٦ ٠

١٨٠. النساء : آية ٤٩ ٠

١٨١. على جمعة : المكاييل ، ص٢٧ ٠

١٨٢. المعجم الوسيط : مادة ذرع ٠

١٨٣. المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٣٩٧ ٠

١٨٤. على جمعة : المكاييل ، ص٤٩ ٠

١٨٥. الريس : الخراج ، ص٣٠٠ ٠

١٨٦. القلقشندى : صبح ج٣ ص٤٤٧ ، الماوردى : الأحكام ، ص١٤٦ ٠

١٨٧. ابن فضل الله العمرى ، مسالك الأبصار ، جـ١ ، ص٢٣ ٠

١٨٨. الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٤٦ ٠

١٨٩. على جمعة : المكاييل ، ص٥١ ٠

١٩٠. على جمعة : المكاييل ، ص٥١ ٠

١٩١. على جمعة : المكاييل ، ص٥٢ ٠

١٩٢. الريس : الخراج ، ص٢٩٥ ٠

١٩٣. القلقشندى : صبح جـ٣ ، ص٤٤٦ ٠

١٩٤. محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ١ ، ص١٠ ،١١ ٠

١٩٥. القلقشندى : صبح ، ج٣ ، ص٤٤٥ ٠

١٩٦. الجوهرى : مادة ميل ، على جمعة : المكاييل ، ص٥٣ ٠

١٩٧. النويرى : نهاية الارب ، جـ١ ص٢٠٨ ، الريس : الخراج ، ص٣٠٠ ، ٣٠١ .

١٩٨. الجوهرى : مختار الصحاح ، مادة فرسخ .

١٩٩. الريس : الخراج ، ص٣٠١ .

٢٠٠. على جمعة : المكاييل ، ص٥٥ .

٢٠١. على جمعة : المكاييل ، ص٥٩ .

٢٠٢. الريس : الخراج ، ص٥٥ .

٢٠٣. الجوهرى : المصباح المنير ، مادة رحل .

الفصل الرابع

النظم الحربية

- الجيش
- الأسطول

الفصل الرابع

النظم الحربية

نبدأ الحديث عن النظم الحربية بتعريف ما هية الحرب ، وموقف الإسلام منها " فالحرب رحى ثقالها الصبر، وقطبها المكر، ومدارها الاجتهاد ، ثقافها الأناة، وذمارها الحذر" [١]، وهي شيء طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل، وضرورة اجتماعية طالما كانت هناك أطماع ومظالم بشرية وسببها في الأكثر أما غيرة ومنافسة ، وإما عدوان ، وإما غضب لله ولدينه ، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده"[٢].

والحرب في الإسلام حرب دفاعية ، وقد وردت كلمة الحرب في القرآن الكريم بمعنى القتال في قوله تعالى ﴿ ...كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ... ﴾[٣] .

وفي قوله :

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٤].

والحرب والجهاد يدوران حول معنى واحد هو قتال العدو ، وقد بين القرآن الكريم كما سنرى في مواضع كثيرة منه السبب الذي من أجله شرع القتال ، وأذن للمؤمنين في الحرب ، والجهاد وأرجعه إلى أمرين :

الأول : الدفاع عن النفس عند التعدي.

الثاني : الدفاع عن الدعوة إذا وقف أحد في سبيلها بفتنة من أمن أو بصد من أراد الدخول في الإسلام عنه ، أو بمنع الداعي من تبليغ دعوته[٥].



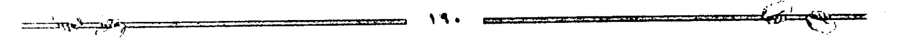
والجهاد في اللغة من الجهد ،وهو المشقة ، وجهد دابته وأجهدها – إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجهد الرجل في شيئ أي جد فيه وبالغ ، وجهد الجل على ما لم يسم فاعله فهو مجهود من المشقة ، وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجهادا ، والاجتهاد بذل الوسع والمجهود(٦).

وأما في الاصطلاح فإن الجهاد هو قتال العدو من الكفار والمشركين ومحاربته بشتى الوسائل الممكنة والمشروعة لنصرة الإسلام(٧)

استفاد العربى من بيئته صفات الشجاعة الفردية وقوة الحس ونشاط الجسم والصبر على الجوع والظمأ وشدة الحر والبرد ، وكان قتال العرب فى حروبهم وغزواتهم فى العصور القديمة أدنى إلى البساطة ، فيبدءون المعركة عادة بالمبارزة الفردية وتكون بين بطلين من أبطال القبيلتين ثم يكون الالتحام فيكرون على العدو وهذا هو الأسلوب المعروف بالكر والفر(٨) .

على أن هذا الأسلوب تغير إذ فرض الإسلام الجهاد(٩) على المؤمنين دفاعا عن الدين والنفس والوطن والمال ففى الفترة المكية لم يقم المسلمون بعمل عسكرى ضد من خالفهم من قريش أو غيرهم حيث أمر الرسول ﷺ بتبليغ الرسالة والأعراض عن المشركين في قوله تعالى﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(١٠) . فضلا عن إنشاء تنظيم عسكرى فيها وخلت حياة المسلمين فى هذه الفترة من جميع مظاهر العنف المادى ثم أمر بالمجادلة بالتي هي أحسن في قوله تعالى:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(١١)حتى هاجروا إلى المدينة .



وفى بيعة العقبة الثانية ، تناولت الاتفاقية مسألة حماية الرسول ﷺ ومنعه من الأعداء ، وذكرت الاتفاقية أن نقباء أهل المدينة بذلوا للرسول ﷺ ما أراد من الحماية والمنعة ، وبايعوه على حرب الأحمر والأسود[١٢] وفى هذه الظروف نزلت آيه الإذن بالقتال وذلك فى قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[١٣] فقد أبيح القتال في الإسلام لسبب ذكرته الآية وهو وقوع الظلم على المؤمنين ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ... ﴾[١٤]، وفي هذه الآية توجيه للمسلمين بالا يقاتلوا إلا من قاتلهم ولا يعتدوا إلا من أعتدى عليهم، وذلك لأن الإسلام هو دين السلام ، وأنما شرع القتال للدفاع عن النفس ، وحماية الدعوة ، وهذه المشروعية لا تتم إلا بوجود ما يدفع إليها ، إذ الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم ، أما الحرب فهي استثناء من الأصل ويكون ذلك عندما تتوافر مبرراته.

وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ووضع الصحيفة التى نظمت مجتمع المدينة من مهاجرين وأنصار ويهود - وجعل على هذا المجتمع الدفاع عن المدينة ، ومنذ غزوة بدر صار الجهاد دفاعا وهجوما مشتركا بين جميع المسلمين مهاجرين وأنصار[١٥] ، ثم صار فرضا مكتوبا عليهم وعلى المسلمين من بعدهم ، وفى السنة الثانية من الهجرة فرض الله القتال وأوجبه وذلك فى قوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ... ﴾[١٦] ، وهو فرض كفاية لقوله تعالى :



﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ... ﴾[١٧] .

وحكمة الجهاد أن يعبد الله وحده مع ما يتبع ذلك من دفع العدوان والشر وحفظ الأنفس والأموال ورعاية الحق وصيانة العدل وتعميم الخير ونشر الفضيلة ، قال تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[١٨].

وفرض الجهاد أيضا وذلك فى قوله تعالى :

﴿ ...فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ...﴾[١٩]

ثم أمروا بالقتال بشرط انسلاخ الأشهر الحرم ، قال تعالى :

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ... ﴾[٢٠]

ثم أمروا بالقتال مطلقا وذلك فى قوله تعالى :

﴿ ... وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٢١] .

وقوله تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾[٢٢]

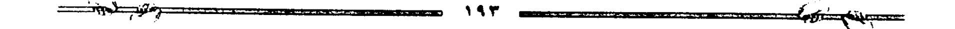
وهذا الجهاد لم ينبثق عن مؤسسة عسكرية ، ولم يؤد الحال إلى ظهور مؤسسة الجيش[٢٣] بمفهوم الجيش النظامى وما يتطلبه من رواتب وملابس ومأكل ووسائل نقل وأسلحة وغيرها ، وظل الجيش فى عهد الرسولﷺ من جميع المسلمين، وكانوا إذا استنفروا نفروا ، وإذا وضعت الحرب أوزارها رجعوا إلى مألوف حياتهم .

وكان كل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته إ فإن لم يتح له ذلك استطاع أن يحصل على الدابة من مخازن الصدقة[٢٤].

ولما بدأت التوسعات خلال عصر الراشدين احتاجت الدولة إلى جيش كبير دائم يكون على استعداد أيام الحرب والسلم على السواء ، ففى عهد عمر بن الخطاب ﷺ كثرت الأموال ، فقام بتأسيس ديوان الجند وذلك سنة ١٥هـ/٦٣٦م[٢٥] وجعل للجند رواتب مخصصة واعاشة مفروضة لأولادهم ، وحظر عليهم مزاولة الأعمال الأخرى ، ومنذ ذلك الوقت صار الجيش مؤسسة ذات كيان مستقل تعتمد فى تمويلها على الدولة[٢٦] .

وقد اهتم الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده بالتربية البدنية فقد أمر الله بأن يكونوا على أهبة الاستعداد من الناحية المادية والمعنوية ، وأن يكونوا مزودين بالعتاد ، وأن يحوزوا كل أسباب القوة التي ترهب عدوهم ، يقول تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ... ﴾[٢٧]



ويقول الرسول ﷺ "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" ويقول أيضا "إن لبدنك عليك حقا" فالجيش الهزيل الضعيف لا مكان له بين الجيوش فالدعوة والجيش المسلم يحتاج إلى رجال أشداء أقوياء إذا ضربوا أوجعوا وإذا سابقوا سبقوا وإذا قاتلوا انتصروا ، ولن يكون ذلك إلا بتعليم أطفال المسلمين الرياضة والألعاب التى تقوى أجسامهم وتقيهم من الأمراض وتعينهم على تحمل أعباء القتال ، ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة فها هو يصرع – ركانة – ثلاث

مرات متتاليات وركانة كان أقوى رجل فى شبة الجزيرة لا يغلبه شجاع ولا يصرعه جبار، وكان الصحابة من أشد الرجال وأعظمهم قوة ، فكان الخليفة عمرﷺ يحب ركوب الخيل ويستطيع أن يقفز على الحصان دون أن يمسك بشئ ، وكان على بن أبى طالب ﷺ يسابق فلا يسبق ، وكان طلحة والزبير من أشد المصارعين فى المسلمين، وهكذا كان الاهتمام بإعداد الجيش وتدريبه(٢٨) .

وكان الخليفة بحكم ولايته العامة قائدا للجيش ، ولكن الخلفاء لم يكونوا يقومون بهذه المهمة إلا نادرا ، وكانوا يقيمون ويبعثون الجيوش ويولون عليها الأمراء ويمدونهم بالعساكر ، فيذكر أن أبا بكرﷺ خرج بالمسلمين إلى حرب القبائل في ذي الفصة فاجتمع عليه المسلمون ، وقالوا له نناشدك الله يا خليفة رسول الله أن لا تعرض نفسك فأنك أن أصبت لم يكن للناس نظام ، ومقامك أشد على العدو ، فأبعث رجلا ، فإن أصيب أمرت آخر ، فقال : لا والله لا أفعل ولا أواسيكم بنفسي"(٢٩).

وفي حروب العراق وفي ظروف حرب القادسية نادى الخليفة عمرﷺ "الصلاة جامعة" وأخبر الناس بالخبر فقال العامة : سر وسربنا معك ، ثم بعث عمرﷺ إلى أهل الرأي وإلى أصحاب الرسول ﷺ وأعلام العرب فقال : أحضروني الرأي فأني سائر فاجتمعوا وأجمع معظمهم على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ويقيم ويرميهم بالجنود ، وفي ذلك ما يغيظ العدو ، وقال عبد الرحمن بن عوف " بأبي وأمي أجعل جعزها بي وأقم ، وابعث جندا فقد رأيت فضاء الله لك في جنودك قبل وبعد،فأنه أن يهزم جيشك ليس كهزيمتك ، وأنك أن

تقتل أو تهزم في أنف الأمر خشيت إلا يكبر المسلمون وإلا يشهدوا "ان لا أله إلا الله"[٣٠] ، وعلى ذلك كان خروجهم على رأس الجيوش قليلا ولا يحدث إلا لأمر عظيم، فقد قاد علي بن أبي طالب ﷺ الجيش بنفسه في حروب الجمل وصفين[٣١] وقاد عبد الملك الجيش في حربه مع مصعب بن الزبير . وقاد مروان بن محمد الجيش في حروبه مع الخوارج والعباسيين ، وقاد الرشيد الجيش لحرب رافع بن الليث ، وكذلك الخليفة المعتصم قاد الجيش لحرب الروم[٣٢].

وفي الولايات كانت قيادة الجيش تعود إلى الولاة أو من كانوا ينيبونهم عنهم ولم تكن على أية حال أخبار الجيوش تغيب عن الخليفة [illegible] أخبارها توافية باستمرار منذ أن تخرج إلى ساحة القتال وحتى تعود إلى [illegible][٣٣] .

وخلال العصر الأموي تطور تطورا كبيرا ، حيث أدخل [illegible] التجنيد الإجباري في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وكانت الدولة الأموية دولة حرب زادت الحروب والفتوحات خلال عصرها ، وقد تأثر الأمويون بالنظام البيزنطي العسكري القائم على تقسيم بلاد الشام إلى عده أجناد وكان على العرب أصحاب الأراضي تزويد الدولة بعدد من الجند دونت أسماؤهم في ديوان الجند وصرفت لهم رواتب معينة علاوة على حصتهم من الغنائم واعتمد الأمويون على القبائل العربية في بلاد الشام في تكوين جيشهم[٣٤] ،ولما انطلقت حركة الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية وصارت بعض العناصر المختلفة من أهل البلاد المفتوحة تشارك في الجيش ، حيث شمل عناصر عديدة مثل الفرس والزط – من السند – والبخارية والأتراك والبربر وغيرهم[٣٥].

ومنذ العصر العباسى أخذت أعداد هذه العناصر تزداد كثافة لأسباب تتصل بمهد الدعوة العباسية وظروف قيام دولتهم ، فقد كثرت العناصر الخرسانية فى الجيش فى بداية قيام الدولة ، وزاد عدد الأتراك ، فى عهد المعتصم ثم ظهر عنصر المغاربة ، والفراعنة[٣٦] ، ولما ظهرت الإمارات المستقلة بدأ حكامها فى تكوين جيوش خاصة بهم من أجناس مختلفة[٣٧].

أما عن أعداد الجيش الإسلامى ، فقد بدأت متواضعة لا تتجاوز المئات فى بداية قيام الدولة الإسلامية ، ففي غزوة بدر كان عدد الجيش الإسلامي مع الرسول ﷺ قد بلغ (٣١٤رجلا) – (٨٣) من المهاجرين – (٦١) من الأوس – (١٧٠) من الخزرج ، وكان عدد المسلمين في غزوة أحد ألف رجل ، وفي غزوة الخندق ذكر أن عدد جيش المسلمين بلغ ثلاثة آلاف رجل[٣٨] ، وفي غزوة مؤنة كان عدد الجيش الإسلامي مكونا من ثلاثة آلاف مقاتل[٣٩] ،ثم صارت تكبر وتزداد بازدياد الداخلين فى الإسلام ، فبلغ العدد فى غزوة حنين عام ٨هـ-أثنى عشر ألفا[٤٠] ، وفى معركة اليرموك بلغ العدد ستة وأربعين ألفا وغزا يزيد بن المهلب بن أبى صفرة جرجان وطبرستان سنة ٩٨هـ / ٧١٦م فى مائة ألف مقاتل من أهل الكوفة والبصرة وأهل خرسان والرى سوى الموالى والمماليك والمتطوعة[٤١] ، وسار هارون الرشيد سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م فى خلافة أبيه المهدى فى الصائفة إلى بلاد الروم فى ٩٥.٧٩٣، خمسة وتسعين ألف وسبعمائة وثلاث وتسعين رجلا[٤٢] وهذه أمثلة لا تحصى عدد الجيش الإسلامى بأكمله إنما تدل على ازدياد عدد الجيش ، حيث كان الجيش موزعا بين الشام ومصر وأفريقية والأندلس والعراق وخرسان والثغور الإسلامية ،

فعلى سبيل المثال كان ديوان الجند في مصر خلال عهد معاوية بن أبي سفيان أربعين ألفا[٤٣] ، وكان عدد المرابطين المقاتلين من أهل البصرة بخرسان في عهد بني أمية أربعة وخمسين ألفا[٤٤] وعندما التقى مروان بن محمد بجيوش العباسيين سنة ١٣٢هـ كانت عساكره تبلغ من العدد مائة وعشرون ألفا[٤٥] ، وكان الجيش خلال العصر العباسي يبلغ مئات الألوف من الجند ، فكان جيش العراق وحده يبلغ ٥٢ ألفا[٤٦].

تمويل الجيش :

ذكرنا أن الجيش زمن الرسول ﷺ كان يعتمد في تمويله على الاكتفاء الذاتي حيث كان كل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته ، فإن لم يتح له ذلك استطاع أن يحصل على دابة من بيت الصدقات[٤٧] ، وكان الأفراد يتدبرون المال مما كان بين أيديهم من زراعة أو تجارة أو إبل أو ماشية ، أو ما تقدمه الدولة من سلاح وخيل نشتريها من حظها من خمس الغنائم ، وما تأخذه من أهل الذمة – الجزية – وما كان يصرف من أموال الزكاة في هذا السبيل[٤٨]، وبعد تأسيس ديوان الجند صار الجند يصرفون جزءا من رواتبهم في تجهيز أنفسهم وإعداد ما يلزمهم في السفر والقتال ويرد على سبيل المثال أن كثير بن شهاب الحارثي الذي عينه والي الكوفه المغيرة بن شعبه الثقفي على الري ودستبى وقزوين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [illegible] إذا [illegible] أخذ كل امرئ ممن معه بترس ودرع وبيضة ومسبلة وخمس أبر وخيوط [illegible] ومخصف ومقراض ومخلاة[٤٩] . وكان الرجل يحتاج مثلما حدث في غزوة [illegible] إلى بعيرين ، بعير يركبه وبعير يحمل ماءه وزاده[٥٠] . وعندما صارت خطوط

القتال إلى ما وراء النهر فى المناطق الجبلية الوعرة صار الجند يستخدمون إضافة إلى الإبل والبغال فى حمل امتعتهم وموادهم(٥١).

وإلى جانب تجهيز الجند أنفسهم كانت مساهمة الدولة فى الانفاق وإعداد القوة كبيرة ، فقد ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يحمل فى كل عام على أربعين ألفا من الظهر ، وأنه جعل ثلاثين ألف بعير وثلاثمائة فرس ووسم فى أفخاذهن حبيس فى سبيل الله (٥٢) ، وبلغ مقدار ما أنفق الحجاج على الجيش الذى سيره بقيادة ابن الأشعث إلى سجستان ألفى ألف سوى أعطيات الجند حتى دعى بجيش الطواويس(٥٣) ، وبلغت نفقات الجيش الذى قاده هارون الرشيد فى عهد أبيه المهدى لغزوا الروم ١٩٤٫٤٥٠ دينار ومن الورق واحد وعشرين ألف ألف وأربعمائة وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم(٥٤) .

تشكيلات الجيش :

كان الجيش أول الأمر قد اتبع نظام الصف فى القتال ، وجاء فى القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ ﴾(٥٥)

ثم اقتضت الضرورة إلى تقسيم الجيش إلى نظام التبعية الذى يقوم على أساس تقسيمه إلى مقدمة وقلب وميمنه وميسره وساقه أى مؤخرة(٥٦) . وهذا النظام يقوم على تقسيم الجند إلى مجموعات فى عشرات ومئات وألوف مربعات أو مثلثات أو أهله ، وأطلق على القائد الذى يقود عشرة جنود لقب عريف والذى

يقود مائة لقب نقيب والذى يقود ألف لقب قائد ، أما لقب أمير فأطلق على القائد العام للجيش(٥٧).

وقيل أن مروان بن محمد الذى كان قائدا عسكريا للجيوش الإسلامية فى جبهة أرمينيه وأذربيجان قبل أن يكون خليفة هو الذى اتبع نظام التبعية وأبطل نظام الصف(٥٨) ، وإلى جانب هذه الأنظمة التى كان يتبعها الجيش فى القتال . كان الجيش يتكون من وحدات ، كانت تتمايز عن بعضها بالرايات وكان لكل منها قائد وتتسمى بأسماء تدل على فعالها وصبرها فى القتال مثل كتيبة الأهوال . وكتيبة الخرساء(٥٩) وكانت تتمايز أحيانا بالأسلحة ويذكر أن خالد بن الوليد قسم الجيش فى اليرموك إلى كراديس وجعل على كل كردوس رأسا وزعها ما بين الميسرة والميمنة والقلب(٦٠).

وبجانب المقاتلين من الفرسان والرجاله وجدت طوائف كثيرة تقوم بخدمة الجيش وتسهيل مهمته مثل النفاطين وضاربى المنجانيق ، والعيون وهم الطلائع الذين يرصدون تحركات العدو كما نجد القضاة والأطباء والمؤذنين والقراء والنجارين والحاملين مع الجيش(٦١).

هذا وكان الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده يتعهدون القواد والجند بالنصيحة التي تفيدهم في حسن أدائهم لواجبهم الأول باعتبارهم دعاة الإسلام وفي حسن تسيرهم للجنود والظفر على العدو ، فيقول الله تعالى:

﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾(٦٢).

وقوله تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[٦٣]

ومن وصايا الرسول ﷺ إذا بعث سرية: " اغزوا باسم الله في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا "[٦٤] كما نهى ﷺ عن الغدر بقوله " ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة "[٦٥] . ونهى الرسول ﷺ عن الغلول ، وعن النهبة ، وعن قتل النساء والولدان ، ونهى عن التعذيب بالنار إلا الله[٦٦].

كما أوصى أبو بكر ﷺ أسامة بن زيد قائد أول جيش غزا بعد وفاة الرسول ﷺ بقوله " أيها الناس أوصيكم بعشر فاحفظوا عني : لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعفروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ،ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له[٦٧].

ومن وصايا عمر بن الخطاب ﷺ لسعد بن أبي وقاص كبير قواد الجبهة الشرقية في زمانه "٠٠٠٠وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فأنهم سائرون إلى عدو مقيم ، حامي الأنفس والكراع – الخيل – وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ، ويرءمون – يصلحون- أسلحتهم وأقبعتهم ونخ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من

أصحابك إلا من تثق بدينه ولا يرزأ أحد في أهلها شيئا ، فإن لهم حرمة وذمة أبتليتم بالوفاء بها كما أبتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم٠٠ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيان جهدك٠٠"(٦٨)

أسلحة الجيش :

كان العرب فى الجاهلية يعيشون فى حرب مستمرة بسبب فقدان سلطة مركزية عليا ، وقد أدى هذا إلى تدربهم على القتال وإلى اهتمامهم الكبير بالأسلحة التى صنعوها أو عملوا على توفيرها بشرائها من البلدان المجاورة لهم فاقتنوا السيوف والدروع والرماح للفرسان ، والدروع والحراب والقوس والسهام والسيوف للرجالة ، كما استخدموا الطبرزينات وهى آله تشبه الفأس - والتروس والخوذ والضبور(٦٩) والدبابات والمنجنيقات ، واستخدموا أيضا النفط أو النار الإغريقية(٧٠).

وكانت السيوف أبرز أسلحة العرب والمسلمين ، ومن أحبها إلى نفوسهم ، ومن ثم كثرت أسماؤها فى لغتهم وأشعارهم ومنها الأبيض والمهند والمشرفى ، والبصرية والسيرجى ، والمهند هو السيف المصنوع فى الهند ، والمشرفى نسبة إلى مشارف الشام أما السيرجى فهو نسبة إلى سريج وهو رجل من بنى أسد كان حدادا اشتهر بصناعة السيوف(٧١) ، وقد أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف سيفا قلعيا - نسبة إلى القلع مكان البادية قرب حلوان تصنع فيه

السيوف – وسيفا يدعى بتار – وسيفا يدعى الحتف ، كان عنده بعد ذلك المخدوم ورسوب أصابها من الفلس ، وله سيفان آخران أحدهما يدعى القضيب والآخر يدعى ذو الفقار فنمه يوم بدر وكان لمنبة بن الحجاج(٧٢) ، أما الرماح فقد اشتهرت عندهم ومنها الردينية – نسبة إلى إمرأة تدعى ردينة اشتهرت فى الجاهلية بسقيف الرماح ، والسهرية والخطية التى كانت تستورد من الهند وتباع فى مدينة الخط فى البحرين(٧٣) ، والرمح عبارة عن قضيب من الخشب ركب فيها سنان الحديد ولها أسماء أخرى مثل صعدة المستوى ، والعنزة وذلك إذا كان أقصر من العصا وأطول من الرمح ، ومنها أيضا النيزك والمطرد ، وأجود الرماح الصلب المستقيم الذى لا يثنى ، والرمح من الأسلحة التى يستخدمها الفرسان والمشاة(٧٤).

ومن أسلحة المسلمين القسى ، ومن أجود أنواعها القسى العصفورية ، والقسى الماسخية وكانت الأقواس تصنع من أخشاب الأشجار ، وتستخدم السهام والنبال والنشاب للرمى بها ، وقد غنم النبى ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أرماح وثلاث قسى ، قوس الروحاء وقوس شوحط وتدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء(٧٥).

وعرف المسلمون الدروع واستخدموها ، والدرع هو القميص الذى يلبسه المحارب ، ويصنع من الحديد أو الزرد ، والدروع نوعان الأول يصنع من صفائح الحديد والآخر يصنع من حلق متضافر يصمد أمام طعنات السيوف وضربات السهام ويحمى المقاتل ، واشتهر اليهود فى المدينة بصناعة الأسلحة ومنها الدروع وكانوا يبيعونها للقبائل العربية المختلفة فى شبة الجزيرة العربية ، وقد أصاب

الرسول ﷺ من دروعهم اثنتين واحدة يقال لها السعدية ، ودرع يقال لها فضة ، كما كانت له درع ثالثة يقال لها ذات الفضول[٧٦] .

وكان الضبور من الأسلحة التي أستخدمها المسلمون حيث يتقي بها المحاربون النبال الموجهة إليهم من أعلى وهي كالدبابة ، تصنع من الخشب المغطى بالجلد ، ويكمن فيها المهاجمون ويقربونها للحصن لقتال أهله وهم فيه.

أما الخنادق فكانت ضمن الأسلحة التي أقتبسها المسلمون من الفرس ، حيث كانوا ينشئونها حول المدن والمعسكرات ، وأول خندق حفره المسلمون هو الذي حفره الرسول ﷺ والمسلمون حول المدينة المنورة بمشورة سلمان الفارسي في غزوة الخندق سنة ٥هـ/٦٢٦م [٧٧].

واستخدم المسلمون الخوذة البيضة وهى تصنع من الحديد وتلبس على الرأس حماية لها من ضربات السيوف ، والمغفرة هو من الزرد ويلبس تحت القلنسوة ، ومنها ما كان يغطى الصدر وهى الجواشن[٧٨].

وقد اهتم المسلمون بوقاية خيولهم أثناء الحروب فألبسوها دروع تسمى تجافيف ، تغطى أجسامها وتصد عنها إصابات الأعداء[٧٩].

واستخدم المسلمون النفط منذ زمن مبكر فى حروبهم ، وهو الذى استعمله الروم قبلهم ، وكانت فرقة النفاطين من الفرق الأساسية فى إرباك صفوف العدو ، وإحراق سفنه وقلاعه ، ويتكون النفط من تركيب كيماوى أساسه البترول[٨٠] ، وينسب اختراعه إلى يونانى اسمه كالينيكوس Kallinikos[٨١] ، ونقله عنهم المسلمون ، وبرعوا فى استعماله إذ يوجد النفط فى أنحاء بلادهم ، فعرفوا منه

الأسود الذى يوجد على ساحل البحر الأحمر • ويسيل من أعالى جبل ، ويجمع فى خزائن[٨٢] وأبيض أو الطيا ، ويوجد فى العراق ، كما وجدت منابعة بجوار بحر قزوين[٨٣] وكان النفاطون يلقونه على العدو فى قارورات النفط أو قوارير (قدور النفط) ، أو بالنشاب أو من فوق ظهور الخيل[٨٤] •

وكانت آلات الحصار هى المنجنيقات والعربات والدبابات واستخدمها فى حصار المدنونقب الأسوار وهدم الحصون ، وان بدت هذه الآلات بدائية إلا أنها أثبتت فاعلية فى الحصار والمعارك التى خاضها المسلمون الأوائل[٨٥] ، فقد استخدمها الرسول ﷺ عندما سار إلى الطائف لمطاردة فلول ثقيف واعتصمت منه بالحصون، ورمت المسلمين بالنبل ، ونصب الرسول ﷺ المنجنيق ورماهم به ، فكان ﷺ أول من رمى بالمنجنيق فى الإسلام . كما استعان على حربهم بالدبابات ، وكان المحاربون يدخلون فى جوفها ، ويزحفون بها إلى جدار الحصن لينقبوه[٨٦].

المعسكرات والثغور:

عرف المسلمون كيف يحتفظون بالفتوح التي تمت لهم على الرغم من قلة عددهم وكثرة أعدائهم المحيطين بهم . فقام الخليفة عمر رضي الله عنه بإقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لإراحة الجنود في الطريق بعد أن كانوا يقطعون المسافات الطويلة على ظهور الإبل ، ومن هذه المعسكرات معسكر البصرة والكوفة في العراق ، وحمص ودمشق في الشام ، والفسطاط والإسكندرية في مصر ، وبرقة وطرابلس والقيروان في الشمال الأفريقي •

وعني المسلمون بتحصين أطراف فتوحهم مما يلي أرض العدو من أطراف الصين إلى ساحل المحيط الأطلسي، فأقاموا الحصون والقلاع عند كل مكان يخشى أن ينفذ منه العدو ، وسمو هذه الثغور وشحنوها بالرجال والعتاد ووسعوا على أهلها الأرزاق حتى يتفرغوا لحراسة حدود الدولة(٨٧).

صناعة الأسلحة :

استخدم المسلمون جميع أنواع الأسلحة المعروفة فى العصر الوسيط فقد استخدموا السيوف والرماح والنشاب – أى السهام ذات النصول المثلثة – كما استخدموا أقواس الرحل ، وأقواس اللولب التى تشد بواسطة لولب وأقواس الركاب التى تشد من ركاب الخيل ·

كذلك استخدموا ما يسمى باللتوت وهى أعمدة ذات رؤوس حديدية مستطيلة ومضرسة ، والدبابيس وهى تشبه اللتوت إلا أن رؤوسها مدورة ومضرسة والطبر أو الطبرزين وهى الفأس ·

والدرق اللمطية لاتقاء ضربات العدو وسهامه وهى مغطاه بجلد اللمط وهو حيوان يعيش فى الصحراء كذلك لبسوا الخوذات أو البيضات الحديدية لحماية الرأس ، كما لبسوا الجوشن لحماية صدورهم أو الدروع المسبلة ذات المغاحر الملتحمة التى تغطى جميع أجزاء الجسم ·

كذلك استخدم المسلمون أسلحة الحصار الثقيلة مثل المنجنيقات المدمرة للحصون والدبابات والكباش لنقب الحوائط والأسوار ·



كل هذه الأسلحة صنعها المسلمون فى بلادهم الممتدة شرقا وغربا معتمدين فى ذلك على ما لديهم من مواد خام وأيد صناعية ماهرة .

فخام الحديد كان منتشرا فى فرغانة وكابل وكرمان وأذربيجان وأرمينيه ، ولبنان والشام ، وصقلية ، والمغرب والأندلس ، إلى جانب الحديد المستورد من الهند وسيلان وروسيا وبيزنطة ، وعلى أساس هذه الخامات الحديدية قامت صناعة الأسلحة التى اشتهر باسم مكان صناعها فى العالم الإسلامى[٨٨] .

ومن السيوف : السيوف الفارسية ، السيوف الشامية كالمشرفية ، والدمشقية، السيوف الحنفية التى كانت تصنع فى الحجر عاصمة بنى حنيفة فى اليمامة .

وإلى جانب هذه الأسلحة التقليدية ، توصل المسلمون إلى اختراع أسلحة متطورة أمثال لذلك أنهم صنعوا قدورا خزفية فى حجم الرمانة محشوة بالجير الحى والنشاد والبول ، وأطلقوا عليها اسم القدور الكفيات لأنها تلقى على العدو باليد أو بالكف مثل القنابل اليدوية ، فإذا صطدمت بجسم العدو العدو المدرع بالحديد انكسرت وخرجت رائحتها فى أنفه وسببت له اختناقا[٨٩] .

الجاسوسية :

كان النبى ﷺ يهتم بمعرفة أخبار عدوه ، واستطلاع أحواله فكان يزكى العيون ليأتوه بخبره ، ويعلموه بأمره ، ومن ذلك أنه أرسل عبد الله بن جحش فى اثنى عشر مهاجر إلى " نخلة " بين مكة والطائف ليترصد بها قريشا ، ويعلم من أخبارهم ، كما أرسل قبل بدر رجلان يستقيان ويتنسطان الأخبار وهما بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء ، حيث ذهبا إلى قريب من الماء وأخذا شنا لهما

يستقيان فيه ، وبعض كفار قريش على الماء ، فسمع الرجلان حوارا حادا بين جاريتين تستقيان الماء ، قالت الأولى لصاحبتها ، وكانت تداينها بدين ، إنما يأتى العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك ورد رجال من قريش أرادوا تهدئة الموقف بينهما وقالوا نعم مؤكدين بذلك صحة ما قالت الجاريتان ، وسمع عيون الرسول ﷺ هذه الأخبار ، وعادا مسرعين إليه يخبراه بنبأ العير القادمة من الشام(٩٠) . وفى أحد بعث أنسا ومؤنسا ابنى فضاله يلتمسان خبر قريش ، فأخبراه بما علما،وهكذا كان الرسول ﷺ يهتم بأخبار عدوه ليأخذ حذره، وليعد للأمر عدته(٩١).

وسار الخلفاء من بعد الرسول ﷺ على نهجه فى هذا المضمار ، فنرى الخليفة عمر ﷺ ، يقول فى وصايته لسعد بن أبى وقاص : فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم .

وفى عصر العباسيين عنوا بها وأحكموا أمرها ، حتى أنهم كانوا يستخدمون لذلك الرجال والنساء الذين كانوا يذهبون إلى البلاد المجاورة متنكرين فى زى التجار ، أو الأطباء أو غيرهما ، ويتنسطون الأخبار ثم يعودون بها إلى الدولة لتحتاط للأمر ، ولن تكن الجاسوسية أكثر نشاطا ولا أعم انتشارا فى بلد من البلاد منها فى الدولة البيزنطية التى كانت تنافس الدولة الإسلامية(٩٢) .

الأسلحة الوقائية :

استعمل النبى ﷺ الحسك (٩٣) ليمنع العدو من الدنو من جنده ، كما تستعمل الجيوش الآن الأسلاك الشائكة ، وكان المسلمون يستعملون الخوذة والبيضة لوقاية الجذع والأطراف(٩٤) .

وجه المسلمون عنايتهم نحو استغلال آبار النفط التى فى بلادهم والتى كانت تكثر فى إيران والعراق وصقلية أو فى طبرستان ، وفى سرقوسة ·

ويصف ابن الشباط النوسى (ق ٧هـ) طريقة استخراج زيت النفط من الآبار ، وكيف أن الرجل الذى ينزل فى البئر كان عليه أن يغطى رأسه ويسد مسام أنفه وإلا هلك لساعته ·

وفى أواخر ق ٧هـ / ١٣م توصل المسلمون فى المغرب والأندلس إلى اكتشاف خاصية أخرى للنفط كمادة هادمة متفجرة إذ اختلطت بملح البارود أو النشادر ، وحصى الحديد فى درجة حرارة عالية ، وهذا الاكتشاف أدى إلى ظهور المدافع والأسلحة النارية ·

وقد استخدم هذا السلاح سلطان المغرب يعقوب المرينى أثناء هجومه على مدينة سجلماسة سنة ٦٧٢هـ وأيضا استخدم سلطان غرناطة اسماعيل بن الأحمر فى حصار مدينة أشكر جنوب الأندلس سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م ·

برع الجيش العربى الإسلامى فى كل فنون الحرب والمعرفة فى العصور الوسطى فكانوا فى حالة الدفاع يحفرون الخنادق ثم عمدوا إلى إنشاء القلاع والحصون ، واستخدموا الكمائن والخدع الحربية ، ولجأوا إلى عرقلة العدو بإحراق الأرض أو استخدام الثعالب والكلاب وذلك بأن يعلقوا النار فى أذنابها ثم يطلقوها لتعدو فى معسكرات العدو[٩٥] ·

تميز الجندى العربى المسلم بالخفة وسرعة الحركة والصبر على الجوع والعطش والتعب ، وكان الانضباط عاليا بين صفوف الجند فقد شدد القواد على الجنود

بالعقاب فى حالة العبث بالنظام أو الذين يتعرضون للسكان المدنيين ، وقد اتبع العرب المسلمون الرأفة مع الأسرى ومعاملتهم معاملة كريمة ، وسلكوا مسلكا إنسانيا مع الأعداء فكان لا يجوز قتل الشيوخ والرهبان والنساء والأطفال فى الحروب والسلم ، واتبعوا أيضا أسلوب تبادل أسرى الحرب ، وأسلوب الفداء بالمال(٩٦) .

الأسطول :

لم يكن عرب الحجاز أول الأمر – لبداوتهم – مهرة فى ركوب البحر ، وثقافته وممارسة أحواله(٩٧) ، وأول من ركبه منهم للفتح العلاء بن الحضرمى والى البحرين فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، وذلك عندما خرج لغزو بلاد فارس سنة ١٧هـ / ٦٣٨م بغير اذن عمرﷺ(٩٨) .

وكان عمر بن الخطاب ﷺ لا يرى فى هذه المرحلة المبكرة أن المسلمين مهرة فى ثقافة البحر وركوبه ، ولا يستطيعون بخبرتهم البحرية أن يجاروا البيزنطيين الذين كانوا تمرسوا فى شئون البحر ومرنوا على ركوبه ، واحكموا ثقافته(٩٩) .

وقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ نهى عن ركوب البحر ونهى قواده على القتال فيه ، ولما أشار عليه معاوية بن أبي سفيان ببناء الأسطول فأبى ، ولما ألح عليه سأل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ واليه على مصر عمرو بن العاص أن يصف له البحر ، فوصفه له ، فبين ما فيه من مخاطر قائلا : " يا أمير المؤمنين أني قد رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ، ليس إلا السماء والماء ، إن ركد أحزن القلوب ، وأن ثار أزاغ القول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، هم فيه دود على

عود ، أن مال غرق ، وأن نجا برق " ، فلما قرأ عمر ﷺ كتاب عمرو بن العاص كتب إلى معاوية " والذي بعث محمد بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا "(١٠٠)

وكان في الامتداد البرى للجوانب الأخرى من الشام ما يغنى عن ركوب البحر لأغراض الجهاد ونشر الإسلام ، وقد استعاض عمر بن الخطاب ﷺ عن ركوب البحر باتخاذ نظام المرابطة على السواحل كسياسة بحرية دفاعية(١٠١) هذا بجانب المناظر والمسالح على طول الساحل وشحنها بالمقاتلة واتخاذ المواقيد للإنذار باقتراب سفن الروم من السواحل(١٠٢) .

ولما استخلف عثمان بن عفان ﷺ تابع سياسة عمر بن الخطاب ﷺ البحرية وأرسل إلى الولاة يأمرهم بتحصين السواحل وشحنها بالمقاتلة ، وقد نجحت هذه السياسة الدفاعية في صد الاعتداءات البيزنطة البحرية التى تعرضت لها سواحل الشام ومصر سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م(١٠٣) .

ثم عزم الخليفة عثمان ﷺ على ركوب البحر ، فأذن لمعاوية والي الشام سنة ٢٧هـ / ٦٤٧م بغزو قبرص عن طريق البحر ، واشترط عليه اتخاذ الحيطة والحذر وقال له: " لا تنتخب الناس ، ولا تقرع بينهم ، خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه، ففعل "(١٠٤) .

ولما استقر الأمر للمسلمين وشمخ سلطانهم وخضع سلطان غيرهم تقرب إليهم كل ذى صنعة بمبلغ صناعته وأنشئوا لهم السفن والشوانى فاستخدموا لها من النواتية في حاجاتهم البحرية مما تقوم عليها ، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافتهم ،

فاستخدموا الخطط وأنشئوا السفن وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح واختصوا لذلك شعوبهم فى الشام وأفريقية ومصر والمغرب والأندلس(١٠٥) .

دور الصناعة:(١٠٦)

كانت مصر فى مقدمة البلاد التى ساهمت فى بناء الأسطول الإسلامى لأن صناعة السفن كانت أكبر صناعات الإسكندرية ، وفى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى على مصر غزا الروم البرلس سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م وقتلوا عددا كبيرا من المسلمين ، فاهتم أمراء مصر ببناء السفن وأنشئت لأول مرة دار لصناعتها فى جزيرة الروضة سنة ٥٤هـ / ٦٧٣م(١٠٧) .

ولما ولي الخلافة عبد الملك بن مروان سنة (٦٥-٧٦ هـ / ٦٨٤- ٦٩٥م) بعث إلى حسان بن النعمان عامله على أفريقية باتخاذ دار الصناعة بتونس لإنشاء السفن والآلات(١٠٨) ، حيث كان أهم المنجزات الأموية في المجال البحر إنشاء ترسانة تونس على أثر هجوم بيزنطي راح فيه عدد من ضحايا المسلمين قتلى وأسرى حيث كانت المنطقة غير محمية ، وهكذا أمد عبد الملك بن مروان واليه حسان بألف فني من أقباط مصر بأسرهم للعمل في بناء ترسانة تونس ، وفرض على السكان البربر أن يتولوا جر الخشب لإنشاء السفن ليكون ذلك جريا عليهم إلى آخر الدهر(١٠٩).

وكان بنوا أمية يغزون الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية مما يلي ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم المراكب للغزو وترتب للحفظة في السواحل(١١٠).

وهكذا كانت فى العصر الأموى ثلاث أساطيل مستقلة عن بعضها ، ويعمل كل منها فى منطقة معينة هى : أسطول مصر ، وأسطول سورية ثم أسطول شمال أفريقية ، هذا علاوة على وحدة بحرية صغيرة تعمل فى البحر الأحمر وقد انعقد لواء كل من هذه الأساطيل لأمير من أمراء البحر(١١١) .

ومن ولاة الشؤون البحرية الأوائل في عهد معاوية : علقمة بن جنادة الذي شهد فتح مصر وتوفى سنة ٥٩هـ ، وعقبة بن عامر وهو من غزاة جزر البحر المتوسط وكان مع هذا مقرئا وفقيها ، ورويفع بن ثابت الذي غزا طرابلس الغرب وجزيرة جربة ، وفضالة بن عبيد الذي ولاه معاوية شؤون الجيش وغزو الروم بحرا بعد أن تولى قضاء دمشق مدة ، وكذلك تولى غزو البحر عقبة بن نافع على رأس الجيش المصري ، ومن ولاة البحر بأفريقية : محمد بن أوس الأنصاري سنة ٧٣هـ وشارك مع موسى ابن نصير في حملاته بالمغرب والأندلس ، ويظهر أن ولايته على البحر أستمرت مدة طويلة ، ثم رشحه أهل أفريقية سنة١٠٢ هـ لولايتها مؤقتا في ظروف أضطرابات بالعاصمة قبل تعين والي رسمي(١١٢).

وكان من ولاة البحر خلال فترة حكم الوليد بن عبد الملك خالد بن كيسان الذي وقع في أسر الروم خلال هجمات المسلمين على المواقع البيزنطية بأسيا الصغرى ثم قدموه كترضية للوليد(١١٣).

وعندما آلت الخلافة إلى بنى العباس واتخذوا العراق مركزا لهم بدأ اهتمامهم بأمور البحرية ضعيفا عما كان عليه الوضع خلال العصر الأموى واستمر ذلك ما يقرب من خمسين سنة ، بسبب انصراف الدولة عن شئون البحر ونفض يدها من



محاربة البيزنطيين فى البحر المتوسط[١١٤] وقد ساعد على تجمد النشاط البحرى الإسلامى فى شرق البحر المتوسط انصراف الدولة البيزنطية هى الأخرى عن المصادمات البحرية مع المسلمين بسبب الفتن الداخلية وبعض المشاكل الخارجية التى عصفت بها كالنزاع الأيقونى ، وثورة توماس الصقلى ، سنة ٢٠٥هـ /٨٢٠م . وكذلك الصراع مع البلغار منذ عهد قسطنطين السادس وأمه ايرين ، وساعد على تجمد النشاط البحرى الإسلامى أيضا انفصال المغرب الإسلامى والأندلس عن المشرق سياسيا[١١٥] .

وعلى الرغم من ذلك فقد أبدى خلفاء بنى العباسى اهتمامهم بالبحرية منذ عهد الخليفة هارون الرشيد وولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام ومصر سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م فغزوا جزيرة قبرص عندما نكث أهلها العهد مع المسلمين ، كما غزا جزيرة أقريطش[١١٦] .

وعلى هذا النحو اهتم العباسيون بالبحرية الإسلامية المغربية والأندلسية فى غرب البحر المتوسط[١١٧] .

وقد اهتم أحمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م بإنشاء السفن الحربية وقام بتوسيع دار الصناعة وتحسينها ، وجعل لها أحواضا حول جزيرة الروضة ، كانت تعرف باسم " صناعة السفن " ، ومن دلائل اهتمام ابن طولون بالأسطول أنه استقدم ملتزم الصناعة بالروضة أبا كامن شجاع بن أسلم الحاسب ، وقال له :"كل ما تعمل لي من العدة فأنه يكتفي بالقليل مع تقدم هيبتي في صدور الناس إلا المراكب، فأن البحر لا يتهيبني ولا يخاف ثورتي ، وليس يعمل فيه إلا وثاقة الصنعة ،

وتقديم الاحتياط، فقدموا الحزم في المراكب ، وإستزيدوا من الإنفاق عليها تسلموا بتوفيق الله من معرة البحر"(١١٨).

وورث خمارويه عن أبيه هذا الأهتمام بالأسطول ، فيذكر أن عدة المراكب المرصدة للجهاد في أيام أحمد بن طولون مائة شين ، فلما مات وتملك أبنه خمارويه زاد في عددها وعدتها (١١٩) ، غير أن خلفاء خمارويه لم يولوا البحرية ذلك القدر من الأهتمام فكانت القوة البحرية في عهدهم لا تتجاوز عددا محدودا من السفن ، ولم يقدر لهذه القوة أن تلعب دورا في تاريخ الأسرة الطولونية(١٢٠)

وانتقلت دار الصناعة إلى الفسطاط أيام الاخشيد (٣٢٣-٣٣٤هـ / ٩٣٤-٩٤٥م) فى المصنع المعروف باسم "صناعة السفن" فغدت السفن الحربية والبحرية والنيلية تصنع فى "صناعة مصر" مرة وفى صناعة الجزيرة مرة أخرى(١٢١) .

ولما فتحت صقلية فى أيام الأغالبة فى عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات ازداد المسلمون رغبة فى غزو البحر، فبالغوا فى إنشاء الأساطيل فى أفريقية ، والأندلس ، وبلغ عدد سفن الأسطول الإسلامى خلال عهد عبد الرحمن الناصر أواسط القرن الرابع الهجرى ٢٠٠ سفينة ، وكان أسطول أفريقية نحو ذلك ، وتعددت دور الصناعة هناك(١٢٢) .

واهتم الفاطميون بصناعة السفن اهتماما كثيرا فى دور الصناعة بمصر والإسكندرية ودمياط ، وأخذت الدولة تثبت سلطانها على قواعد بلاد الشام البحرية وتطرد الروم من أطراف الشام الشمالية ، وعلى شواطئ البحر الأحمر وشواطئ أفريقية التى كانت فى حوزتهم من قبل .

وقد خصصت الدولة جزءا كبيرا من ميزانيتها للنفقة على الأسطول وتجهيزه بما يحتاج إليه ، فأنشأ المعز لدين الله دار لصناعة السفن بالمقس قريبا من مدينة القاهرة سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م صنع بها ٦٠٠ سفينة[١٢٣] وقد جدد العزيز بالله الفاطمى دار صناعة المقس بالبناء ، وأضاف إليها إضافة جديدة ، وانتجت أسطول ضخم سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م ليرسله إلى طرابلس الشام بقصد عرقلة البيزنطيين ومنعهم من التوغل فى بلاد الشام[١٢٤] .

ولما دب الضعف والوهن فى الممالك الإسلامية المتوسطية مثل الفاطميين فى مصر والشام ، وبنى زيرى فى أفريقية والأمويين فى الأندلس ، وضعفت البحرية الإسلامية ، وأخذت سيطرتهم فى البحر المتوسط تتراجع وتنحسر عن جزره تباعا . ولم تستطيع الجهود التى بذلها المرابطون والموحدون والمرينيون وغيرهم فى إنشاء الأساطيل أن تغير الوضع البحرى لصالح المسلمين تماما ، ثم أصابها الضعف أيضا . وانتقلت ضربات الأساطيل الأوربية إلى السواحل الإسلامية فى كل من الأندلس والمغرب ومصر والشام ونجح هؤلاء فى احتلال أجزاء من هذه البلاد ، ابتداء من سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م[١٢٥] .

أنواع السفن :

كانت السفن الحربية أنواعا متفاوتة فى شكلها وقوتها وأحجامها تبعا للأغراض المختلفة التى صنعت من أجلها ، وقد أنتجت دور الصناعة من قطع الأسطول ومراكب البحر أنواعا كثيرة نذكر منها :

البطسة : والجمع بطسات وبطس ، وهى سفينة كبيرة يصل شراعها إلى أربعين شراعا ، واشتهر هذا النوع من السفن فى أيام الحروب الصليبية ، وهى تحمل آلات الحرب والأقوات والميرة والرجال ، وآلات الحصار ولها أسطحة عالية ، وطبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش يفرش بالبسط وغيرها ، ووظيفة البطس الأصلية هو القيام بالأعمال القتالية فى البحر ، وتتسع لعدد كبير من الجند يصل إلى سبعمائة(١٢٦) .

الشوانى : جمع شينى ، وكانت أهم قطع الأسطول الفاطمى ، وكانت تعرف بالأغربة ، لأنها كانت تطلى بالقار ، وكانت لها قلوع بيضاء فهى بذلك تشبة القربان ، ولها من المجاديف مائة وأربعين مجدافا(١٢٧) وكانت تتسع لمائة وخمسين رجلا، ومزودة بأبراج وقلاع تستخدم للدفاع والهجوم(١٢٨) .

الحراريق : جمع حراقة وهى سفينة حربية تقوم برمى النار على الأعداء فى البحر، وهى تلى الشوانى فى الأهمية ، وكان يجدف فيها بما يقرب من مائة مجداف(١٢٩)

الأغربة : وهى جمع غراب ، من المراكب الحربية سريعة الحركة ، وسَميت بذلك بسبب مقدمتها التى كانت على شكل رأس غراب(١٣٠) .

الطرائد : جمع طريدة وهى سفن مخصصة لحمل الخيل وتسع الواحدة منها لحمل أربعين فرسا(١٣١) وكانت سريعة الجرى .

الشلنديات : وهى جمع شلندية ، نوع من المراكب الحربية المسطحة ، تستخدم لحمل الجنود والسلاح والمؤن ، وكان المقاتلون يرتادون ظهرها لقتال

الأعداء ، بينما يجدف الجدافون تحتهم[١٣٢] وكانت تصنع بدار الصناعة بالروضة[١٣٣] .

المسطحات : جمع مسطح وهى كبار السفن المسطحة كانت تحمل الأسلحة للأسطول ، وتستخدم فى مطاردة العدو لسرعتها[١٣٤] .

القوارب : جمع قارب ، والزوارق جمع زورق ضمن قطع الأسطول أيضا وهى مراكب من غير شراع وتستعمل فى العادة لنقل الأشخاص[١٣٥] .

الخلية : وهى سفينة شراعية كبيرة ويتبعها زورق يقال له الركوه ، وسميت بذلك تشبيها بالخلية من الابل التى ترأم على ولد واحد[١٣٦] .

جفن : سفينة حربية بطيئة الحركة لكبر حجمها .

البارجة : كانت ضمن السفن الحربية وهى تحمل خمسة وأربعين رجلا منهم ثلاثة نفاطون وبحار وخباز إضافة إلى المجدفين والمقاتلة[١٣٧] .

الحرابى أو الحربيات : جمع حربية ، وهى نوع من الشوانى ولكنها أصغر حجما ، وتمتاز هذه المراكب عن الشوانى بسرعتها وخفة حركتها ، وكان هذا النوع يصنع بدار الصناعة بالروضة فى مصر ، واستخدمت فى المعارك بأرض المغرب والأندلس[١٣٨] .

المركب المسمى بالغيطانى والمركب المسمى بالعجزى : هما مركبان عظيما الحجم، صنعا بدار صناعة مصر ، كانا يحملان عددا كبيرا من الركاب والبضائع الطائلة[١٣٩] .

ويذكر المقريزى أنواع أخرى من السفن كانت تصنع بدار الصناعة بالجزيرة خلال عصر ابن طولون مثل العلابيات والحمائم ، والسنابك وقوارب الخدمة ، وكلها مراكب نيلية ، والطيارة ، والاشكيف(١٤٠) .

ومن أنواع السفن البدن وهو زورق يمتاز بمقدمة ومؤخرة مدببة ، والبغلة وهى ذات مؤخرة مربعة الشكل حمولتها أكثر من خمسين طنا ، والبركة من السفن الخفيفة ، والجهازى وهى سفينة تجارية ضخمة ، والسميرية وهى من سفن البحر والانهر الحربية ، والشذا وهى سفينة صغيرة من العصر العباسى (١٤١) .

إن تعدد أنواع السفن الحربية والتجارية وسفن النزهة الصغيرة يوضح لنا عظمة البحرية الإسلامية ، ويدل دلالة واضحة على أن المسلمين الذين نشئوا فى الصحراء استطاعوا السيطرة على البحار وسجلوا مجدا بحريا رائعا .

وكانت هناك أنواع من السفن تستخدم للابحار فى البحر الأحمر ، ما بين أيلة وعيذاب أو عيذاب والبحر الحبشى ، وهذا النوع ذكره ابن جبير ، وكان يعرف باسم الجلاب أو الجلبات ، وكان لا يستعمل فى صناعتها مسمار البته ، إنما كانت تخيط بأمراس من القنبار وهو قش جوز النارجيل يصنعون منه حبالا يخيطون بها السفن ، وكانوا يدهنون السفن بالسمن أو دهن الخروع أو دهن القرش(١٤٢) .

هذا عن أنواع السفن المختلفة التى تستخدم فى الأسطول الإسلامى أما عن الأسلحة البحرية فكانت تشمل الآتى :-

- **الكلاليب** : وهى عبارة عن خطاطيف من حديد يلقونها على إحدى سفن العدو فيوقفونها ثم يشدونها إليهم ، ويرمون عليها الألواح كالجسر ، ويدخلون إليها ويقاتلون من فيها(١٤٣) .
- **الباسليقات** : وهى سلاسل فى رؤسها رمانة من حديد ، كانت تستخدم فى القتال على سطح السفن(١٤٤) .
- **التوابيت** : وهى صناديق مفتوحة من أعلاها ، تكون فى أعلى الصوارى وتستخدم فى الرمى على سفن العدو أو يصعد إليها الرجال قبل دنو العدو حتى لا تصيبهم سهامه ، ويقذفون العدو بأحجار صغيرة فى مخلاه بجانب الصندوق وهم محتمون بالصناديق(١٤٥) .
- **اللجام** : وهى أداة من حديد طويلة محددة الرأس جدا أسفلها مجوف كسنان الرمح ، تدخل فى خشبة كالقناة بارزة فى مقدم المركب يستخدم فى مهاجمة مركب العدو عن طريق الطعن أو النطح(١٤٦) .
- **المنجنيق** : وهو عبارة عن آله من الخشب تستخدم فى قذف الحجارة ، حيث أنه له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف تجعل كفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسفله إلى أعلى ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج المقذوف منه(١٤٧) وكانت تستخدم فى قذف النفط أو جرار الزيت المغلى أو النيران .
- **السهام النارية** : وهى عبارة عن سهام عادية ملفوف على نصلها فى مشاقة كبريت وراتينج وقلفونية ، ونورة وشحم الكلى يتم إحراق طرفه ، وتستخدم فى



الرمى على مراكب الاعداء فإذا واجهت الهواء تشعل نارا عظيمة تحرق كل ما تصيب(١٤٨)

- **جرار النورة** : وهى مسحوق ناعم من مزيج الكلس والزرنيخ ويرمون بها فى سفن الأعداء فتعمى الرجال بغبارها (١٤٩) .
- **الزرافة** : وهى أنبوبة من النحاس تستخدم فى قذف مزيج من المواد الملتهبة مما يطلق عليه النفط ، وكان يقذف مشكلا فتبعث ناره تجاه سفن الأعداء فتحرقها وكانت توضع فى مقدمة السفن أو مؤخرتها أو على الأجناب(١٥٠) .

وهذه النيران كانت لا تنطفئ بملامسة الماء ، ولذا كان تأثيرها شديد على السفن وكان البحريون يتخذون سبل الوقاية بأنهم كانوا يعلقون الجلود أو اللبود المبللة بالخل والشب والنطرون لدفع أذى النفط ، وكان الرجال يرتدون بعض الملابس الواقية مثل الخيش المطلى بالطلاء الذى لا تحرقه النار(١٥١) .

ومن الأسلحة البحرية أيضا . قدور الحيات والعقارب ، وكانوا يرمون بها على سفن الأعداء فتحدث اضطرابا وهرجا بها ، وأيضا قدور الصابون اللين اللزج لتزلق أقدامهم (١٥٢) .

هذا بجانب الأسلحة الشخصية التى يجهز بها كل جندى نفسه ، مثل السيوف والرماح والفؤوس ، والدبابيس ، والأقواس والنشاب وغيرها(١٥٣) .

قيادة الأسطول :

كان لكل أسطول قائد ورئيس ونوتية ، حيث أوكلت الدولة أمور البحرية إلى قائد أطلق عليه " **أمير البحر** " وكانت مهمته الإشراف على الأسطول وجميع ما

يتعلق بـه مـن بنـاء السفن وتفقد دور صـناعة ، وتصـفح أحوالـه ، وتعهـد أعدائـه ، وانتقاء المهرة من أهل الصناعات والحرف له ، واختيار رجاله وتدريبهم[١٥٤] .

وكـان الـرئيس يـدبر أمـر جريـة بـالريح أو المجـادف وأمـر إرسـاله فـى مرفئـه ، والنواتيـة يعملـون بـأمر الـرئيس[١٥٥] فعلى سبيل المثال معاويـة بـن أبـى سـفيان لمـا أذن له بالغزو فى البحر ، جعل على البحر عبد الله بن قيس الفزارى أميرا فغزا عبد الله خمسـين غـزاة مـا بـين شـاتيه وصـائفه فـى البحـر ولم يغـرق منهـا أحـد ولم ينكب[١٥٦] .

وخـلال العصر الفـاطمى كـان على رأس الأسطول المصرى عشرة قـواد عليهم رئيس يسمى قائد القواد ، ولهم مرتبات قد تصل إلى ٢٠ دينارا فى الشهر ، ويذكر أن ما كان ينفق على الحملة زمن المعز لدين الله الفـاطمى أكثر من مائة ألف دينـار ، وكـان يصـرف عليـه مـن خـراج الاقطاعـات المحبوسـة عليـه ، ووصـل عـدد رجـال الأسطول الفاطمى فى بعض الأحيان أكثر من خمسة آلاف[١٥٧] .

مصادر ومراجع الفصل الرابع

١. ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ١ ، ص١٠٨ .

٢. ابن خلدون: المقدمة جـ٢، ص٦٥٣، أبو زيد شلبي: الحضارة الإسلامية ، ص١٤٧.

٣. المائدة آية ٦٤ .

٤. الأنفال آية ٥٧ .

٥. أبو زيد شلبي : الحضارة الإسلامية ، ص١٤٨ .

٦. الرازي : مختار الصحاح،ص٤٨، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ص١٢٢.

٧. حسن محمد جودة : نظم الحضارة الإسلامية ، ص١٠٠ .

٨. إبراهيم أحمد العدوي : تاريخ الوطن العربي وحضارته ، ص١٩٦ .

٩. الجهاد : مأخوذ من الجهد بفتح الجيم وضمها : الطاقة وورد في قوله تعالى "وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ"(التوبة: من الآية٧٩) والجهد بالفتح المشقة .

١٠. الحجر : آية ٩٤

١١. النحل آيه١٢٥

١٢. ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ١ ، ص٢٨٢ .

١٣. سورة الحج آية ٣٩ .

١٤. البقرة الآيتان ١٩٠، ١٩١ .

١٥. محمد بطاينة : في تاريخ الحضارة ، ص٩٥ ، ٩٦ .

١٦. البقرة : آية ٢١٦ ٠

١٧. التوبة : آية ١٢٢ ٠

١٨. الأنفال : آية ٣٩ ٠

١٩. البقرة : آية ١٩٤ ٠

٢٠. التوبة : آية ٥ ٠

٢١. التوبة : آية ٣٦ ٠

٢٢. البقرة : آية ٢٤٤

٢٣. يطلق لفظ الجيش على الجند كما يطلق على جماعة الناس فى الحرب أو السائرين إلى الحرب أو غيرها ٠ الزبيدى : تاج العروس مادة جيش ٠

٢٤. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٩٦ ، إبراهيم سليمان الكروى : المرجع فى الحضارة ، ص١٠٢ ٠

٢٥. الطبرى : تاريخ ، جـ٣ ، ص٦١٣ ٠

٢٦. الطبرى : تاريخ ، جـ٣ ، ص٢٤٧ ٠

٢٧. الأنفال : آيه ٦٠

٢٨. مجدى شحاته محمد فايد : الجهاد ، بحث ضمن " بحوث دراسات إسلامية " ، مؤسسة اقرأ ، القاهرة ١٩٩٢م ، ص٥٧ ٠

٢٩. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص ٢٤٧

٣٠. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص ٤٨١

٣١. محمد عزب دسوقى : القبائل العربية فى بلاد الشام ، ص٢٠٧-٢٢٠ ٠

٣٢. محمد بطانيه : في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٩٧

٣٣. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٩٨ ٠

٣٤. إبراهيم سلمان الكروى : المرجع فى الحضارة ، ص١٠٣ ٠

٣٥. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص١٠٤ ٠

٣٦. ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٦ ٠

٣٧. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص١٠٥ ٠

٣٨. محمد الخضري : محاضرات ، جـ١ ، ص١٢٨، ١٣٦، ١٤٩

٣٩. ابن سيد الناس : عيون الأثر ، جـ١ ، ص١٥٣، ١٥٦ ، محمد الخضري : محاضرات، جـ١ ، ص١٦٠، ١٥٩ .

٤٠. ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص٨٣ ٠

٤١. الطبرى : تاريخ ، جـ٣ ، ص٣٩٤ ، ٣٩٥ ٠

٤٢. الطبرى : تاريخه جـ٨ ، ص١٥٢ ٠

٤٣. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٢ ٠

٤٤. الطبرى : تاريخه جـ٦ ، ص٥١٢ ٠

٤٥. الطبرى : تاريخه ، جـ٧ ، ص٤٢٧ ٠

٤٦. إبراهيم سلمان الكروى : المرجع ، ص١٠٤ ٠

٤٧. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص٩٦ ٠

٤٨. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص١٠٥ ٠

٤٩. البلاذرى : فتوح البلدان ، جـ٢ ، ص٣٩٠ ٠

٥٠. القرطبي : تفسير القرطبي ، تفسير آية ٥٣ من سورة التوبة ٠
٥١. ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٨ ٠
٥٢. محمد بطاينة : في تاريخ الحضارة ، ص١٠٨ ٠
٥٣. الطبرى : تاريخه جـ٦ ، ص٣٢٩ ٠
٥٤. ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٨ ٠
٥٥. سورة الصف آية ٤ ٠
٥٦. ابن خلدون : المقدمة ، ص٢٠٣ ٠
٥٧. إبراهيم الكروى : المرجع فى الحضارة ص١٠٥ ٠
٥٨. ابن خلدون : المقدمة ، ص٢٠٥ ٠
٥٩. الطبرى : تاريخه ، جـ٤ ، ص١١ ٠
٦٠. الطبرى : تاريخه ، جـ٣ ، ص٣٩٦ ٠
٦١. إبراهيم سلمان الكروى : المرجع ، ص١٠٥ ٠
٦٢. البقرة : آية ١٩٠
٦٣. الممتحنة : آية ٨
٦٤. رواه مسلم : كتاب الجهاد
٦٥. رواه البخاري : كتاب الفتن
٦٦. رواه البخاري : كتاب الجهاد
٦٧. الطبري : تاريخه ، جـ٢ ، ص٦٣

٦٨. ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ١ ، ص١٥٤ ، أبو زيد شلبي : الحضارة الإسلامية ، ص١٥٥

٦٩. الضبور : آله تشبة الدبابة تصنع من الخشب المغطى بالجلد ، ويكمن فيها الجنود بعد تقريبه من الحصن يتقون نبل العدو استعدادا للهجوم على الحصن . محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١١٧ .

٧٠. محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة ، ص١١٧ .

٧١. فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة ، ص٢٤٢ .

٧٢. ابن سعد : الطبقات ، جـ١ ، ص٤٨٦ ، الطبرى : تاريخه جـ٣ ، ص١٧٧ .

٧٣. إبراهيم سلمان الكروى : المرجع فى الحضارة ، ص١٠٦ .

٧٤. فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة ، ص٢٤٢ ، ٢٤٣ .

٧٥. الطبرى : تاريخه ، جـ٣ ، ص١٧٧ .

٧٦. ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ١ ، ص١٧٨ ، الطبرى : تاريخه جـ٣ ، ص١٧٧.

٧٧. حسن محمد جودة: نظم الحضارة الإسلامية ، ص١٠٥

٧٨. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٦٩ .

٧٩. إبراهيم سلمان الكروى : المرجع فى الحضارة الإسلامية ، ص١٠٧ .

٨٠. محمد ضيف الله : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، جـ١ ، ص١١٧ .

٨١. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٧٠ .

٨٢. القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٣٨٨ .

٨٣. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٧٠ .



٨٤. المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٨ ، القلقشندى : صبح جـ٢ ، ص١٣٨ .

٨٥. محمد ضيف الله : تاريخ الحضارة ، جـ١ ، ص١١٧ .

٨٦. أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٦١ .

٨٧. محمد عبد الهادي شعيرة : من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الول والثاني للهجرة ، بحث ضمن كتاب دراسات في الآثار الإسلامية ، ص٩،٢٩

٨٨. أحمد مختار العبادي : نظم الحكم والإدارة ، ص١٧٩، ١٨٠

٨٩. أبو يزيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٦١

٩٠. فتحية النبراوي : تاريخ النظم الإسلامية ، ص ٢٤٠.

٩١. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٦١.

٩٢. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٦١.

٩٣. الحسك : شوك مدحرج لا يكاد يمشي عليه إذا يبس ، أبن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ،ص٣٠٣

٩٤. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٦٢

٩٥. إبراهيم سلمان الكروي : المرجع في الحضارة ، ص١٠٧

٩٦. إبراهيم سليمان الكروي : المرجع في الحضارة ، ص ١٠٧،١٠٨.

٩٧. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٨٩.

٩٨. ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ، ص٣.

٩٩. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٨٩.

١٠٠. عبد العزيز سالم ، العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص٥.

١٠١. عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، ص٣٣.

١٠٢. البلاذري: فتوح البلدان ، جـ١ ، ص١٥٠.

١٠٣. ابن خلدون : المقدمة ، ص١٩٧.

١٠٤. الطبري : تاريخه، جـ٣ ، ص٣١٥ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص١٠٤.

١٠٥. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٦٦.

١٠٦. دار الصناعة : كانت فيما مضى تطلق على ما يسمى الآن " الترسانة" وهي أسم المكان الذي أعد لإنشاء المراكب البحرية، المقريزي:الخطط، جـ٢، ص١٨٩.

١٠٧. الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٣٨ ، المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص١٩٠.

١٠٨. أبو يزيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٦٧.

١٠٩. البكري : مسالك الممالك ، ص ٢٨.

١١٠. البلاذري:فتوح البلدان، ص٢٢٢،إبراهيم حركات:السياسة والمجتمع،ص٢٠٦

١١١. إبراهيم حركات : السياسة والمجتمع ، ص٢٠٧،٢٠٦.

١١٢. ابن عبد الحكم:فتوح مصر ، ص١١٤،أبو المحاسن:النجوم ،جـ١،ص١٢٧-١٣٨

١١٣. إبراهيم حركات : السياسة والمجتمع ، ص ٢٠٧.

١١٤. سالم والعبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص٣٧.

١١٥. سالم والعبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص٣٨.

١١٦. البلاذري : فتوح البلدان ، جـ١ ، ص٢٧٩، ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ،ص١٩٦.

١١٧. سالم والعبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص٣٩.

١١٨. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٩٥.

١١٩. سالم و العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص٩٥.

١٢٠. المقريزي : الخطط جـ٢ ، ص٩٠، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص٢٢٣

١٢١. البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص٣٤٩ ، الكندي : الولاة ، ص٢٨٦ ، سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص٥٧،٥٩.

١٢٢. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٦٧.

١٢٣. المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص١٨٩.

١٢٤. سالم و العبادي : تاريخ البحرية ، ص٩١.

١٢٥. محمد ضيف الله : في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٢٨ ، سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص١٠٣-١٠٨.

١٢٦. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٤٨٠ ، سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٢٣٢.

١٢٧. ابن مماتي : قوانين ، ص٣٤٠.

١٢٨. سالم والعبادي : البحرية الإسلامية ، ص١٣٣.

١٢٩. ابن مماتي : قوانين ، ص ٣٤٠، محمد ضيف الله : في تاريخ الحضارة ، ص١٢٩.

١٣٠. ابن مماتي: قوانين، ص٣٤٠، محمد فتحي الشاعر : الحضارة الإسلامية ، ص٦٨

١٣١. ابن مماتي : قوانين ص٣٣٩.

١٣٢. ابن مماتي : قوانين ، ص ٣٤٠.

١٣٣. المقريزي : الخطط جـ٢ ، ص١٨٠.

١٣٤. المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص١٩٥.

١٣٥. عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، ص٢٣٤.

١٣٦. محمد ضيف الله : في تاريخ الحضارة ، ص ١٢٩.

١٣٧. محمد ضيف الله : في تاريخ الحضارة ، ص ١٢٩.

١٣٨. سالم ، العبادي : تاريخ البحرية ، ص١٣٣ ، ١٣٤.

١٣٩. سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص١٣٤.

١٤٠. المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص١٨٥ ، ابن سعيد : المغرب ، جـ١ ، ص٨ ، سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص١٣٨.

١٤١. ابن مماتي : قوانين الدواوين ، المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، درويش النخيلي : معجم السفن الإسلامية.

١٤٢. ابن جبير : الرحلة ، ص٧٠.

١٤٣. أبو زيد شلبي :تاريخ الحضارة، ص١٦٩.

١٤٤. سالم والعبادى:تاريخ البحرية ،ص١٤١.

١٤٥. ابراهيم حسن سعيد : البحرية في عصر المماليك ، ص٢٣٩.

١٤٦. الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ١٩٧ ، سعاد ماهر : البحرية ، ص٢٠٣.

١٤٧. سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص١٤١ ، إبراهيم حسن سعيد : البحرية ، ص٢٤٢.

١٤٨. إبراهيم حسن سعيد : البحرية ، ص٢٤١.

١٤٩. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٦٩.

١٥٠. إبراهيم حسن سعيد : البحرية ، ص٢٤١.

١٥١. سالم والعباد: تاريخ البحرية ، ص١٤٢ ، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص١٧٠.

١٥٢. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص١٧٠.

١٥٣. سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص١٤٠، ١٤١.

١٥٤. قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٧-٥٠.

١٥٥. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص١٧١.

١٥٦. الطبري : تاريخه ، جـ٤ ، ص٢٦٠.

١٥٧. سعاد ماهر : البحرية في مصر ، ص ٢٩٩ ، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ١٧١ ، محمد ضيف الله : في تاريخ الحضارة ، ص١٣٣.

الفصل الخامس .

النظم الاجتماعية

- المرأة.
- الرق .



الفصل الخامس

النظم الاجتماعية

النظام الاجتماعي هو مجموعة القواعد التى تنظم العلاقات بين الفرد والجماعة ، وتربط بين أجزاء المجتمع على اختلاف أنماطه .

والمجتمع هو محور النظام الاجتماعي ، وهو مجموعة من الأفراد داخل المجتمع تربطهم روابط عديدة أهمها اللغة والجنس والأرض والعادات والتقاليد ، ويتكون داخل المجتمع ما يسمى بالأسرة التي ترتبط مع غيرها من الأسر أما عن طريق المصاهرة أو الجوار أو التفاعل الاجتماعي المتمثل في ضرورة التعامل التلقائي بين الناس ، وتبادل المنافع والمشاركة الوجدانية مكونة فيما بينها المجتمع .

ويشمل حديثنا عن النظام الاجتماعي في الإسلام ، المرأة فى الإسلام والرق وموقف الإسلام منه .

أسس النظام الاجتماعي في الإسلام :

كان للمجتمع العربي الإسلامي سمات واضحة ومميزات قيمة أثرت أثرها العظيم فى حياة المسلمين وحضارتهم ، فقد كان يسودهم الإخاء والتسامح وكانوا يتسمون بالحلم والأدب والوقار ، والرضا بما قسم الله من حظوظ الدنيا فكان حقا مجتمعا سعيدا هانئا مطمئنا ، وقد أقام الإسلام نظامه الاجتماعي على دعائم متعددة أساسية هي: المساواة والعدل والرحمة .

المساواة :

أقر الإسلام مبدأ المساواة بين الناس ، وقد سار النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده على تحقيق هذا المبدأ ، فقد بين الإسلام أن الناس متساوون في مادة خلقهم التى هي الركيزة الأساسية للمساواة فيما بينهم ، فالجنس البشرى خلق من مادة واحدة هي الطين وذلك ما بينه الله عز وجل فى كتابه الكريم:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[1]

كما أشار الرسول ﷺ إلى ذلك بقوله : "كلكم بنو آدم وآدم من تراب"[2] ولذا ليس هناك فرق بين الناس بل هناك مساواة ٠

هذا ولم يقم الإسلام موازين التفاضل بين الناس عند الله على أساس اللون أو اللغة أو القبيلة وإنما جعلها بالتقوى ، يقول تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[3]

كما قال الرسول ﷺ فى خطبة له : "يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم "[4] ٠

والمساواة في الإسلام تعنى أنه لا فرق بين أحد وآخر فى الخضوع لحكم قواعده وليس فيه فرد فوق هذه القواعد مهما علت منزلته ، ويؤكد ذلك ما روى عن المرأة المخزومية التى سرقت وجئ إلى الرسول ﷺ للشفاعة حتى لا يقام عليها الحد، فغضب الرسول لذلك وقال "إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق منهم

الشريف تركوه وإذا سرق منهم الوضيع أقاموا عليه الحد ٠ وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها "(٥) ، وهكذا طبق الإسلام مبدأ المساواة بين أفراد المجتمع ٠

العدل :

أخذ الإسلام بمبدأ تحقيق العدالة بين الناس ويظهر ذلك سواء فى كتاب الله أو أحاديث رسوله ﷺ ففي الكتاب الكريم آيات تتحدث عن العدل منها قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾(٦)

ويقول تعالى مشيرا إلى تحقيق العدل :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾(٧) .

ووجبت العدالة على المخلوقين ، يقول تعالى:

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ... ﴾(٨)

والعدل فى القرآن ليس حقا للحاكم يعطيه أو لا يعطيه بل هو واجب عليه وأمانة فى عنقه .

وهناك جانبا آخر فى القرآن الكريم يتحدث عن العدل ووجوبه فى الحديث والأقضية والأحكام والشهادات يقول تعالى :

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾[9] .

أما في السنة النبوية فإن من أقوال الرسول ﷺ وأعماله وتقريراته تمثل في جملتها الجانب التطبيقي لمبدأ العدالة الإسلامية ، فقد كان عادلا بينه وبين نفسه وبين جماعته ، بل شملت عدالته المجتمع الإسلامي كله ، بل المجتمع الإنساني بأسره ، إذ لم يفرق بين مسلم وغير مسلم فى العدالة وتلك عدالة الإسلام التى يتسع مفهومها ليشمل الإنسان أيا كان نوعه أو دينه أو منزلته بين قومه ، يقول الرسول ﷺ : "القضاة ثلاثة واحد فى الجنة واثنان فى النار ، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ورجل قضى بين الناس على جهل فهو فى النار"[10] .

الرحمة:

الرحمة إحساس ينبع من قلب الإنسان ، ويسرى بين جنبات نفسه فيقتل ما كان فيها من قسوة وغلظة وغضب ، وهى شعور لا يفرض من خارج الإنسان وإنما يتولد من داخله طواعية دون إلزام أو إجبار يجعله شفوقا بإخوانه عطوفا عليهم ودودا لهم ، متواضعا محبا للناس يشاركهم أفراحهم وأحزانهم ، والرحمة فى الإسلام تفرض على المسلم أن يبدأ بنفسه فيرحمها بكبح شهواتها وإمساكه بازمتها حتى لا تجنح إلى الهاوية ، وعلى المسلم أن يرحم نفسه ويرحم أهله وقد بين القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ...﴾[11] .

ويأمر الإسلام المسلمين بأن يكون رحيما بجيرانه وبمعارفه بل بالمجتمع كله ، بمعنى أن تعم الرحمة جنبات المجتمع ، فيغدو فى ظلها متآخيا مترابطا ومن ثم يحقق لذاته كمجتمع إسلامي الهدف الذي ينشده الرسول ﷺ بقوله : **"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"**[12] .

وقد قام النظام الإسلامي في ظل هذه الرحمة بالناس والتخفيف عنهم والتيسير عليهم بقوله تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ... ﴾[13]

وقد دعي النظام الإسلامي وهو الذي يرتكز على الرحمة – المسلم أن يكون ملتزما بها قولا وعملا وسلوكا حيث تحدث أثرها فى التآلف والتعاون والمودة والمحبة بين أبناء المجتمع[14] .

المرأة:

يقاس رقى أي مجتمع من المجتمعات فى أي عصر من العصور التاريخية دائما بمدى تقدير ذلك المجتمع للمرأة ، واستجابته لإعطائها حقوقها ، فهي الشريكة الأولى للرجل فى تكوين الأسرة ، وساعده الأيمن فى تحمل أعباء الحياة الزوجية فهي التي تدبر شئون الخلية الأولى للمجتمع وهى الأسرة.

والأم هي المسئولة قبل غيرها عن تنشئة المواطن الصالح ، وقد أسهمت المرأة بنصيب موفور فى شتى مناحي الحياة ، وظهر أثرها واضحا فى تلك المناحي من

خلال مكانتها ودورها فى ظل الحضارة الإسلامية ، على مر العصور ، فشاركت فى النواحي الثقافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعسكرية ، وتمتعت بقسط موفور من الاحترام والتبجيل ، سواء داخل الطبقة الحاكمة أم فى عامة الشعب .

فالمجتمع الإسلامي امتاز في صدر الإسلام بالديمقراطية الحقة ، ولكون الدين الإسلامي حث على هذه الصفة المحمودة فقد ظلت مألوفة بين أفراد المجتمع ، حيث شجعها الرسول ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدون وشجعها بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين .

وأن مجتمعا تسوده هذه الصفة ، بل هذه الفضيلة لمجتمع تعمه الطمأنينة ويسوده العدل ، وهذا يدل دلالة واضحة على سلامة المجتمع والمساواة بين أفراده .

فقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقها كاملة غير منقوصة ورفع عن كاهلها وزر الإهانات التى لحقت بها عبر التاريخ ، فقد كانت الأمم السابقة تنظر إلى المرأة نظرة احتقار ، وظلت المرأة مجهولة القدر مجحودة الفضل ، ترزخ تحت أعباء ظالمة وتقاليد جائرة ، فهي في الصين حبيسة ، وفى الفرس مجهولة القدر ، وفى مصر حقيرة ، وفى أوربا مملوكة ، وفى البلاد العربية متاعا يورث ، حتى إذا ما جاء الإسلام فأنصفها وبوأها مكانا ساميا .

فقد أوضح الإسلام أن المرأة والرجل من أصل واحد وذلك فى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[١٥] .

وقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى كل ما يصلح النفوس . وفى النواحي الدينية والعبادة ، فكثير من الآيات تجمع بين الرجل والمرأة فى التكاليف الشرعية وفى الثواب والعقاب ، قال تعالى:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[16] .

وقال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[17] .

وقال عز من قائل :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ... ﴾[18]

هذا وقد قرن الإسلام المرأة بالرجل ثم جعل عاقبتهما معا واحدة بأن الله أعد لهم مغفرة وأجرا عظيما ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[19] .

أما بالنسبة عن نصيب المرأة فى التعليم ، فنجد أن الإسلام حث على طلب العلم ولم يفرق بين الرجل والمرأة فى ذلك ، فقد ورد فى القرآن الكريم الكثير من



الآيات التي تحث على طلب العلم وفضل العلماء [20] فأولى الآيات التي نزلت في القرآن الكريم على الرسول ﷺ كانت ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾[21].

كما تبين الآيات مكانة العلماء في قوله تعالى:

﴿ ... يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١ ﴾ [22] ،كما فضلهم على غيرهم في قوله تعالى :

﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٩ ﴾[23] ، كما حثهم على الاستزادة منه بقوله تعالى :

﴿... وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥ ﴾[24]

وشرح فضل العلم في معرفة العلماء للخالق وخشيتهم له في قوله تعالى:

﴿ ...إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ... ﴾[25].

كما ورد في السنة النبوية المطهرة ما يبين فضل العلم ، يقول الرسول ﷺ : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" [26] .

وتذكير كلمة مسلم هنا يفهم منها الاستغراق كما يقول علماء البلاغة بمعنى أن نستغرق كل المسلمين وتشمل الذكر والأنثى على السواء .

وهناك أمثلة كثيرة تلقى الضوء على تعليم المرأة فى مختلف العصور الإسلامية منها :-

يذكر أنه عند مجيء الإسلام كان هناك خمسة من نساء العرب يقرأن ويكتبن منهن الشفاء بنت عبد الله العدوية التى كانت تعلم حفصة واستمرت فى تعليمها بناء على طلب الرسول ﷺ حتى بعد زواجه منها وأم كلثوم بنت عقبة ، وعائشة بنت سعد ، وكريمة بنت المقداد[27] .

ويروى البخاري أن النساء قلن للنبي غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك • فجعل لهن يوما يلقاهن فيه ويعلمهن(٢٨) .

هذا وقد حصلت المرأة على علومها من مصادر عدة تمثلت فى أخذها العلم عن العديد من العالمات الفاضلات من بنى جنسها ، بجانب أخذ البعض منهن العلم عن آبائهن أو إخوانهن ، أو جلوس البعض منهن فى مجالس العلم أمام العلماء فى المساجد وذلك من وراء حجاب(٢٩) .

وعلى كل حال فقد انتج التعليم الخاص مجموعة من النساء اللاتي كانت ثقافتهن لا تقل عن ثقافة الرجال بل ربما فاقتها فى كثير من الأحوال ، وهناك قول لأحد الشعراء :

نساؤنا فاقت أئمتنا   في الفضل والتدريس والإخلاص(٣٠)

وقد برزت في الدولة العربية الإسلامية عدة نساء كان لهن مركز ممتاز يأتي في مقدمتهن السيدة عائشة أم المؤمنين زوجة الرسولﷺ فقد اشتهرت بتفوقها فى الفقه ورواية الحديث والفتيا والأدب والتاريخ والنسب ، وقد ورد عن الرسولﷺ قوله :"**خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء**" يقصد زوجته عائشة التى روت عنهﷺ ألف حديث رواية مباشرة وهو ما لم يتوفر لسواها "(٣١) •

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها على قدر كبير من العلم والفصاحة والبلاغة وجمال الأسلوب ورقة التعبير وقوة البيان ، وقد كانت عالمة هذه الأمة بل عالمة نساء العالمين، روى الرواة عنها من الأحاديث الكثير وهى أكثر الصحابيات رواية بعد أبى هريرة وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك رضى الله عنهم ، وقال عطاء بن أبى رباح

كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأيا فى العامة ، وقال هشام بن عروة عن أبية ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها ، وقال الزهري لو جمع علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل(٣٢) .

وكانت السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب وأمها السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ من الذين شاركوا مشاركة فعالة فى الحياة الثقافية أوائل العصر الأموي حيث برعت فى العلوم الدينية .

أتت إلى مصر بعد مأساة كربلاء سنة ٦١هـ/٦٨٠م ، واستقرت بها وعرفت بأم العزائم ، وأم هاشم ، وتحول بيتها فى مصر إلى مقر يعقد فيه الوالي لقاءاته وكان ذلك خلال فترة حكم الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري ، توفيت السيدة زينب رضى الله عنها سنة ٦٢هـ/ ٦٠٧م ودفنت فى منزلها بمصر وهو مسجدها الآن(٣٣) .

ومن النساء الشهيرات سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ، فكانت سيدة نساء عصرها اشتهرت فى تاريخ الثقافة العربية الإسلامية بأنها صاحبة أول ندوة أدبية تقمها المرأة ويقف ببابها الرجال ، وكان من بين هؤلاء فحول الشعراء ، مثل الفرزدق ، وكثير ، وجرير ، وجميل ، وعمر بن أبى ربيعة ، تزوجت من مصعب بن الزبير فهلك عنها ، تقدم عبد الملك بن مروان يطلب الزواج منها ، ولكنها أبت وتزوجت عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، ومات عنها ، ثم تزوجها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول عليها ، ثم تزوجها زيد بن عمر بن عثمان بن عفان ، وأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل ، وكانت

سكينة قائلة للشعر راوية وناقدة له خبيرة بضروبة وأوزانه وقوافيه، ذواقة لمعانية عارفة لأقدار قائليه[٣٤] ، توفيت السيدة سكينة بمكة سنة ١١٧هـ/٧٣٥م .

وقد اشتهرت **السيدة نفيسة** بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب بالفقه ، تزوجت من ابن عمها إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق[٣٥] استقت علومها من مدرسة أبيها فحفظت القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ورحلت إلى المدينة ، وتلقت العلوم عن الإمام مالك (٩٣-١٧٩هـ) ، طيلة أربعة عشر عاما ثم انتقلت إلى مصر، واستقرت بها ، أثناء خلافة المأمون العباسي ، ونهل من علمها الكثير من أبناء مصر، وكان الإمام الشافعي يزورها من وراء حجاب ، وكذلك قصدها الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) حفرت قبرها بنفسها وصلت فيه عدة مرات ، وقرأت فيه القرآن الكريم كاملا عدة مرات، توفيت سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م[٣٦].

وكانت **فاطمة النيسابورية** من ذوى الزهد والورع حجت أكثر من مرة وهى ماشية على قدمها من بيت المقدس إلى مكة ، وكانت معاصرة للعالم المصري ذي النون وكانت على قدر كبير من العلم حيث تفقهت فى الدين ، توفيت سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م[٣٧] .

ومن عالمات القرن الثالث الهجري **آمنة الرملية** ، كانت أكثر علماء زمانها يترددون عليها ينهلون من علمها ، وكانت معاصرة للأمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ وكانت تزوره[٣٨] .

وكانت **السيدة زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي** من النساء اللاتي ساهمن بدور كبير فى الحياة الثقافية خلال العصر العباسي ، قيل أن أسمها آمنة ، وأمة

الواحد[٣٩] فلقبها جدها المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها ، تزوجها الخليفة هارون الرشيد سنة ١٦٩هـ/ ٧٨١م وهى أم الخليفة الأمين[٤٠].

تميزت زبيدة بسعة الأفق حتى فى الأمور الفقهية ، وكانت ذات دين وفضل تقرأ القرآن الكريم وترتله فضلا عن ذلك شجعت العلم وقراءة القرآن ، وكان لها مائة جارية تحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع فى قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن الكريم[٤١]توفيت زبيدة ببغداد سنة ٢١٦هـ/٨٣١م[٤٢].

ومن عالمات القرن الرابع الهجري **أمة الواحد المحاملى** بنت القاضي أبى إسماعيل عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضبي المحاملى ، كانت من أهل الدين والصلاح قرأت القرآن الكريم وحفظته مجودا ، وبجانب ذلك تعلمت الفقه والنحو وعلم الفرائض وأتقنتها جميعا ، درست فى منزلها للنساء وبلغت فى الفقه مكانه مرموقة حيث كان النساء فى قطرها لا يحتجن إلى سؤال أحد العلماء فى أمور دينهن ، توفيت ببغداد سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م[٤٣] .

وفاطمة بنت زعبل وهى فاطمة أم الخير كانت أوحد زمانها فى علم الحديث، ولها مشاركة فعالة فى العلوم الدينية ، روت صحيح مسلم ، وعملت بالفقه والفرائض ، وكانت تميز بين المسند والمرفوع والمعنعن والمرسل والمنقطع والموضوع والمتواتر ، والغريب والمسلسل والمصحف ، هذا بجانب علمها بالنحو ، توفيت ببغداد سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م[٤٤] .

وفى بلاد المغرب برع من النساء **أم العز العبدرية** التى كانت تدرس القراءات السبع وصحيح البخاري[٤٥] وأم هانى ابنة القاضي عبد الحق بن عطريه التى

درست على والدها وأخذ الناس عنها العلوم ، ولها تأليف فى الوعظ والإرشاد ، ومنهن السيدة خيرونة الفاسية العالمة الصوفية التى أخذت التصوف عن الإمام عثمان السلالجى صاحب الطريقة البرهانية ، وشيخ أهل فاس فى عصره[٤٦] .

أما عن دور المرأة فى العلوم الأدبية :

فقد اشتهرت كوكبة من النساء فى هذا المجال وأبدعن إبداعا كبيرا فى ستة فروع من العلوم الأدبية من شعر وأدب وخطابة وبلاغة بجانب علوم اللغة خاصة النحو وأمثلة ذلك :

عمرة بنت مرداس بن أبى عامر، أمها الخنساء . كانت عمرة شاعرة مثل أمها، وقد برعت فى شعر الرثاء، توفيت فى خلافة معاوية [illegible] سنة ٤٨هـ/ ٦٦٨م[٤٧]

وكذلك **ميسون بنت حميد بن بحدل الكلبية** . كانت [illegible] جميلة الأوصاف ، فائقة الجمال ، وهى من بادية العرب ، من أهل الحسب من [illegible] كلاب الأنجاب تزوجها معاوية بن أبى سفيان ، وأنجبت له يزيدا . كانت [illegible] الشعر وتنشده ، توفيت ميسون فى خلافة ابنها يزيد[٤٨] .

ومن المتكلمات الخطيبات البليغات من نساء العرب [illegible] **أم الخير ابنة الحريشى بن سراقة البارقيه** . كانت قد وقفت مع جنود الخليفة على بن أبى طالب رضي الله عنه قبل لقاءهم مع جنود معاوية فى معركة صفين وقالت قصيدة بلاغية حماسية ، ظلت بالكوفة حتى توفيت بها[٤٩] .

ومن الأدبيات **عكرشة بنت الأطروش بن رواحة** ، كانت فصيحة الألفاظ رقيقة أدبية حرة المنطق ذات عقل وافر، جامعة بين الشجاعة والأدب ، حضرت حرب صفين أيضا وألقت الخطب الحماسية البليغة تحرض جنود على لقتال أتباع معاوية ، ولما تولى الخلافة معاوية غدت عليه فسألته رد الصدقات ، فأمر برد صدقاتهم وأنصفها ، وبقيت مكرمة فى قومها إلى أن توفيت فى خلافة معاوية (٤٠-٦٠هـ)[٥٠] .

وكانت **بكارة الهلالية** من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والفصاحة والشعر والنثر والخطابة ، حضرت مع الخليفة على فى حرب صفين . ولها فيها مقالات حماسية جعلت من يسمعها يقبل على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب .

أما **درامية الحجونية** ، فكانت فصيحة اللسان بليغة البيان غير هيابة المقال لا يسألها أحد سؤال إلا جاوبته بأحسن جواب وأقنع خطاب وصلت إلى درجة كبيرة من الجرأة الأدبية وساعدها على ذلك فصاحة اللسان وبلاغة البيان ، وصدق القول[٥١] .

أما **عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية** ، فكانت على قدر كبير من الثقافة والمعرفة ، وكانت من الشاعرات القليلات اللاتي لا يقلن الشعر إلا لأغراض سامية ، ولها فى ذلك شعر كثير، كانت من النادرات اللاتي يقرأن ويكتبن ، تزوجت عبد الله ابن أبي بكر واستشهد فى الطائف ، ثم تزوجها الخليفة عمر بن

الخطاب ﷺ، سنة ١٢هـ واستشهد ، ثم تزوجها الزبير بن العوام وقتل في واقعة الجمل سنة ٣٦هـ ، ثم تزوجها محمد بن أبي بكر الصديق ، وقتل بمؤامرة من معاوية سنة ٣٧هـ ، وأراد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ أن يتزوجها إلا أنها أدركت أن ذلك شفقة منه فرفضت ، وكان المسلمون يرددون من أحب الشهادة فليتزوج عاتكة[٥٢] ، توفيت عاتكة في خلافة يزيد بن معاوية سنة (٦١-٦٤هـ) .

وكانت ليلى الأخيلية من النساء المتقدمات في الشعر خلال العصر الأموي وبجانب ذلك كانت حافظة لأنساب العرب وأيامهم وأسفارهم ، وكانت دائما على اتصال بعلية القوم من خلفاء وأمراء مثل معاوية ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وهذا إن دل على شئ إنما يدل على مكانتها الاجتماعية والأدبية وساعدها على ذلك ما تميزت به من فصاحة وبلاغة ، توفيت ليلى الأخيلية سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م بالقرب من حلوان في مدينة قومس على جانب الفرات بالعراق[٥٣] .

وكذلك لبانة ابنة ريطه بن علي بن عبد الله بن طاهر كانت من أحسن النساء عقلا وأعظمهن أدبا فصيحة البيان عذبة اللسان شاعرة ، تزوجها محمد الأمين بن هارون الرشيد ، توفيت في خلافة المأمون العباسي (١٩٨-٢١٨هـ) [٥٤]

ومن شاعرات العصر العباسي " علية ابنة المهدي العباسية " وهي أخت الخليفة هارون الرشيد العباسي ، كانت من أحسن نساء عصرها وجها ، وأظرفهن خلقا ، وأوفرهن عقلا ، ذات صيانة وأدب بارع ، تزوجها موسى بن عيسى العباسي، وكان هارون الرشيد يبالغ في إكرامها واحترامها ولها ديوان شعر، وكانت عليه قد

ولدت سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م وعاشت خمسين سنة وتوفيت سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٠م فى خلافة ابن أخيها المأمون العباسي(٥٥) .

ومن النساء اليمنيات البارزات في علوم اللغة **صفية بنت المرتضى محمد بن الهادي** (٢٩٨-٣٠١هـ) اشتغلت بالعلم منذ شبابها ودرست على يد والدها ، ونبغت فى علم النحو الذى برزت فيه وتصدت للتدريس ولها رسائل جيده منها رسالة فى الجواب الوجيز على صاحب التجويز ، وكانت تناظر العلماء(٥٦) .

من شهيرات النساء فى بلاد المغرب الشاعرة خديجة المعافرى ، التي عرفت باسم **خدوج الروصفية** ، فقد اشتهرت بأدبها وفصاحتها وشعرها الرقيق(٥٧) .

وقد ظهر في عهد عبد المؤمن الموحدى عدد من الأديبات المجيدات اللاتي اقتحمن ميادين المعرفة منهن الشاعرة **حفصة ابنة الحاج الركونى** ، يقول لسان الدين ابن الخطيب أنها كانت فريدة الزمان فى الحسن والظرف والأدب واللوذعية أديبة نبيلة جيدة البديهة سريعة الشعر(٥٨) ويضيف ياقوت أنها كانت مشهورة بالحسب والنسب والأدب والجمال ، ولبثت تعلم النساء فى دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن على الموحدى ، وقد تولع بها وتغير بسببها على الوزير أبى جعفر أحمد بن عبد الملك(٥٩)

المرأة والجهاد :

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : " استأذنت النبيﷺ في الجهاد فقال : جهادكن الحج(٦٠) لذا قال العلماء لا يجب الجهاد على النساء ولكن من

عرفه يحصل لهن في معرفته الأجر وقد يحتجن إليه في بعض الأوقات والحضارة الإسلامية حافلة بمواقف مشرفة لجهاد المرأة المسلمة فعلى الرغم من عدم وجوبه عليها فقد حرصت على المشاركة فيه طلبا للتحرر وحرصا على الشهادة ومثال لذلك:

السيدة نسيبة بنت كعب المازنية " أم عمارة " التي يفخر بها التاريخ الإسلامي ويعتز بها كل مسلم مجاهد ، التي دافعت عن الرسول ﷺ يوم أحد حتى قال الرسول ﷺ فيها : "ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني " فقد خرجت مع المسلمين في غزوة أحد تسقى وتداوى الجرحى حتى إذا دارت الدائرة على المسلمين ، وفر من فر ، وقتل من قتل وظن الكثيرون أن الرسول ﷺ قتل تركت السقاء وأمسكت سيفا وأخذت تدافع عن الرسول ﷺ دفاعا شديدا لا تلقى بالا لضربات المشركين ولا طعناتهم حتى صار جسمها من جميع نواحيه يقطر دما وهى غير مكترثة بما يصيب أولادها وزوجها من الهلاك ، فهمها الأكبر هو سلامة رسول الله ﷺ لذا دعا الرسول ﷺ لها ولأهلها قائلا : "اللهم اجعلهم رفاقي في الجنة"[٦١]

وعن الربيع بنت معوذ رضى الله عنهما قالت :"كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقى القوم ونخدمهم ونردوا الجرحى والقتلى إلى المدينة "[٦٢] .

وكانت السيدة صفية عمة الرسول ﷺ ضمن المجاهدات في غزوة الأحزاب سنة ٥هـ/ ٦٢٦ م ، فلما وضع الرسول ﷺ النساء والصبيان في حصن بنى حارثة حتى لا يصيبهم السوء بعدما نقض اليهود عهدهم وخانوا المواثيق وانضموا لكفار قريش والعرب فكان في الحصن حسان بن ثابت ، فمر بهم يهودي يطيف بالحصن قالت السيدة صفية لحسان : إن هذا اليهودي يطيف يا حسان بالحصن كما ترى

وأنى والله ما آمنة أن يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود ، ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا ، فانزل إليه فاقتله قال حسان : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، فأخذت صفية عمودا ونزلت من الحصن وضربت به اليهودي حتى قتلته[٦٣] ويذكر أن السيدة صفية جاءت يوم أحد وقد انهزم الناس وبيدها رمح تضرب فى وجوههم ورآها النبيﷺ فقال لولدها " الزبير" يا زبير ..... المرأة !! أي أدركها لتحميها حرصا منهﷺ على عمته أن تصاب بسوء ، توفيت السيدة صفية رضى الله عنها فى خلافة عمر بن الخطابﷺ سنة ٢٠هـ ودفنت بالبقيع وعمرها بضع وسبعون عاما[٦٤] .

وكانت أم حكيم بنت الحارث وهى زوجة عكرمة بن أبى جهل أسلمت قبله يوم الفتح ، وهرب عكرمة فأخذت له أمانا من الرسولﷺ وعاد وخرجت معه إلى الشام لما غزا وقتل عنها بأجنادين سنة ١٣هـ ، فأكملت العدة وتزوجها خالد بن سعيد بن العاص على أربعمائة دينار فلما نزل المسلمون فى مرج الصفر – من أعمال دمشق – أراد خالد بن سعيد بن العاص أن يعرس بها ، فأعرس بها عند القنطرة التى بمرج الصفر ، فسميت قنطرة أم حكيم ، وأعد وليمة ودعا أصحابه على الطعام فلما فرغوا صفت الروم صفوفها ، برز خالد بن سعيد حتى قتل ﷺوشدت أم حكيم عليها ثيابها وظهرت وعليها درع الخلوق ، فاقتتلوا أشد القتال على النهر، وقتلت أم حكيم سبعة رجال بعمود الفسطاط الذى بات فيه خالد ليلة عرسه ، ثم تزوجها عمر بن الخطابﷺ فولدت له فاطمة بنت عمر[٦٥] .

وعن أنس ﷺ قال : " لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم وأنهما لمشمرتان أرى حزم سوقهما بالخلاخيل تنتقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئانه فتفرغانه فى أفواه القوم[٦٦] .

وعن أنس ﷺ أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرا ، فكان معها فرآها طلحة ، فقال يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجرا فقال لها رسول الله ﷺ : ما هذا الخنجر ؟ قالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه ، فجعل رسول الله ﷺ يضحك قالت : يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك فقال رسول الله ﷺ : "يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن"[٦٧] .

وفى موقعة اليرموك سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م كان لنساء المسلمين دور بارز فقد جعلهن خالد بن الوليد من وراء الجيش ومعهن عدد من السيوف وغيرها ، قال لهن: "من رأيتموه فاقتلنه" ، وكذلك حرضهن أبو سفيان قائلا من رأيتنه فارا فاضربنه بهذه الحجارة والعصى حتى يرجع ، فكانت النساء تستقبل من انهزم من الناس بضربهم بالخشب والحجارة وجعلت خوله بنت تعلبة تقول :

يا هاربا عن نسوة نقيات   فمن قليل ما ترى سبيات

لا حصيات ولا رضيات

فكان الرجل من هؤلاء يرجع إلى موقفه فى القتال فكان موقف النساء فى هذه المعركة من أعظم المواقف خيرا وبركة على المسلمين .

أما هند بنت عتبة فهي سيدة قريش وبنت أكبر سادتها ، لما أسلمت تحولت من الطغيان والغرور إلى السماحة والإخلاص حتى أنها حاربت فى عدد من الغزوات ، وكانت تشجع المسلمين وتحثهم على الجهاد فى سبيل الله ، فقد رفعت راية الإسلام فى معركة اليرموك وحرضت فى المسلمين المرتدين واإسلاماه .. واإسلاماه ... واإسلاماه .

وفى معركة اليرموك كانت تهتف عضضوا القلفان يا معشر المسلمين (أي قاتلوا في سبيل الله بسيوفكم) وكانت تقود كتيبة النساء المسلمين التى قاتلت يوم اليرموك قتالا شديدا .

ويصف الزبير بن العوام موقف هند الشجاع في اليرموك بقوله : استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت إلى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ؟ ، ونظرت إلى أبى سفيان منهزما فضربت وجه حصانه بعمودها فقالت : إلى أين يا أبا حرب ؟ ارجع إلى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص عنك ما قد سلف منك من تحريضك على رسول الله ﷺ فعاد أبو سفيان عندما سمع كلام هند إلى ساحة المعركة وعاد المسلمون معه ، وحملت النساء على الروم معهن وهن يسابقن المسلمين وهن بين أرجل الخيل ، وكانت المرأة منهن تقبل إلى العلج العظيم "الرجل الضخم" وهو على فرسه فتتعلق به فلا تفارقه حتى تسقطه عن الجواد ثم تقتله وتقول هذا بيان نصر الله(٦٨) .

وكانت المجاهدة المسلمة لا تضن بنفسها أو بأولادها فى سبيل الله بل تحثهم وتبث فيهم روح الجهاد والاستشهاد راجية من المولى عز وجل أن يتقبلهم بقبول

حسن فلا خوف ولا جزع على موتهم ، ولكن استبشار باستشهادهم مثل الخنساء التى خرجت فى معركة القادسية سنة ١٦هـ تطيب وتواسى وتحمل الماء فأبلت بلاء حسنا وقد خرج معها بنوها الأربعة فنادتهم وقالت لهم : "يا بنى أنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو أنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم،وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا إن الدار الباقية خير من الدار الغائبة يقول الله عزوجل:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[٦٩].

فان أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله علي أعدائه مستنصرين" .

حتى إذا دارت رحى الحرب قتلوا جميعا فلما وصل إليها الخبر لم تبد جزعا ولم تزد عني قولها: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجوا إن يجمعني بهم في مستقر رحمته[٧٠] .

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ شاركت المرأة في الجهاد ومثال لذلك أم حرام بنت ملحان بن خالد من بني نجران، هي خاله أنس بن مالك وهي زوجه عبادة بن الصامت ،كان الرسول ﷺ يزورها ويقيل في بيتها ،قال ﷺ وهو عندها "عرض علي ناس من أمتي يركبون البحر ملوكا " قالت فأدع الله لي أن أكون منهم فدعا لهم ثم قال لها أنت من الأولين ،ولما ولي الخلافة عثمان بن عفان ﷺ جهز

جيشا مع معاوية إلى فتح جزيرة قبرص فخرجت أم حرام مع زوجها عباده بن الصامت غازيه فلما وصلوا إلى جزيرة قبرص وخرجوا إلى البر وخرجت أم حرام من البحر فقدموا إليها دابة لتركبها فركبت ولم تستقر حتى صرعتها ، ووقعت إلى الأرض وماتت ودفنت في جزيرة قبرص وكان ذلك سنه ٢٨هـ(٧١) .

وقد شهد عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمثلة كثيرة لنساء مجاهدات شاركن في الحروب البعض منهم بإلقاء الخطب الحماسية وسط الجنود والبعض حملن السلاح وحاربن بين الرجال فكانت **بكارة الهلالية** من النساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والفصاحة والخطابة ،حضرت مع الإمام علي رضي الله عنه في حرب صفين سنه ٣٧هـ ولها هناك مقالات حماسية جعلت من سمعها يقبل علي الحرب دون مبالاة بالعواقب(٧٢) .

وكذلك **دارمية الحجونية** كانت فصيحة اللسان بليغة البيان غير هيابة المقال لا يسألها أحد سؤلا إلا جاوبته بأحسن جواب واقنع خطاب ،كانت تلقي الخطب الحماسية في ضوء جنود علي أثناء معركة صفين فبعث لها معاوية بعد إن تولى الخلافة وسألها : علام أحببت عليا وابغضتني وواليتني؟ قالت : "أو تعفيني قال لا أعفيك" قالت : "أما إذا أبيت فأنى أحببت عليا علي عدله في الرعية وقسمته بالسوية ،وابغضتك علي قتال من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك به حق،وواليت عليا علي ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء وحبه للمساكين وإعظامه لأهل بيته، وعاديتك علي سفك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى"(٧٣) .

وكانت عكرشه ابنه الاطروش بن رواحة فصيحة الألفاظ رقيقه أديبه حره المنطق ذات عقل وافر جامعه بين ميزتي الشجاعة والأدب حضرت حرب صفين والقت الخطب البليغة فمما قالت وهي واقفه بين الصفين تحرض جيش علي بن ابي طالب ﷺ: "أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إن الجنة لا يرحل من أوطانها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها وابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا مستبصرين في دينكم مستظهرين بالصبر علي طالب حقكم إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة ودعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم في الباطل فلبوه فالله الله الله عباد الله في دين الله إياكم والتواكل فإن ذلك ينقص عز الإسلام ويطفئ نور الحق هذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى يا معشر المهاجرين والأنصار امضوا علي بصيرتكم واصبروا علي عزيمتكم فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير"[٧٤] .

أما أم الخير ابنة الحريش ابن سراقه البارقيه فكانت من المتكلمات البليغات من نساء العرب وقفت بين جنود علي ﷺ في معركة صفين سنه ٣٧هـ والقت خطبه حماسية بليغة قالت فيها: "أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزله الساعة شئ عظيم إن الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبل و رفع العلم ولم يدعكم في عمياء مدلهمه فأين تريدون رحمكم الله افرارا عن أمير المؤمنين أم فرار من الزحف أم رغبه عن الإسلام أم ارتداد عن الحق أما سمعتم الله عزوجل يقول:


﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[٧٥]

هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضي النقي التقي والصديق الأكبر أنها احسن بدريه وأحقاد جاهلية وسيدها وأنت حين الغفلة ليدرك ثارات ابن عبد شمس ثم قالت قاتلوا أئمة الكفر انهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون صبرا يا معاشر المهاجرين والأنصار قاتلوا علي بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكان بي رغدا ولقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قصوره لا تدري أي يسلك لها من محاج الأرض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلال بالهدي وعما قليل لا يصبحن نادمين حين تحل لهم الندامة ... " قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمه الله[٧٦] .

وخلال العصر الأموي كانت هناك أمثله للنساء المجاهدات منهن غزاله الحورية وأم شبيب حيث ثارتا مع شبيب بن يزيد يحاربن معه جنبا إلى جنب عندما ثار زوجها ضد عبد الملك بن مروان سنه٧٦ هـ وقد أرسل إليها الحجاج جيوشه عدة مرات لإخضاعه إلا انه تغلب علي معظم القواد الذين أرسلوا إليه وقتلهم حتى سار الحجاج بنفسه لمحاربته فالتقي معه واشتد القتال وتكاثروا عليه فانهزم وكانت زوجته غزاله وقد نذرت إن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورتي البقرة وال عمران فجاهدت حتى تحقق لها ذلك وهرب الحجاج أمامها في إحدى المعارك وقد عيره الشعراء بذلك[٧٧] .

وكانت ليلى بنت طريف الشيباني يقال لها الفارعه أخت الوليد ابن طريف الشيباني الخارجي الذي خرج علي الرشيد فأرسل إليه يزيد بن مزيد الشيباني فظهر عليه وقتله سنه ١٧٩هـ / ٧٩٥م وكانت أخته (الفارعه) .

من شعراء العرب وكانت من الفروسية علي جانب كبير ولما قتل أخوها صبحت القوم وعلي جسدها الدرع وعدة الحرب وجعلت تحمل علي الناس ومن شجاعتها وفروسيتها قال القوم إن الوليد قد قتل وليست هذه إلا أخته ليلى لأنها تشابهه بالفروسية ، فخرج إليها يزيد بن مزيد وضرب بالرمح غطاء فرسها وقال اغربي غرب الله عليك قد فضحت العشيرة فاستحييت وانصرفت(٧٨) .

وأثناء ولاية احمد بن طولون علي مصر خرج عليه رجل علوي يدعي بن الصوفي العلوي وتمكن من هزيمة فرقه أرسلها إليه ابن طولون ومثل بجثة قائدها ابن يزداد مما اضطر احمد ابن طولون إلى إرسال قائدين من قواده تمكنا من هزيمة ابن الصوفي وهرب إلى الواحات ، وفي هذه الثورة شاركت المرأة بالفعل في ميدان الحرب فمنهم "نغمه" وهي من قبيلة العلويين بصعيد مصر وهي أم الثائر العلوي بن الصوفي وخرجت لمواجه جيوش بن طولون بالقرب من مدينه إسنا(٧٩) .

هذه أمثلة لمشاركة المرأة في الجهاد والحرب تدل علي شجاعتها ووقوفها إلى جانب الرجل مدافعه صامدة خالصه لعقيدتها مندفعة في سبيلها وقد أظهرت المرأة دروب من الشجاعة والتضحية مثلا اعلي فأول شهيدة في الإسلام هي سميه أم عمار بن ياسر ماتت شهيدة ولن تتراجع عن عقيدتها مخلصه لدينها الحنيف وأول امرأة تقف إلى جانب الرسول ﷺ مؤمنه صادقه شجاعة هي السيدة خديجه رضي الله عنها كذلك وقفت فاطمة بنت الخطاب موقفا جليلا لنصره الإسلام مؤمنه دون إن تهاب أو تخاف أخاها عمر بن الخطاب ومن لم يهب عمر بن الخطاب في وقتها؟

ذهبت المرأة إلى ساحة المعركة جنبا إلى جنب مع الرجل تضمد جراحهم أو تسقي عطشاهم وتثير هممهم ، بل لقد حملت بعضهن سيوفهن وقاتلن قتال الأبطال .

محاربة الإسلام للتشاؤم من البنات ووأدهن .

كان العرب قبل الإسلام يفضلون الذكر علي الأنثى لأنه هو القادر علي حمل السلاح والدفاع عن حقوق القبيلة ، لذا انتشرت ظاهره وأد البنات .

وكانوا يتشاءمون بمولد الأنثى مخافة الفضيحة والعار والفقر، وقد أشار القرآن إلى مشاعر العرب نحو المرأة بقوله تعالي:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾(٨٠) .

وقد دفع تشاؤم العرب بمولد البنات إلى وأد الإناث ، وقد جاء القرآن الكريم مجرما هذه الجريمة ، وذلك قولة تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾(٨١).

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى الوالدين مطمئناً إياهم على أرزاقهم بالا يقتلوا أولادهم خشية الفقر ويقول تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾(٨٢)

ولهذا قوله تعالى:

﴿ ... وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (٨٣)

كما بايع الرسول ﷺ النساء على ألا يقتلن أولادهن .

تقرير حق المرأة في الميراث:-

قرر الإسلام حق المرأة في الميراث سواء كانت بنتاً أو أختاً أو أماً أو عمتاً أو زوجة كما زكى في آيات كثيرة في القران الكريم بعد إن كانت محرومة منه ، وقد جاء تقرير حق المرأة في الميراث فريضة من الله لا يأكل منها شيئاً إلا باغ أثيم ، يقول الله تعالى :

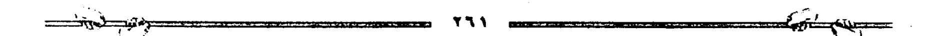
﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾[٨٤].

تكريم الإسلام للمرأة في أطوار حياتها :-

اوصى الإسلام بتكريم المرأة وهي بنت فقد قال الرسول ﷺ :"من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين في الجنة وضم أصابعه"[٨٥] ، وفي حديث آخر يقول ﷺ"من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة"[٨٦] .

كما قرر الإسلام عدم جواز عضل أولياء البنات لمن هن تحت ولايتهن طمعا في أموالهن ، والعضل هو منع البنات من الزواج يقول تعالي:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ... ﴾[٨٧]



كما قرر الإسلام عدم جواز إكراه البنات وإجبارهن علي الزواج بمن يريده أوليائهن حرصا علي مال وفير أو جاه رفيع،وإنما تقبل البنت علي الزواج برضاها كالرجال.

فكانت المرأة العربية هي التي تختار زوجها في كثير من الأحيان كما حدث لخديجه بنت خويلد فقد خطبت الرسول ﷺ لما كان يتصف به من أخلاق سامية والملقب بالأمين ، وهي تعلم علم اليقين قله ما في يده من المال (٨٨) .

وكان من حق النساء إن يجلسن إلى خطابهن من الرجال كما كان لهن الحق في تطليق أزواجهن(٨٩) .

وجاءت الخنساء بنت خزيمه الأنصارية إلى النبي ﷺ وقد أراد أبوها أن يزوجها من ابن عمها قسرا ،فقالت يا رسول الله :إن آبي زوجني من ابن أخيه ليرفع خسيسه ومالي رغبه فيما صنع لي ، فقال ﷺ "اذهبي فلا نكاح له أنكحي من شئت" وتقدم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وهو خليفة المسلمين إلى السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق يخطب أختها أم كلثوم فترفض أم كلثوم هذه الخطبة وتقول لأختها :"إنما أريد فتي من قريش يصب علي الدنيا صبا . وكان عمر ضيق العيش فإن دل هذا علي شئ فإنما يدل علي ما كان للمرأة من رأي واضح في الزواج وفي اختيار زوجها المناسب بغض النظر عن منصبه"(٩٠) .

وفي الحديث النبوي يقول ﷺ :"لا تنكح الثيب حتى تستأمر ولا البكر إلا بإذنها قالوا يا رسول الله وما إذنها قال: "أن تسكت"(٩١) .

تكريم الإسلام للمرأة وهي زوجة:

حث الإسلام علي الزواج واعتبره خير متعه للإنسان إذ جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ :تزوجوا الإبكار فإنهن أعذب أفواها وانتق أرحاما وارضي باليسير. كما شجع ﷺعلي كثره الإنجاب بقوله ﷺ"تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم" ومن الصفات المستحبة في المرأة الجليلة ، المطيعة الأمينة ذات الوفاء كما ورد في الحديث النبوي قوله ﷺ"خير النساء إن نظرت إليها سرتك وان أمرتها أطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها "ورغب الرسولﷺ الزواج من المرأة المتدينة وقال ﷺ:"تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها وحسبها ولدينها فأظفر بذات الدين تربت يداك"

وإما المرأة التي حذر الرسولﷺمن زواجها فهي المرأة التي نشأت وترعرعت في بيت سوء ، وقالﷺ:" إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قالﷺ المرأة الحسناء في منبت السوء" (٩٢) وقد جعل الإسلام مهور الزواج حقا خالصا للزوجات يقول الله تعالي:

﴿ ...فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾(٩٣)

كما جعل الإسلام من حقوق الزوجة علي زوجها حسن المعاشرة ،يقول تعالي:

﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ... ﴾(٩٤) .

وجعل الإسلام للزوجة حقوق علي زوجها مقابل الواجبات التي عليها له يقول تعالي:

﴿ ... وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾(٩٥).

فالزوج مأمور بحفظ كرامتها وصون آدميتها ومعاملتها بالحسني والشفقة ، وحرية التصرف في أموالها وجعل أمرها بيدها تطلق نفسها متي شاءت إلى غير ذلك مما يرفع شانها . ويقول ﷺ عندما سأله سائل " ماحق زوجه أحدنا علينا قال : "إن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت"[٩٦]

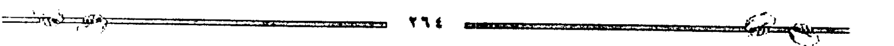
أما بالنسبة للطلاق .

يقول تعالي ﴿ ... فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَـٰنٍ ... ﴾[٩٧]

علي هذه القاعدة سار المسلمون في حياتهم الزوجية فإن اختلفت حياه الزوجين وأصبحت لا تطاق وبدأ كل واحد منهما ينفر من الآخر حتى تصبح ساعات حياتهم لا تطاق لذا أحل الإسلام الطلاق إلا أنه بغضه بغضا شديدا لأنه يهدم عائله ويشرد أطفال ويحرمهم من حنان الأبوين الذي لا يمكن تعويضه مطلقا وقد أوضح الرسول ﷺ أنه أبغض الحلال عند الله بقوله "أبغض الحلال عند الله الطلاق"[٩٨] وقد نظم الإسلام قضيه الطلاق بما يمنع تعسف الرجل واستبداده فجعل للطلاق حدا لا يتجاوزه الرجل وهو الثلاث وكان عند العرب غير محدود بحد يقف عنده كما أتضح ذلك من قوله تعالي ﴿ ... ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ... ﴾[٩٩] فطلاق الزوج في المرتين الأولى والثانية طلاق رجعي يمكنه إذا ندم إن يراجع زوجته .

وقد رغب الإسلام في أعاده الحياة الزوجية بين المطلق ومطلقته وقد عبر القرآن عن الرجعة بالرد بقوله تعالي:

﴿ ... وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ... ﴾[١٠٠]



أي إن المطلقين إن يراجعوا مطلقاتهم خلال فتره عدتهن غير إن الإسلام قد قيد الرجعة بإرادة الإصلاح لا علي وجه الإضرار فإذا استعمل الزوج حقه في الطلاق للمرة الثالثة هنا يصبح طلاقه بينا بينونة كبري لا تحل له المطلقة من بعد حتى تتزوج غيره ، يقول الله تعالي:

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ... ﴾(١٠١).

تعدد الزوجات:

تحدثنا عن أمور كثيرة عن الزواج وكذلك الطلاق ، ونتحدث هنا عن نظام تعدد الزوجات في المجتمع العربي الإسلامي لأن كل منهما مرتبط ارتباط وثيقا بالآخر ، ولقد كان تعدد الزوجات معروفا عند العرب قبل الإسلام ، ولم يكن هناك حد يقف عنده الرجل ، فقد بجرح عشر نساء وان اكتفى أكثرهم بواحدة ، ولما جاء الإسلام قصر على الرجل الزواج بأربع ، بشرط القدرة على النفقة على الجميع ، وفرض الإسلام فيه العدل الشامل ، واجتناب انسياق النفس في ميلها وهواها ، واتقاء ما من شأنه أن يسير الحقد والضغينة بين الزوجات . إذ قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾(١٠٢)

ثم يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ ... ﴾(١٠٣).

كان المجتمع العربي قبل الإسلام في ظروف اجتماعية ساعدت على نظام تعدد الزوجات فكان للبيئة أثرا فعالا في هذا النظام ، حيث كان نظام البنوة سائدا والبنون فيه زينة الحياة ، وفخر المرأة الإنجاب ، وفخر الرجال الولد وعزة النفس وكان النظام القبلي في أمس الحاجة إلى عدد كبير من الأفراد ، إذ قوة القبيلة واحترامها بعدد نفوسها ، ولما جاء الإسلام ورث هذا النظام ، فكان استشهاد على كبير من الرجال قد أدى إلى وفرة عدد النساء ، كما أن المسلمين اخذوا يزوجون من نساء الأعاجم ولكن الخليفة عمر اضطر إلى وضع ذلك ، هذا بجانب حاجة الأمة إلى عدد كبير من الأفراد حفاظا على كيان الأمة ، بجانب أن الاقتصار على زوجة واحدة في أوائل الإسلام سيؤدى إلى حرمان عدد كبير من النساء من الأزواج ، وهذه ظاهرة غير محمودة إذ أن المرأة بحاجة إلى رجل يرعاها ويعيلها ، وزواج المرأة من رجل ذا زوجات حير من أن يسلك سبيلا آخر(١٠٤) .

الرق:

الرق في اللغة الضعيف ومنه رقة القلب ، وعند فقهاء الإسلام ضعف معنوي وعجز حكمي ، وأيضا يعنى العبودية والرقيق العبد ، ورق فلان أي صار عبدا وقبل سمى العبيد رقيقا لأنهم يرقون لمالكهم ويخصون وجمع الرقيق أرقاء(١٠٥) .

أما الرق في الاصطلاح : فهو عجز حكمي شرع في الأصل جزاء عن الكفر ، أما أنه عجز فلأنه لا يملك ما يملكه الحر من الشهادة والقضاء وغيرهما ، وأما أنه حكمي لان العبد قد يكون أقوى في الأعمال من الحر(١٠٦) .



والرقيق كلمة عامة تطلق على من فقد حريته من الناس وأصبح ملكا لغيره مع ملاحظة أن المسترق الأبيض كان يدعى مملوكا ، أما الأسود فكان يدعى عبدا(١٠٧) .

وسببه أن الناس قد حزوا على التنازع والشقاق والتنافس ، وذلك بطبيعته مفضى إلى القتال واستئصال الغالب شأفة المغلوب واحتوائه على ما في حوزته من ناطق وصامت وماله من نساء وأموال(١٠٨) .

والرق معروف منذ أقدم عصور التاريخ ، حيث عرفته الأمم المختلفة قبل الإسلام وبعده ، حيث يعتبر نظام الرق من أهم النظم في المجتمعات القديمة قاطبة ، فقد كانت شعوب العالم هي شعوب الحضارات القديمة من المصريين والبابليين والفرس والهنود واليونان والرومان والعرب وغيرها تتخذ الرقيق وتستخدمه في أشق الأعمال وتعامله بالشدة والقسوة(١٠٩).

والعرب في الجاهلية مثلهم مثل سائر الأمم الأخرى عرفوا الرقيق عن طريق الأسر في الحرب أو عن طريق الشراء وكانت قريش تتجر بالرقيق مثل اتجارها بسائر السلع وكان من أشهر تجار الرقيق بها عبد الله بن جدعان (١١٠) وكان العربي إذا اشترى عبدا وضع في عنقه حبلا وقاده إلى منزله مثل الدواب(١١١) وقام العبيد بجميع المهن واستخدمتهم بعض القبائل في القتال ، ومثال لذلك بنى المغيرة كان لهم فرقة عسكرية في الجيش قبل الإسلام ، وقد حاول المسلمون إشراكهم في غزوة حنين ولكن الرسول ﷺ قال : "لا خير في الجيش إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا"(١١٢)

وحرم الأرقاء في الجاهلية من كافة الحقوق المدنية ومن التصرف في شئونهم الخاصة، غير أن العرب في الجاهلية كانوا يعتقون عبيدهم لأسباب كثيرة منها إذا قام العبد بعمل عظيم ، أو بشجاعة في القتال أو لإخلاصه الشديد لمولاه ، أحيانا يطلق السيد عبده بدون دية وهو ما يسمى بالسائبة(١١٣) .

ثم جاء الإسلام فاحتفظ بنظام الرقيق القديم ولم يزله ، غير أن الإسلام هذب هذا النظام وقبله كشر محتوم (١١٤) ، وسار في إلغاء الرق شوطا بعيدا ، فقد وضع من الأسس ما لو سارت سيرها الطبيعي لقضت على الرق منذ زمن بعيد ، والدين الإسلامي لا يبيح أن يسترق مسلم ثم أنه لا يبيح إلا استرقاق أسرى الحرب شرعية لم تقم إلا على إعلاء كلمة الله تعالى على أن تكون مسبوقة باعتداء غير المسلمين عليهم ، فأسرى الحروب التي أقامها كثير من ملوك الإسلام بفرض السلب والنهب والعدوان لا يجوز استرقاقهم بحال سواء كانوا مسلمين أم غيرهم(١١٥) .

ولم يأمر الإسلام بإلغاء الاسترقاق مرة واحدة ولكنها عملت على إنضاب منبعه وتقليل أثرة من الوجود وحصره في حدود ضيقة وهى أن مصدر الرق في الإسلام هم أسرى الحرب المعلنة على الكفار .

وحرص الإسلام على معاملتهم بالحسنى وحذر من إساءة معاملتهم وروى عن الرسولﷺ : "اتقوا الله في الصلاة وفيما ملكت أيمانكم " وقالﷺ "واتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأة " .

وقالﷺ "لا يقولن أحدكم لمملوكة عبدي وأمتي ، ولكن يقول فتاي وفتاتي ، ولا يقول المملوك ربى وربتي ، ولكن يقول سيدي وسيدتي" (١١٦) .

وحبب الإسلام للمسلمين عتق رقيقهم وجعله كفارة عن كثير من الذنوب والآثام فضلا عما فيه من تقرب لله تعالى . قال تعالى :

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ ﴾(١١٧) .

وجاء في الحديث الشريف : "من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من أعضائه من النار حتى فرجة بفرجة" ، كما جعل النبي ﷺ الخادم أخا لسيدة أو ابنا ، وجعل الخادمة أو الجارية أختا لسيدها أو ابنه ، وأوصى وصيته المشهورة :- "إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم في الأعمال ما لا يطيقون ، فان كلفتموهم فأعينوهم "(١١٨) .

وقد عرف المسلمون المساواة بين أشرافهم ومواليهم بمجرد قدوم النبي ﷺ المدينة ، فقد كان حمزة عم النبي هو وزيد مولى الرسول ﷺ أخوين وكان خالد بن رويحه الختمي وبلال بن رباح أخوين ، وكان أبو بكر الصديق وخارجه ابن زيد أخوين(١١٩) .

وتمتع الرقيق بكثير من المميزات فكان للرقيق الذين يشتركون في القتال نصيب في العطاء ، وقد ساوى عمر بن الخطاب بين الحر والعبد في الرزق فجعل لكل منهما مدى حنطه وقسطي زيت وقسطي خل في كل شهر(١٢٠) وكان الوليد بن عقبة ولى عثمان بن عفان بالعراق يقسم للولاية والعبيد مما أدى إلى غضب الأمراء(١٢١).

وكان من حق الرقيق امتلاك الأموال ، بل لهم أن يمتلكوا عبيدا وكان أموال العبيد ترجع إلى سيدهم عند بيعهم أو موتهم ، ولهم أن يعتنقوا ما شاءوا من أديان

والقيام بشعائرهم ، ونبغ عدد من الرقيق فأصبحوا من العلماء والرواة ، وحاز بعضهم ثقة أسيادهم فبرزوا في ميادين التجارة والصناعة والزراعة[١٢٢] .

ومن هذا يتضح أن الإسلام منح الإنسان قدره ، ورفع مستواه وكرمه مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ .... ﴾[١٢٣].

وعنى بالحرية عناية لم يصل إليها أمة من الأمم ، ولا دين من الأديان السماوية ، وسلك في ذلك السبيل أحكم الوسائل وأبلغها أثرا وأصدقها نتيجة ، فضيق روافد الرق التي تمده ، وتكفل له البقاء ، وأكثر منافذ الخلاص منه ووسائل القضاء عليه[١٢٤] .

مصادر ومراجع الفصل الخامس

١. سورة المؤمنون : الآية ١٢.

٢. تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص٣٨٧.

٣. الحجرات : الآية ١٣.

٤. رواه البيهقي في الترغيب والترهيب ، جـ٣ ، ص٦١٢، ٦١٣

٥. رواه البخاري :كتاب الحدود –باب كراهية الشفاعة في الحد

٦. النساء : الآية ٤٠

٧. الزلزلة : الآية ٧، ٨

٨. سورة ص : الآية ٢٦

٩. سورة النساء : الآية ١٣٥

١٠. رواه أبو داود : كتاب الأقضية باب القاضي

١١. سورة التحريم : الآية ٦

١٢. رواه البخاري : كتاب الأدب – باب رحمة الناس

١٣. البقرة : الآية ٢٨٦

١٤. حسن محمد جودة : نظم الحضارة الإسلامية ، ص١٨٣

١٥. النساء : الآية ١

١٦. النساء : الآية ١٢٤

١٧. النحل : الآية ٩٧

١٨. آل عمران : من الآية ١٩٥
١٩. الأحزاب : الآية ٣٥
٢٠. القلم ١ ، العلق آيات ٣-٥ ، فاطر الآية ٢٨
٢١. العلق : الآية ١
٢٢. المجادلة : الآية ١١
٢٣. الزمر: الآية ٩
٢٤. الإسراء: الآية ٨٥
٢٥. فاطر: الآية ٢٨
٢٦. رواه ابن ماجه –باب فضل العلماء ، جـ١، ص٨١
٢٧. البلاذري : فتوح البلدان ، ص٤٥٨
٢٨. صحيح البخاري ، جـ١ ، ص٣٨
٢٩. إبراهيم القلا : الدور الثقافي للمرأة خلال العصرين الأموي والعباسي ، "ندوة المرأة عبر العصور" ، جامعة القاهرة ٢٠٠٠
٣٠. عبد الله الحبشي: دراسات في التراث اليمني ، ص٧٨
٣١. زينب فواز : الدر المنثور، ص٢٣٣
٣٢. ابن سيد الناس : عيون الأثر، ص٣٠١ ، الطبري : الرسل ، جـ١ ، ص٦٧
٣٣. زينب فواز : الدر المنثور، ص٢٣٥
٣٤. الكندي : ولاة مصر، ص٧٢ ، ياسين العمري : الروضة الفيحاء ، ص٦٦-٦٨، زينب فواز : الدر المنثور، ص٢٤٤-٢٤٩

٣٥. الزركلي : الأعلام ، جـ١ ، ص١٦ ، رضوان الجناني : القبائل العربية ، ص١٦١
٣٦. ابن خلكـــان : وفيات ، جـ٥ ، ص٥٦ ، المقريـــزي : الخطط ، جـ١ ، ص٤٤ ، الشعراني : الطبقات الكبرى جـ١ ، ص١٥٦ ، هويدا رمضان : المجتمع المصري ، ص٥٣ ، ياسين العمري : الرضة الفيحاء ، ص٢٦٠
٣٧. زينب فواز : الدر المنثور، ص٣٦٧
٣٨. زينب فواز : الدر المنثور، ص١٧
٣٩. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٣١٥
٤٠. ياسين العمري : الروضة الفيحاء ، ص٢٦٥ ، المسعودي : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٣٨٦.
٤١. زينب فواز : الدر المنثور، ص٢١٥ ، وفاء محمد علي : نفوذ النساء ، ص٣٤
٤٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢،ص٣١٧ ، الذهبي : سير أعلام ، جـ٩ ، ص٢٤
٤٣. ابن العماد: شذرات الذهب ، جـ٣ ، ص٨٨ ، البغدادي : تاريخ بغداد ، جـ٤ ، ص٤٤٢.
٤٤. اليافعي المكي : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص٢٦٠ ، ابن العمـــاد : شذرات ، جـ٤ ، ص١٠٠
٤٥. عفيفي إبراهيم : الحضارة الإسلامية ، ص٢٧٩
٤٦. عفيفي إبراهيم : الحضارة الإسلامية ، ص٢٨٠
٤٧. زينب فواز : الدر المنثور، ص٣٥٢
٤٨. الزركلي : الأعلام ، جـ١ ، ص٢٨٨ ، كحالة : أعلام النساء ، جـ٣ ، ص١٥٢٠

٤٩. زينب فواز : الدر المنثور، ص٥٧،٥٨

٥٠. الخربوطلي : العرب والحضارة ، ص١٢٠

٥١. زينب فواز : الدر المنثور، ص١٨٩

٥٢. السيوطي : تاريخ الحنفا ، ص١٩٠ ، ياسين العمري : الروضة الفيحاء ، ص٢٥، زينب فواز : الدر المنثور، ص٣٢١

٥٣. زينب فواز : الدر المنثور، ص٤٧٥

٥٤. زينب فواز : الدر المنثور، ص ٤٦٥

٥٥. السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص٢٦٨ ، زينب فواز : الدر المنثور، ص٣٥٠

٥٦. عبد الله الحبشي : دراسات في التراث اليمني ، ص٧٥

٥٧. عفيفي إبراهيم : الحضارة الإسلامية ، ص٢٧٥

٥٨. أمان الدين ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ١ ، ص٣١٦

٥٩. ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، جـ٤ ، ص١١٩، ١٢٢ ، عفيفي إبراهيم : الحضارة ص٢٧٥ ، أحمد شلبي : موسوعة الحضارة ، جـ٥ ، ص٢٤٧ ، ٢٤٨

٦٠. وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ سأله نساؤه عن الجهاد فقال نعم الجهاد الحج ، رواه البخاري ص**٢٨٧٥، ٢٨٧٦**

٦١. ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٨ ، ص٤١٤ ، صبحي سليمان : نساء حول الرسول ﷺ ،ص٢٥٨-٢٦١

٦٢. رواه البخاري ، ص٢٨٨٢

٦٣. مجدي شحاته محمد فايد ، الجهاد ،بحوث ودراسات إسلاميه ،ص٦٤

٦٤. صبحي سليمان: نساء حول الرسول ﷺ ، ص٢٥٤

٦٥. ابن الأثير: أسد الغابة ، جـ٥ ، ص٥٧٧ ، كحالة : أعلام النساء ، جـ١ ، ص٢٣٧

٦٦. رواه البخاري ،ص٢٨٨٠ ،ومسلم ص ١٨١١

٦٧. رواه مسلم ، ص١٨٠٩

٦٨. زينب فواز: الدر المنثور ،ص٥٣٧ ،صبحي سليمان:نساء حول الرسول،ص٢١١

٦٩. آل عمران : الآية ٢٠٠ ، زينب فواز : الدر المنثور، ص ١١

٧٠. مجدي شحاته : الجهاد ، بحوث ودراسات إسلامه ، ص٦٣

٧١. كحاله : أعلام النساء، جـ٣، ص١٥٥ ،ياسين العمري:الروضة الفيحاء ، ص٢٢٩

٧٢. زينب فواز : الدر المنثور، ص٩٩

٧٣. زينب فواز : الدر المنثور، ص١٨٩ ، ياسين العمري : الروضة الفيحاء ، ص٤٨

٧٤. زينب فواز : الدر المنثور، ص٢٤٨، ٢٤٩

٧٥. سورة محمد : الآية ٣١.

٧٦. زينب فواز : الدر المنثور، ص٥٧،٥٨

٧٧. اليافعي المكي : مرآة الجنان ، ص١٨٧،١٨٨ ، ياسين العمري : الروضة الفيحاء، ص٥١ ، الخربوطلي : العرب والحضارة ، ص١٢٢، ١٢٣

٧٨. اليافعي المكي : مرآة الجنان ، ص٣٨٤ ، زينب فواز : الدر المنثور، ص٤٧٥

٧٩. سيدة كاشف ، حسن محمود : الطولونيين والإخشيديين ، ص٢٤ ، ممدوح عبد الرحمن : القبائل العربية في صعيد مصر، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص٢٢٣

٨٠. سورة النحل الآيتان ٥٨ ، ٥٩

٨١. سورة التكوير الآيتان ٨ ، ٩
٨٢. سورة الإسراء : الآية ٣١
٨٣. سورة الأنعام : الآية ١٥١
٨٤. سورة النساء : الآية ٧
٨٥. رواه الترمذي ، ص١٩١٤
٨٦. رواه أبو داود في كتاب الأدب
٨٧. سورة النساء : الآية ١٩
٨٨. ياسين العمري : الروضة الفيحاء ، ص٦٣
٨٩. الأصفهاني : كتاب الأغني ، جـ٦ ، ص١٠٢
٩٠. ياسين العمري : الروضة الفيحاء، ص٦٤
٩١. رواه أبو داود ، كتاب النكاح - باب الأستئمار
٩٢. ياسين العمري : الروضة الفيحاء ، ص٦٢ ،٦٣
٩٣. النساء : الآية ٢٠
٩٤. النساء : الآية ١٩
٩٥. البقرة : الآية ٢٢٨
٩٦. رواه أبو داود : كتاب النكاح - باب حق الزوجة على زوجها
٩٧. سورة البقرة : الآية ٢٢٩
٩٨. رواه أبو داود : باب الطلاق ، ص٢١٧٨
٩٩. البقرة : الآية ٢٢٩

١٠٠. البقرة : الآية ٢٢٨
١٠١. البقرة : الآية ٢٣٠
١٠٢. النساء : الآية ٣
١٠٣. النساء : الآية ١٢٩
١٠٤. ياسين العمري : الروضة الفيحاء ، ص٦٨
١٠٥. الزبيدي : تاج العروس ، دار احياء التراث العربي ١٩٨٩ ، جـ٥ ، ص٣
١٠٦. أبو زيد شلبي : في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢٧٧ ، الخربوطلي : العرب والحضارة ، ص١١١
١٠٧. حسن محمد جودة : نظم الحضارة ، ص١٩٤
١٠٨. أبو زيد شلبي : الحضارة الإسلامية ، ص٢٧٧
١٠٩. عبد العزيز عبد الدايم : الرق في مصر ، ص٧-١٠
١١٠. المسعودي : مروج الذهب ، جـ١ ، ص٢٨٢
١١١. ابن قتيبه : المعارف ، ص١١٢
١١٢. الأصفهاني : كتاب الأغاني، جـ١ ، ص٣٠ ، جـ٤ ، ص١٢٤
١١٣. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص٣٦٠
١١٤. ريسلر: الحضارة العربية ، ص٥٧
١١٥. عبد العزيز عبد الدايم : الرق في مصر ، ص١٢
١١٦. رواه البخاري : كتاب العتق -باب كراهية التطاول على الرقيق
١١٧. سورة البلد : الآيات ١١: ١٣

١١٨. رواه البخاري : كتاب العتق

١١٩. حسن محمد جوده : نظم الحضارة ، ص١٩٨

١٢٠. البلاذري: فتوح البلدان ، ص٣٦٥

١٢١. الطبري : تاريخه ، جـ٥، ص٦٢

١٢٢. الخربوطلي : العرب والحضارة ، ص١١٩.

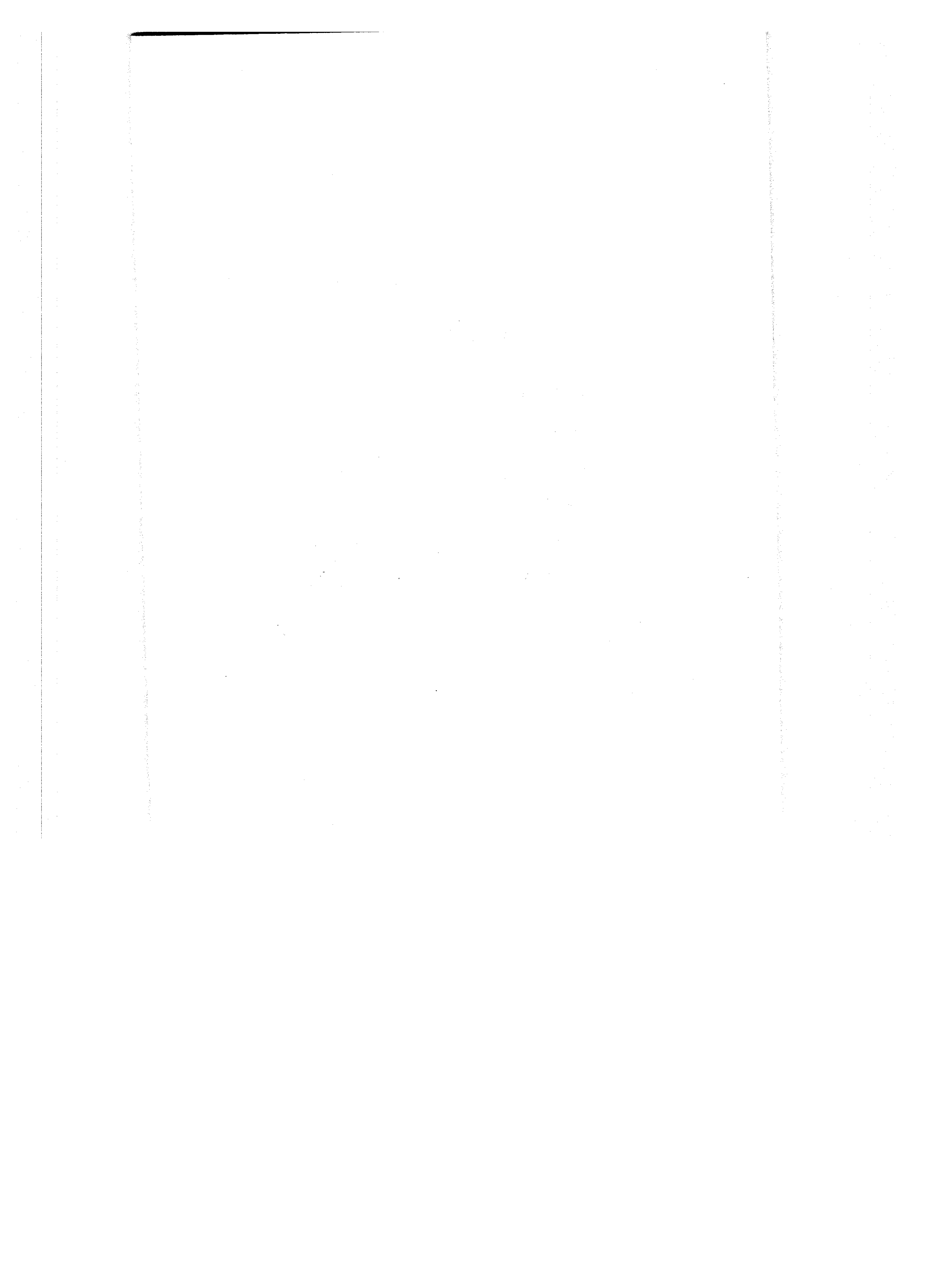
١٢٣. سورة الإسراء : الآية ٧٠.

١٢٤. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢٨٣

الفصل السادس .

المدن الإسلامية

- المدينة المنورة .
- الكوفة .
- البصرة .
- دمشق .
- الفسطاط .
- القيروان .
- واسط .
- قرطبة .
- العسكر
- بغداد .
- القطائع
- القاهرة .



الفصل السادس

المدن الإسلامية

المدينة ومدلولها :

المدينة[1] هى مركز استقرار واقامه ، وهذا المعنى مشترك بينها وبين القرية، وهناك صفات تميز المدينة عن القرية أبرزها : نمط الحياة والمظهر العام ، والكثافة السكانية[2] ومن أهم المدن الإسلامية الآتى :-

المدينة المنورة :

تبدأ نشأة المدينة الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول إليها والتى حولتها إلى "مدينة" ومدينة الرسول ﷺ هى العاصمة الإسلامية الأولى التى اتخذها منذ وصوله إليها مهاجرا من مكة بدأت تتغير معالمها العمرانية تغيرا جمع شتاتها ووحد كيانها ، وجعلها مركزا حضاريا متكاملا ، يتناسب مع كونها عاصمة الدولة الإسلامية ومركزا سياسيا وإداريا فاكتسبت بذلك صفة المدينة[3] .

والمدينة المنورة عبارة عن سهل فسيح تحيط به الحراث من جهاته الأربع ويتميز بخصوبة التربة وكثرة المياه وكانت المدينة قبل الهجرة مقسمة إلى محلات سكنية منفصلة تسكنها البطون والقبائل اليهودية والعربية ، وكل محله تضم بالإضافة إلى منازلها ومزارعها أطاما حصونا يحتمى بها السكان عند تعرضهم للخطر ، بلغ عددها تسعة وخمسين أطما ، وكان لكل قبيلة أطامها التى تحتمى بها[4]

والمدينة كما سماها الرسول ﷺ طيبة فى مستوى من الأرض عذبة برية، جبلية وذلك لأن لها جبلين : أحدهما أحد ، والآخر[٥] غير، ولها أربعة أودية، يأتى ماؤها فى وقت الأمطار والسيول من جبال بموضع يقال له حرة بنى سليم على بعد عشرة فراسخ من المدينة ، وهذه الأودية هى : وادى بطحان والعقيق الكبير، والعقيق الصغير ، ووادى قنا ، تتجمع مياه هذه الأودية كلها بموضع يقال له الغابة، ويخرج إلى واد يقال له وادى أضم ، ثم يخرج العقيق الكبير والعقيق الصغير فى آبار منها :

بئر عروة :وتقع في طرف وادي العقيق وتنسب إلى عروة ابن الزبير تشتهر بعذوبة مائها ويذهب إليها الزوار ليشربوا منها تبركا بها[٦] .

بئر أنا: وهي بئر ليهود بني قريظة ، وتقع في منطقة العوالي بالمدينة ، ويستفيد منها السكان في سقيا مزارعهم[٧] .

بئر أنس : وهي ملك لأنس ابن مالك زقد زارها الرسول ﷺ وشرب منها وتشتهر بعذوبة مائها [٨] .

بئر أهاب : يقع في الحرة أرتادها الرسول ﷺ وشرب منها ويسميها سكان المدينة بئر زمزم تبركا بها [٩] .

بئر حلوة : وتقع بجوار دار آمنة بنت سعد في زقاق حلوة وقد أوقفت في القرن الرابع الهجري لسقيا الحجاج [١٠] .

بئر القريصة : تقع في شرق المدينة آتاها الرسول ﷺ وشرب منها ويقال أن خاتمه وقع فيها وهي معروفة حتى اليوم بئر خاتم يقصدها الحجاج للزيارة وتبركا بها [١١]



بئر حار : هذه البئر ملك لإبي طلحة الخزرجي تقع خارج سور المدينة وجعلها وقفا لسقيا الحجاج الوافدين إلى المدينة (١٢)

بئر فاطمة بنت الحسين: تقع في الحرة جنوب غربي المدينة المنورة ،وقامت بخفرها السيدة فاطمة بنت الحسين وأوقفته لسقيا المسلمين (١٣) .

وبئر رمة وهى حفير بنى مازن ، ، فيشرب أهل المدينة سائر السنة من هذه الآبار (١٤) .

وبالمدينة عيون نابعة معينة ، فمنها :

عين الخيف :تقع شمال شرق المدينة من بعد الخيف الشامي المسمى عند أهل المدينة بالسيح ، ولقد أنشئ لها قنوات ومجاري لسقيا المزارع التي تحيط بها وأصلحت هذة القناة التي خربت في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٥)

عين الشهداء : تقع بالقرب من جبل أحد شمال المدينة ، أنشأت لسقيا المزارع التي تقع شمال المدينة وأصطلح على تسميتها بعين حمزة نسبة إلى شهداء أحد أو إلى حمزة أبن عبد المطلب ﷺ ويذكر أن الذي أمر ببنائها الخليفة معاوية أبن أبي سفيان ، ويذكر أيضا أنها كانت قديمة (١٦)

عين الزرقاء : تقع جنوب غرب المدينة وتستمد مائها من عين الجعفرية ، وتتصل بمياه آبار عديدة ، أنشأ هذه العين الخليفة معاوية سنة ٥٠هـ بعد أن رأى راحة الشام في حصولهم على المياه من الأنهار الجارية في بلاد الشام ، وكان هدف الخليفة من إيصال ماء العين إلى المدينة هو استمالة سكانها إليه (١٧) . سميت بعين الزرقاء نسبة إلى والي المدينة مروان ابن

الحكم لزرقة عينه [١٨] ، وهناك قول آخر في سبب هذه التسمية لأنها تتصل ببئر يسمى الأزرق وهي تقع قرب عين جعرانه [١٩] .

وعين الصورين ، وعين تنية مروان ، وعين الخانقين ، وعين أبى زياد ، وعين برد وعين أزواج النبىﷺ[٢٠] ونخيلهم وزروعهم تستقى من الآبار ، التى تجريها الإبل والتى تعمل فى الزرانيق ، وأكثر أموال أهلها النخيل ومنه معاشهم وأقواتهم ، وخراجها من أعشار النخل والصدقات[٢١] .

وقد ورد ذكر يثرب فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ... ﴾[٢٢]
وهى تقع إلى الشمال من مكة[٢٣] ويحدها من الشمال جبل أحد[٢٤] .

وكان التكوين البشرى فى يثرب مختلف عما أصبح عليه بعدما هاجر إليها الرسولﷺفقد سكنها اليهود ، حيث هاجروا إليها خلال القرنين الأول و الثانى الميلاديين ، على أثر الحروب التى شنها الرومان ضد اليهود ، والتى انتهت بطردهم وزوال دولتهم فى فلسطين[٢٥] فهاجر بنو النضير ، وبنو قريظة إلى شمال الجزيرة وسكنوا يثرب ، وأقاموا بها الحصون والأطام[٢٦] ، فكان هذا بداية استيطان اليهود بيثرب ، ظل بنو النضير وبنو قريظة مقيمين بيثرب حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج الوثنية ، بسبب إنهيار سد مأرب[٢٧] .

كانت علاقة اليهود بالأوس والخزرج حسنة أول الأمر ، إذ سمح لهم اليهود فى البداية بمجاورتهم ، ثم بالإقامة معهم فى يثرب ولما كانت الغلبة فى يثرب لليهود والثروة التجارية فى أيديهم ، سألهم الأوس والخزرج أن يعقدوا بينهم جوارا وتحالفوا

معهم على المسالمة وحسن الجوار، فلم يزالوا على ذلك طويلا ، وصار للأوس مال وعدد ، فلما رأت بنى قريظة وبنو النضير حالهم خافوا أن يغلبوهم على دورهم فترصدوا لهم حتى قطعوا الحلف الذى بينهم(٢٨) .

ولما استبدت القبائل اليهودية فى يثرب بالأوس والخزرج ، استنجدوا بالغساسنة فقدموا لنجدتهم ، ونصروهم حتى أصبح اليهود فى حكم الموالى لهم(٢٩) .

كان الأوس والخزرج فى بداية عهدهم على وفاق ، ثم وقعت بينهما حروب طويلة وكان الظفر للخزرج على الأوس . ويقول ابن هشام " أنه كانت بينهم حروب كثيرة منها حرب داحس والغبراء وغيرها(٣٠) .

وكان وصول الرسول ﷺ والمسلمين معه إلى يثرب نهاية للمعاناة والحروب وبداية لمرحلة جديدة طالما انتظرتها المدينة ، بل أن أهلها كانوا يتطلعون إلى دعوة النبى ﷺ بل بايعوه على الحماية والنصر، ويبدوا أن أهل يثرب من الأوس والخزرج كانوا قد سئموا الحروب والحياة غير المستقرة فلم تعرف يثرب قبل الإسلام أى نوع من الإستقرار السياسى ، أو التنظيم الإدارى فكان استقرار الرسول ﷺ فيها بداية للاستقرار فى شتى مناحى الحياة(٣١) .

كانت الهجرة إلى المدينة تعنى انطلاقة المسلمين لتأسيس دولة الإسلام فى المدينة ، حيث نزل الرسول ﷺ قبل أن يصير إلى موضع المدينة ، بقباء على كلثوم ابن الهدم ، ثم مات كلثوم فنزل على سعد ابن خيثمة الأنصارى ، ودار سعد هذا إلى جانب مسجد قباء وهو أول مسجد أسس على التقوى وكان أول عمل قام به الرسول ﷺ عند وصوله إلى قباء في هجرته إلى المدينة المنورة وصلى فيه

الرسول ﷺ إلى بيت المقدس وأقام في قباء في بني عمرو ابن عوف ثم انتقل إلى المدينة وأسس مسجده[٣٢] .

وجدد بناء مسجد قباء في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وللمسجد أهميته الإسلامية وذكرى طيبة تهفو إليها نفس كل مؤمن ولعموم زائري المدينة ، ولأن الرسول ﷺ قال : من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى ركعتين كان له أجر عمرة [٣٣] .

وفي عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك تم تجديد المسجد وزيد في توسعته فأرسلت الأسطوانات من دمشق ، كما تجدد بناؤه في عهد أبي جعفر المنصور[٣٤]، وفي سنة ٥٥٥هـ أمر نور الدين محمود زنكي بتجديد بنائه بعد أن أحضرت له أساطين رخامية من بلاد الشام[٣٥] .

ومن المساجد في المدينة :

مسجد القبلتين: يقع هذا المسجد في الشمال الغربي للمدينة المنورة على حافة وادي العقيق ويقال أن الذي جدد بناؤه أخيرا هو الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٧هـ[٣٦] .

مسجد الفتح : ويسمى بمسجد الأحزاب ويقع في مكان الخندق وقد دعى النبي ﷺ فيه فاستجاب الله دعاؤه ، قام بعمارته عمر بن عبد العزيز حين كان واليا على المدينة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك حيث شيد أروقته [٣٧] ، وفي سنة ٥٧٥هـ جدد بناؤه الأمير أبو الهيجاء حيث شيد قبابه وأعمدته الرخامية وعقودا محكمة بين أعمدته ، وهناك مسجد الإجابة شمال البقيع ومسجد المائدة وكان يسمى بمسجد الجمعة [٣٨].

المسجد النبوي : أسس رسول الله ﷺ مسجده في المدينة المنورة حيث مبرك الناقة ، قال ابن هشام : " حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده ﷺ ،وهو يومئذ مربض لغلامين يتيمين من بني النجار ... سهل وسهيل أبني عمرو "(٣٩) ، وقال في موضع آخر : " فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى مسجدا ونزل ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه "(٤٠) ، ويجواره من جهة الشرق بنى منزله وكانت أبوابه مطلة على المسجد ، وأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار ، وكان هذا المكان مصلى أتخذه أسعد ابن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ يصلى بالناي الصلوات الخمس ويجمع بهم"(٤١) ، وبدأ الرسول ﷺ عمارة المسجد النبوي شهر ربيع الأول من السنة الأول للهجرة وباشر العمل فيه بنفسه ليرغب المسلمين للعمل فيه ،وبنيت قبلته أولا في اتجاه الشمال نحو بيت المقدس ، وفى سنة ٢هـ عدلت القبلة نحو مكة تلبية للأمر السماوى ، ومع تزايد أعداد المسلمين باتت الحاجة إلى توسعة المسجد من فترة للأخرى ، وكانت أول توسعة بعد غزوة خيبر سنة ٧هـ (٤٢) .

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة والمثالية في العمل والمشاركة بنفسه في تشييد هذا المسجد وعمارته وقد شاركه الصحابة والمسلمون عمله (٤٣) .

وقد جعل مواد بناءه أن يبنى من اللبن واستخدم في سقفه الجريد وعمده خشب النخيل (٤٤) ، وجاء تخطيط المسجد بسيطا حيث كان عبارة عن مساحة مستطيلة مكشوفة تحددها أربعة جدران تتمثل في جدار القبلة الذي يمتد من الشرق إلى الغرب في اتجاه بيت المقدس ، يقابله ويوازية جدار آخر يماثله ، أما الجداران

الشرقي والغربي فيمتدان من الجنوب إلى الشمال بهيئة متعامدة على طرفي جدار القبلة، وبعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى خلفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يزد على ما كان عليه أيام النبي ﷺ .

وحين آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام بتوسعته وذلك سنة ١٧هـ من جهة القبلة فقد سمع النبي ﷺ يقول : "لو زدنا في مسجدنا هذا و أشار بيده نحو القبلة" ، وقد أقام أساسه من الحجارة في جوف الأرض بعمق ثلاثة أذرع أي حوالي ١.٥ متر(٤٥) ، وقد أقام بنيانه من اللبن فوق الحجارة وسقفه بالجريد وعمده بخشب النخل ، ولم يغير في الأبواب شيئا عما كانت عليه من قبل (٤٦) .

بنى بالمسجد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان ابتداء عمارته سنة ٢٩هـ ونهاية سنة ٣٠هـ ،حيث زاد عثمان رضي الله عنه في المسجد زيادة هائلة وجعل مادة البناء الحجارة لشكوى الناس من ضيق المسجد ، فزاد فيه من جهة القبلة رواقا ومن جهة المغرب الأسطوانة الثانية ومن جهة الشام عشرة أذرع وقيل خمسين ذراعا ، ومن جهة الجنوب مائة ذراعا ولم يزد في أبوابه بل زاد في نوافذه ، وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وخشب النخل والجريد وبيضه بالقصة، وبنى المقصورة باللبن ، وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الأمام وكان يصلي فيها خوفا من الذي أصاب عمر وكانت صغيرة ، وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص ، وسقفه بالساج فجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع (٤٧)، وفي عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك أمر واليه على المدينة عمر ابن عبد العزيز بأن يزيد في المسجد النبوي من جهة الشرق والمغرب وشراء الدور

المجاورة بعد دفع الثمن لذويها وأدخلت على أثر هذا حجرات أزواج النبي ﷺ وثلاث لعبد الرحمن ابن عوف ،ودار عبد الله ابن مسعود ومن جهة الغرب دار طلحة بن عبيد الله ، ودار عمار بن ياسر ، ودار العباس بن عبد المطلب[٤٨] ، وزاد من جهة المغرب أسطوانتين ، ومن جهة الشرق الأسطوانة الخامسة من المنبر إلى جدار المشرق ، وزاد من جهة الشام عشرة أساطين وبناه من الحجارة المطابقة ، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ونقش حيطانه بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه من الساج وحلاه بماء الذهب .

ويذكر أنه جعل حيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها ورؤوس الأساطين مذهبة عليها أكف منقوشة مذهبة وكذلك أعتاب الأبواب مذهبة أيضا ، وأقام الوليد أربع منائر في زوايا المسجد وتولى ذلك كله عمر بن عبد العزيز أثناء ولايته على المدينة[٤٩] .

وفي عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور تصدع جدر المسجد سنة ١٤٠هـ فأمر بتجديدها .

وفي عهد الخليفة المهدي سنة ١٦١هـ ضيق المسجد بحجاج الموسم فأمر واليه على المدينة جعفر بن سليمان بن على العباس بزيادة المسجد من جهة الشام مائة ذراع والشرق والغرب والقبلة خمسين ذراع ، ورفع جداره ذراعين عما كان عليه من قبل ، وانتهى من زيادته سنه ١٦٥هـ[٥٠].

واستمر الاهتمام بعمارة المسجد النبوي من قبل الخلفاء العباسيين الذين أخذوا ينفذون الأموال إلى الأمراء على المدينة لتجديد وترميم ما يتصدع من المسجد

ولما حج نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٥٥هـ أمر بعمل خندق حول الحجرة الشريفة وقد صب فيه الرصاص ، وفي خلافة الناصر لدين الله العباسي عمر المسجد النبوي الشريف بواسطة إرسال النقاشين والصناع من بغداد سنة ٥٧٦هـ لعمارة المسجد وأرسلت القناديل التي صنعت وهيئت لأضاءته.

ومن حول المسجد الجامع اختطت منازل المهاجرين فى الأرض التى وهبها الأنصار للرسول ﷺ ،وأقطع الرسول ﷺ بدوره الصحابة الأراضى لبناء دورهم . واتجه إلى الجمع بين ذوى القربى فى موضع واحد(٥١) .

واتخذ الرسول ﷺ من مسجده مكانا للقاء المسلمين ، وجامعة يتعلمون فيها أمور دينهم وأحوال دنياهم ، وفيه كان الرسول ﷺ يتلقى الوحى فيعلم المسلمين ما ألقى إليه من ربه ، وفيه كانت تعقد المعاهدات ، وتمضى العهود ، ويعلن عن الجهاد، وتقلد الرايات ، وينظر فى المظالم ، وتستقبل الوفود(٥٢) .

عاشت مدينة الرسول ﷺ عصرا من الاستقرار السياسى لم تعرفه من قبل ، كما عاشت فترة من الرخاء الاقتصادى فقد أصبحت رؤوس الأموال ومصادر الدخل فى أيدى أهلها ، خاصة بعد جلاء اليهود عنها ، وتهيأت للدفاع عن دين الإسلام بل أخذت على عاتقها حماية هذا الدين ونشره خارج شبة الجزيرة العربية

بجانب المسجد النبوى ، كانت هناك مساجد اشتملت عليها خطط المدينة ، تلبى حاجات المصلين فى هذه الخطط للصلوات الخمس فقط ، أما الصلوات الجامعة فكانت فى مسجد الرسول ﷺ باعتباره المسجد الجامع ، وكان لكل قبيلة فى خطتها مقبرة خاصة لها حسب التقليد القبلى ، وبالرغم من أن البقيع أصبحت

سنة ١٠هـ / ٦٣١م أرض دفن جامعة ، فإن كل قبيلة عرفت لها جزءا من أرضها استخدمته للدفن(٥٣) .

واستكمالا لمرافق المدينة العمرانية اهتم الرسول ﷺ بانشاء السوق اتخذه فى موقع بقيع الزبير ، واعترض عليه كعب بن الأشراف أحد زعماء اليهود المناوئين للإسلام فنقلها الرسول ﷺ إلى موقع سوق المدينة ، وقال : " هذا سوقهم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج "(٥٤) .

وكان سوق المدينة فضاء واسعا لا بناء فيه . والمكان لمن سبق ، وضربت فيه الخيام . ولم يبدأ بالسوق إلا فى بداية العصر الأموى وذلك بداية من عهد معاوية .

واتخذ الرسول ﷺ المعسكرات لجنده خارج المدينة على مسافة منها ، ومثال لذلك معسكر الجرف الذى بعد عن المدينة ثلاثة أميال اتجاه الشمال(٥٥) .

وظلت مدينة الرسول ﷺ عاصمة للخلافة الاسلامية وحاضرة للمسلمين خلال عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة .

ومرت الأحداث العنيفة التى ميزت عصر عثمان بن عفان ﷺ وعبرت الأمة المحنة يوم كانت بلا إمام إلى أن انتخب الإمام على كرم الله وجهه إماما للمسلمين، ولما غادرها إلى العراق فارقتها الخلافة . فزال عنها مقر الحكم إلى دمشق ومنها إلى بغداد(٥٦) .

١. الكوفة ١٧هـ / ٦٣٨م(٥٧)

السبب فى بنائها . يذكر أنه بعد فتح المسلمين العراق كانت رسلهم ترد على عمر ﷺ . فيرى فى وجوههم . وألوانهم تغيرا ، فسألهم عن سر ذلك فقالوا له :

وخومة البلاد ، فكتب إلى سعد بن أبى وقاص انبئنى ما الذى غير ألوان العرب ولحومهم فكتب إليه "إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة" ، فكتب إليه عمر "إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق ابلها من البلدان فابعث سلمان وحذيفة وكان رائدى الجيش دائنين فليرتادا منزلا بريا وبحريا ليس بينى وبينكم منه بحر ولا جسر[٥٨] فبعث سعد بن أبى وقاص سلمان وحذيفة يسيران غربى الفرات حتى أتيا موضع الكوفة" وهو حصباء ورمل فأتيا عليها وفيها ميزات ثلاث هى : ارتفعت أرضه عن البقة ، وتطأطأت عن السخة ، وتوسطت الريف ، وظعنت فى أنف البرية[٥٩] ، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا ، ودعوا الله أن يبارك لهم فى هذه الكوفة وكتب إلى سعد بالخبر ، فأبلغه سعد إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فأمره أن يسير بالجنود إليها فأرسل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة فى المحرم سنة ١٧هـ / يناير ٦٣٨م[٦٠] .

وكان عمر يريد أن يقيم المسلمون فى خيامهم ، لأن ذلك أجد فى حروبهم، وأذكى لهم ، وأهيب فى عين عدوهم ، ولما استأذنه أهل الكوفة والبصرة فى بنيان القصب لم يحب أن يخالفهم ، وأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب ، ثم أن الحريق وقع فى الكوفة وبالبصرة[٦١] فاستأذنوا عمر فى البناء باللبن ، فقال : " أفعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (حجرات) ، ولا تطاولوا فى البنيان " وجعل على تنزيل أهل الكوفة والإشراف على بناءها أبو الهياج ابن مالك الأسدى[٦٢] .

أرسل سعد إلى أبى الهياج فأخبره بكتاب عمر فى الطريق : من " أنه أمر بالمناهج - الشارع الرئيسى - أربعين ذراعا ، وما يليها الشوارع الثانوية ثلاثين

ذراعا، وما بين ذلك عشرين ، وبالأزقة سبعة أذرع ،وليس دون ذلك شئ ، وفى القطائع ستين ذراعا[٦٣] .

وكان أول شئ خط بالكوفة مسجدها فاختطوه ، وجاء تخطيط المسجد في عهد الوالي سعد ابن أبي وقاص من مساحة مربع تنقسم إلى صحن وظلة القبلة ، ثم قام فى وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه وشماله ، ومن بين يديه ومن خلفة ، ثم أمر ببناء الخطط وراء مواقع السهام ، وبنى فى مقدمة المسجد ظله ذرعها مائتان على أساطين رخام كانت للأكاسرة ، وبنوا بجوار المسجد دار الإمارة بينها وبين المسجد طريق منقب مائتى ذراع ، وجعل فيها بيوت الأموال ، وبنى ذلك له روربة الفارسى من أجر بنيان الأكاسرة بالحيرة[٦٤] .

وبالنسبة لتقسيم الخطة بين أفراد القبيلة ، فإن اليعقوبى يذكر ذلك بقوله : "إن كل قبيلة كانت تقسم الخطة المخصصة لها " وكان الأمر متروكا لحرية تصرف اختيار القبيلة ، وكان لكل قبيلة فى خطتها مسجد ومقبرة خاصة بها .

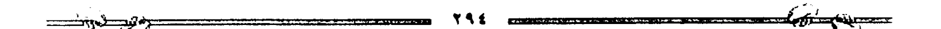
ومن هذه المنطقة "وسط المدينة" امتدت الشوارع "المنهاج" خمسة فى اتجاه الشمال ، وأربعة فى اتجاه الجنوب ، وثلاثة فى اتجاه الشرق ، وثلاثة فى اتجاه الغرب، وأطلق عليها "مناهج أهل العزم" وكانت الشوارع الثانوية تسير موازية للشوارع الرئيسية ، وأحيانا متقابلة معها ، وأطلق عليها "منهاج الدهناء"[٦٥] ، ثم يلى ذلك الشوارع الفرعية التى كانت أقل اتساعا ، وتربط التكوينات المعمارية بالشوارع الثانوية والرئيسية[٦٦] .

وبالنسبة لتقسيم الخطة ...

كان سوق المدينة فى منطقة الوسط ، وكان عبارة عن ساحة مضاء كما هو الحال وسوق المدينة المنورة ، حيث كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حريصا على أن تظل السوق بالهيئة التى أقرها الرسول ﷺ فى المدينة[٦٧] ، وأشار اليعقوبى أن السوق فى الكوفة كان فضاء لا توجد به مبان أو سقف سوى تلك الظلل التى عملت لتظل البائعين فى أماكنهم التى اختاروها ، واستمرت السوق على هذه الهيئة فى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) عندما قام عامله على الكوفة خالد القسرى بإنشاء الأسواق على هيئة معمارية جديدة ، تشتمل على جوانب سفلية ومساكن علوية لمبيت التجار[٦٨] .

وقد اتخذ على بن أبى طالب ﷺ الكوفة قصرا لخلافته ، وذلك لأن بها شيعته وأنصاره ، ولخصوبة أرضها ، وكثرة خيراتها ، ووقوعها فى مكان متوسط بين أقاليم الدولة الإسلامية ، ولأنها من وجهة نظره أصلح من غيرها فى حرب معاوية بالشام[٦٩] ، وما زال لها شأن عند الشيعة إلى وقتنا الحالى ، وفى ولاية عبد الله بن زياد، بنى المسجد وأنفق عليه نفقات طائلة ، حتى أصبح فريدا بين مساجد زمانه[٧٠] .

ثم اتسعت الكوفة وامتد عمرانها حتى بلغت فى أوائل القرن الرابع الهجرى ستة عشر ميلا وثلثى ميل ، وبنى فيها خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر ، وأربع وعشرون ألف دار لسائر العرب ، وسته آلاف دار لليمن[٧١] .



والتخطيط الذى وضع لبناء الكوفة ، يدل دلالة واضحة عن نظام هندسى راقى، فضلا عن كونه يتلاءم مع طبيعة العرب ، فلم يحجب هواء البادية عن أهلها الذين نشأوا فى بادية الجزيرة العربية ، لكثرة الشوارع واتساعها ، فعاد إليهم نشاطهم واستردوا حيويتهم وقوتهم(٧٢) .

٢. البصرة ١٧هـ / ٦٣٨م (٧٣)

البصرة أقدم المدن الإسلامية ، وهى تقع عند ملتقى دجلة والفرات فى الموضع المعروف بشط العرب ، وموقعها قريب من الماء والمراعى فى طرف البر إلى الريف فيه قصباء – ما يشبة البوص – ودونه منافع ماء ، وهى إحدى أمهات مدن العراق الشهيرة ، وهى مدخل العراق الجنوبى وتقع فى ملتقى البحر والسهل والخصب والصحراء إذ هى مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين(٧٤) .

وعن تاريخ بناؤها هناك اختلاف بين المؤرخين فى تحديد ذلك حيث ذكر أنها بنيت قبل الكوفة فى سنة ١٤هـ ، ويذكر البعض أنها بنيت بعد الكوفة سنة ١٧هـ ، ويمكن الجمع بين الآراء فى أن العرب نزلوها سنة ١٤هـ إلا أنها لم تخطط إلا فى سنة ١٧هـ تلك السنة التى خططت فيها الكوفة ، ويؤكد ذلك قول الطبرى : " أن أهل الكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمرﷺ فى بنيان القصب فلم يحب أن يخالفهم فأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب ، فلما وقع حريق بالكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمرﷺ فى البناء باللبن فقال " افعلوا ولا يزيد أحدكم على ثلاث حجرات ولا تطاولوا فى البنيان ، وكتب إلى عقبة بن غزوان وأهل البصرة بمثل ذلك ، وجعل على تنزيل أهل البصرة والإشراف على بنائها عاصم بن الدلف أبو الجرداء .

وكان السبب فى نزول المسلمين بها سويد بن قطبه الذهلى كان يغير على العجم فى ناحية الخريبة من البصرة قبل أن ينزلها ، ولما بلغ عمرﷺ خبره وما يصنع بالبصرة ، رأى أن يوليها رجلا من قبله ، وأن ينزلها المسلمين ، ليحولوا بين أهل فارس ومن إليهم ، وإمداد اخوانهم من أهل المدائن ونواحيها ، فولاها عتبه بن غزوان ، وقال له : أن الحيرة قد فتحت فأت أنت ناحية البصرة ، واشغل من هناك من أهل فارس والأهواز وميسان عن امداد إخوانهم فسار إليهم عتبة فى أكثر من ثلاثمائة رجل انضم إليه سويد بن قطبة وغيره من الأعراب وأهل البوادى ، ونزلها فى ربيع الأول أو الآخر سنة أربعة عشر(٧٥) .

كتب بن غزوان إلى الخليفة عمر يستأذنه فى تمصير البصرة وقال له : "إنه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا اشتوا ويكسون - يستترون - فيه إذا انصرفوا من غزوهم(٧٦) ، فكتب إليه الخليفة عمر : إن ارتد لهم منزلا قريبا من المراعى والماء، واكتب إليا بصفته ، فكتب إليه "إنى قد وجدت أرضا كثيرة الفضة - الحجارة - فى طرف البر إلى الريف ، ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء "(٧٧) .

ولما وصلت الرسالة إلى عمر قال : "هذه أرض بصرة ، قريبة من المشارب والمراعى المحتطب"(٧٨) وكتب إليه أن أنزلها ، فنزلها وبنى مسجدها من قصب باعتباره نواة المدينة ، ويجواره عن قرب دار الإمارة ، ثم أقطعت القبائل خططها حول المسجد ، وخططت الشوارع فجعلوا عرض شارعها الأعظم ستين ذراعا ، وجعلوا عرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعا ، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمربط خيلهم وقبور موتاهم وتلاصقوا ،

ولم يفعلوا ذلك إلا عن رأى اتفقوا عليه ، أو نص لا يجوز خلافه ، وتركت حرية تقسيم الخطط للقبائل التى اختطت وبنيت منازلها[٧٩] ، وبنى الناس منازلهم من القصب فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ، ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو ، فيعيدون بناءها كما كان وهكذا[٨٠] .

ولما مات عتبة بن غزوان ولى عمر عليها أبا موسى الأشعرى سنة ١٧هـ/٦٣٨م وظل حتى سنة ١٩هـ/٦٤٠م[٨١] وفى عهده بدأت تزداد أهمية البصرة وزاد عدد المهاجرين إليها ، وأدى ذلك إلى تطورها فاختط الناس ، وبنوا المنازل باللبن ، بعد أن أذن لهم عمر فى ذلك لأن القصب كان يحترق "كما ذكرنا"، وبنى أبو موسى الأشعرى المسجد الجامع بها باللبن والطين وكذلك دار الإمارة، وسقفها بالعشب[٨٢] ،ويعد مسجد البصرة من الساجد الأولى التي شيدت خارج شبه الجزيرة العربية في العصر الراشدي ، وكان من مساحة مربعة خططت على هيئة صحن وظلة للقبله على غرار المسجد النبوي ، وأمر الناس بالبناء فى الخطط التى فتحت لهم ، واتجه إلى تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب ولا سيما أن المياه التى كانت تصل إليها كانت مالحة ، فبدأ مشروع حفر نهر الأبلة[٨٣] ،الذى تم فى عهد عبد الله بن عامر (٢٥-٣٦هـ/٦٤٦-٦٥٧م) ، وهو وغيره من مجموعة الأنهار التى زودت المدينة بالماء اللازم ، ووصلتها تجاريا بالأقاليم المجاورة فدفع ذلك إلى نموها وازدهارها[٨٤] .

وساهم عبد الله بن عامر أثناء ولايته للبصرة على تطويرها حيث شجع العمران بالمدينة ، ومنح الإقطاعات للأشخاص لزيادة الإنتاج ، واتخذ الأسواق

بالمدينة ، فقام بشراء عدد من الدور وبنى فى موضعها سوقا ولا سيما المربد لم تعد قادرة على سد الحاجات الجديدة بالمدينة(٨٥) .

ولما استعمل معاوية بن أبى سفيان زياد بن أبيه واليا على البصرة سنة ٥٥هـ/٦٧٤م مرت البصرة بمرحلة تالية من التطور ، حيث بدأت المنازل وغيرها تبنى بالأجر والحصى فأعاد بناء الجامع ودار الإمارة بهذه المواد وسقفه بالساج ، وبنى منارة المسجد بالحجارة فصار من أحسن الأبنية(٨٦) كما أعاد زياد بن أبيه تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها السكنية ، متبعا نفس نظام الكوفة ، فقسمها إلى خمسة أخماس ، كل خمس مجموعة من العشائر التى تنتمى إلى قبيلة واحدة ويرأسه رئيس من تلك القبيلة ، وسهل ذلك فى إدارة المدينة ، وسهل استنفار الجند وهذا هو الهدف الأسمى من هذا التقسيم(٨٧) .

كما شجع زياد بن أبيه على تأسيس الأسواق حيث بنى "مدينة الرزق" وهى عبارة عن سوق واسعة لها أربعة أبواب وتحتوى على أنشطة اقتصادية ، كما أنه اهتم بإنشاء الوحدات العمرانية المتصلة بإتساع المدينة وزيادتها ، كالمحلات والمربعات والحمامات(٨٨) .

وصاحب اتساع مدينة البصرة زيادة فى عدد سكانها ويدل على ذلك أن عدد مقاتليها خلال عهد زياد بن أبيه بلغ ثمانين ألفا ، وعيالهم مائة ألف وعشرين ألف عيل(٨٩) .

ونظرا لموقعها المتوسط بين الشام وفارس ، أسرع إليها العمران واتخذها الأمويون مقرا لإمارة العراق فاتسعت عمارتها حتى بلغت مساحتها فى إمارة

خالد بن عبد الملك القسرى(١٠٦-١٢٠هـ) فرسخين[٩٠] ،والفرسخ يساوى ٥٥٤٤متر[٩١] .

وكانت البصرة خلال العصر العباسى ملتقى التجارة ، وتجارتها تمتد شرقا إلى الهند والصين ، وغربا إلى أقصى بلاد المغرب ، وجنوبا إلى الحبشة ، واشتهر أهلها بالأسفار التجارية إلى كل الجهات ، ويؤكد ابن الفقيه الهمذانى ، على شهرة تجار البصرة وكسبهم فى الاتجار مع البلاد المختلفة ، بقوله : "أبعد الناس نجعه – سعى وراء الكلأ – فى الكسب بصرى وحميرى"[٩٢] .

ومما زاد أهمية البصرة التجارية خلال العصر العباسى أنها ورثت نشاط الأبلة التجارى ، حيث انتقل إليها عدد كبير من التجار ، فزاد عمرانها وتوسعت حدودها حتى أصبحت الآبلة وعبادان أشبه بضواحى البصرة ، ويؤكد المقدسي ذلك بقوله : "أما البصرة ضمن مدنها الآبلة"[٩٣] .

ومن الجدير بالذكر أن الأهمية التجارية والاقتصادية للبصرة قد لفتت أنظار الخلفاء العباسيين ، لكونها تدر موارد غير قليلة على خزينة الدولة ، سواء عن طريق مزاولتها النشطة للتجارة أو من تردد عدد كبير من التجار الغرباء أصحاب الثروات عليها أو الإقامة فيها مما حفز بعض الخلفاء على إدخال بعض الإصلاحات فيها واستحداث الخدمات العامة ، منها انتقاء خبرة الولاة لإدارتها ، ومداومة الإشراف عليها ، وإيصال المياة العذبة من نهر دجلة إليها[٩٤] ، قال البلاذرى : وكان الولاة والإشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة ويحضرون الصهاريج[٩٥] .



وكانت مياه البصرة مرسى مئات السفن التجارية التى كانت تحمل أصناف التجارات منها وإليها ، وقد أشاد المقدسى بتجارتها قائلاً :لم تسمع بخز البصرة وبزها وطرائفها وبأزرها ، وهى معدن اللؤلؤ والجواهر وفرضة البحر ومطرح البر[٩٦] ولذا تكاثرت ثرواتها وبنى أهلها القصور والحدائق ، وأنشأوا البرك والميادين[٩٧] .

وهكذا تحولت البصرة من مجرد معسكر حربى إلى مدينة ذات معايير مدنية واضحة ، تمثلت فى مناحى الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

٣. دمشق :

تقع دمشق في أرض مستوية على خط طول ٣٠شرقي غرينتش وعلى درجة عرض ٣٣شمالا إلى الشرق من المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية ، وتتكون من ثلاثة أقسام طبيعية هي المنطقة السهلية والمنطقة الجبلية المحيطة بالمدينة ، ويشرف على دمشق من جهة الغرب جبل الشيخ ويعرف بجبل الثلج بينما تتصل من الشرق والجنوب ببادية الشام ولذا تتمتع بموقع جغرافي فريد ، ويصفها اليعقوبي بقوله : " ومدينة دمشق مدينة جليلة قديمة ، وهي مدينه الشأن في الجاهلية والإسلام ، وليس لها نظير في جميع أجناد الشأن في كثرة أنهارها وعمارة نهرها الأعظم يقال له بردا ...وكانت منازل ملوك غسان ، وبها آثار لآل جفنة والأغلب على مدينة دمشق أهل اليمن ، وبها قوم من قيس ، ومنازل بني أمية وقصورهم أكثر منازلها وبها خضراء معاوية ، وهي دار الأمارة ومسجدها الذي ليس في الإسلام أحسن منه بالرخام أو الذهب...". ودمشق من المدن القديمة فى بلاد الشام[٩٨] وهى مدينة الشام فى الجاهلية والإسلام ، وليس لها نظير فى جميع مدن

الشام فى كثرة أنهارها وعمارتها ، ونهرها الأعظم يقال له "بردا"(٩٩) وهى قلعة من قلاع العلم والحضارة يشهد بذلك تاريخها القديم وقد توالى على دمشق كثير من الحكام فاهتموا بها ، وجعلوا منها قبلة للعلماء ، حكمها الآراميون واليونانيون والرومان والبيزنطيون ، ودخلها المسلمون فاتحين فى عصر الفاروق عمر سنة أربع عشرة حيث افتتحها أبو عبيدة بن الجراح من باب لها يقال له باب الجابية صلحا، بعد حصار سنة ، ودخلها خالد بن الوليد من باب يقال له الشرقى بغير صلح ، فأجاز أبو عبيده الصلح فى جميعها وكتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فأجاز ما عمل به أبو عبيده(١٠٠) ، لتبدأ مرحلة جديدة فى تاريخها ، ولتسهم فى بناء صرح الحضارة الإسلامية ٠

ودمشق بحكم موقعها الجغرافى ملتقى الحضارات ، فهى منذ القدم البوتقة التى انصهرت فيها حضارات الشرق القديم ، من العراق ومن بلاد الحيثيين ومن مصر ، وظل دورها كمركز من مراكز الحضارة علامة بارزة فى تاريخها ٠

وكانت دمشق خلال العصر الأموى حاضرة الدولة الإسلامية ، حيث اتخذها الخلفاء الأمويون مقرا لهم بنى بها معاوية دار الإمارة وكان بناء المسجد الأموى نقطة تحول فى تاريخ المدينة ، إذ أصبحت واحدة من أهم المدن الإسلامية٠

المسجد الأموي:

يعد المسجد الأموى أهم الأثار الإسلامية بها . ويقول ابن جبير أن المسجد الأموى من أشهر جوامع الإسلام حسنا ، واتقان بناء ، وغرابة صنعة ، واحتفال تنميق وتزيين ، وشهرته المتعارفة فى ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه ... أنتدب

لبناءه الوليد بن عبد الملك رحمه الله ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص أثنى عشر ألفا من الصناع من بلاده ... فأمتثل أمره ... فشرع في بناءه وبلغت الغايات في التأنق فيه ، وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء ، وخلطت بها أنواع الأصبغة الغريبة ،قد مثلت أشجارا ، وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص ، ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف... وذكر أنه وضع في بناءه مائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار ومائتا ألف دينار، فكان مبلغ الجميع أحدا عشر ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار"(١٠١) .

وقد جاء المسجد يشغل مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب طولها ١٥٦م بعرض ٩٧م، وفي سنة ٤٧٥هـ /١١٨٢م غطيت الثلاث قباب بجمالون يتوسطه قبة حجرية من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي ويصل أرتفاعه عند البلاطة الوسطى ٢٣م بينما أرجاء المسجد ١٥م.

أما الصحن فقد جاء من مساحة مستطيلة يبلغ طولها ١٢٥م تقريبا ويزيد عرضها عن ٦٠م تحيط به ظله من جوانبه الثلاثة الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية وتتكون كل ظلة من بلاطة واحدة.

ويروى أن المسجد أصلا هو ما اختطة أبو عبيده بن الجراح أحد قادة الفتح، وكان قد دخل المدينة بعد فتحها صلحا سنة ١٣هـ/٦٣٤م واستولى على النصف الشرقي للكنيسة المسيحية بها وصيره مسجدا ، وهو جامع دمشق المعروف(١٠٢) وظل النصف الغربي بأيدى المسيحيين وفقا لشروط الصلح .

وفى رواية أخرى أن المسجد أقيم مكان معبد وثنى قديم للإله جوبتر: حوله الإمبراطور ثيودور سنة ٣٧٩م إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة القديس يوحنا ، فبنى أبو عبيده بن الجراح المسجد الأول فى دمشق ، فلما جاء الوليد بن عبد الملك أرسى مسجده مكان المعبد والجامع والكنيسة معا(١٠٣) .

ويرى علماء الآثار أن المسجد الأموى فى دمشق بنى كله دفعة واحدة ولم يدخل فى بنائه الكنيسة أو المعبد ، كما لم يكن بناؤه استكمالا لبناء سابق ، ذلك لأن الوليد بناه دفعة واحدة – وظل بناءه لمدة ثمانية أعوام ، وانفق عليه خراج الدولة الإسلامية سبع سنين(١٠٤) .

والمسجد الاموى من المساجد الجامعة العظيمة فى الإسلام ، وقد كان موضع عناية واهتمام الخلفاء والملوك والسلاطين والحكام فزادوا فيه ، واحتل مكانة بارزة فى تاريخ الحضارة الإسلامية ، فهو الذى جعل المدينة تتوق إليها الأنظار ، ويؤمها العلماء ورجال الدين ، ويفد إليها طلاب العلم من كل مكان ، وظلت مدينة دمشق حاضرة الشام عاصمة للخلافة الإسلامية حتى انتهاء الدولة الأموية(١٠٥)

قصر الخضراء والصفراء :

نزل الأمويون مدينة دمشق في العصر الراشدي وبنوا فيها قصورهم ومنازلهم ومنها خضراء معاوية التي أقامها معاوية ابن أبي سفيان أثناء ولايته على الشام في خلافة عثمان بن عفان ﷺ ثم أصبحت دار للأمارة ، وبقيت قصر الخلافة الأموية بعد إعلان الدولة الأموية في عام ٤١هـ / ٦٦١م ويعد هذا القصر من روائع العمارة بدمشق ويقع إلى الجنوب من سور الجامع عرف بقصر الخضراء لأن القبة

والجدران طليت باللون الأخضر، مر القصر بمرحلتين من العمارة وظل مقرا للأمويين حتى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك(٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م) حيث اتخذ مقرا آخر بدل من قصر الخضراء فشيد قصرا بدرب محرز في موضع سقاية جيرون وجعل له قبة صفراء "

٤. **الفسطاط ٢١هـ /٦٤١م:**

دخل عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية بعد فتحها، ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها فهم أن يسكنها وقال :"مساكن قد كفيناها"(١٠٦).

فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستأذنه فى ذلك، فسأل الخليفة رسول عمرو: هل يحول بينى وبين المسلمين ماء، قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل، فكتب الخليفة عمر ﷺ إلى عمرو: "أنى لأحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف(١٠٧)، على ذلك تحول عمرو عن الإسكندرية إلى الفسطاط، واختار موضع الفسطاط على الشاطئ الشرقى للنيل بجوار حصن بابليون.

ويحدد المقريزى موقع مدينة الفسطاط حين اختطها العرب فيذكر: "أنه كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم، ولم يكن فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف بقصر الشمع، وبالقلعة وكان بجوار هذا الحصن من بحرية، وهى الجهة الشمالية أشجار وكروم، فضاء موضعها الجامع العتيق وكان فيما بين الحصن والجبل عدة كنائس للنصارى ... "(١٠٨).

هذا ويدل موقع الفسطاط على نظرة صائبة من قبل العرب إذ يمتاز موقع هذه المدينة بتوسطه بين مصر السفلى ، والعليا ، وله عدة مزايا تجارية وسياسية وحربية، فقد اثبتت الحفريات أنها قامت على كتلة عظيمة من الصخر ، تشمل هضابا ووهادا وكان وجودها على تلك الربوة يمنع فيضان الماء عليها ، وكانت هذه الربوة مغطاة في وقت ما باحجار كبيرة جدا ، فكسرت وسويت[١٠٩] .

وكان جانب المدينة الشرقى جبليا ، يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال ، وكانت تبدو حين ينظر إليها من بعيد كأنها جبل[١١٠] وقد اعتاد العرب عامة على اختيار عواصمهم بعيدة عن السواحل[١١١] .

وبهذا تحققت للفسطاط الحماية الطبيعية ، وكان وجودها على رأس الدلتا قد جعلها فى مأمن من هجمات العدو فيحميها من الشرق جبل المقطم ضد العدو وضد فيضان النيل ، كما كان لها جانب يمكن أن يضطرد اتساعها منه وهو الشمال . وبنيت العسكر والقطائع فى هذه الناحية[١١٢] .

وقد تعددت آراء المؤرخين حول لفظ فسطاط الذى أطلق على العصمة الجديدة ، من اشهر هذه الآراء أنها سميت نسبة إلى فسطاط عمرو أى خيمته ، الذى تركه فى ذلك المكان عندما أراد التوجه إلى الإسكندرية بعد فتح حصن بابليون ، إذ وجد يماما قد فرخ فقال عمرو : "لقد تحرم منا بحرم" وأقر فسطاطه كما هو وأوصى به صاحب الفقر ، ولما عاد المسلمين من الإسكندرية قالوا أين ننزل ؟ قال : الفسطاط ، أى لفسطاطه الذى كان خلفه[١١٣] .

ويذكر الجواليقى أن لفظ فسطاط فارسى معرب(١١٤) ، والأصوب أن هذا اللفظ مشتق من اللفظ اليونانى "فساطن" المشتق من اللفظ اللاتينى (Fossatum) الذى يطلقه الرومانيون على معسكراتهم الحربية ، وكانت كلمة فسطاط شائعة فى أرجاء الامبراطورية البيزنطية حيث كانوا يطلقونها على معسكراتهم الحربية وتؤيد أوراق البردى ذلك القول ، فاسم فسطاط كان موجودا قبل تأسيس الفسطاط ، وقد احتفظ العرب بتلك التسمية بعد ما احتلوا المعسكر الحربى(١١٥) .

كانت الفسطاط أول أمرها مدينة متواضعة مشيدة باللبن لا يعلو بنيانها على الطابق الواحد(١١٦) ، وكان هذا يتفق مع حياة البساطة التى كان عليها المسلمون فى ذلك الوقت ، كما جرت العادة لدى العرب بدأ عمرو بإنشاء المسجد الجامع ، وخط فى المنطقة المحيطة به سوقا ومن حول ذلك السوق اختطت الخطط للقبائل وجعلت خطة "أهل الرأى" قريبة من المسجد(١١٧) ، واختط عمرو داره بجوار المسجد، وحول داره والمسجد خطط القبائل العربية وغيرهم من أقوام الفرس والروم الذين سبق لهم الدخول فى الإسلام(١١٨) .

ويشير وصف هذه الخطط إلى أن بعضها اختص بقبيلة واحدة ، وأن القبائل الكبيرة العدد كان لها أكثر من خطة ، والقبائل محدودة العدد ضمت مع بعضها فى خطة واحدة(١١٩) .

وكانت خطط القبائل العربية تمتد من النيل غربا حتى عين الصيرة شرقا ، ومن جبل يشكر شمالا حتى الشره وجبل الرصد (اسطبل عنتر جنوبا)(١٢٠) وبلغت خططها سبعا وأربعين خطة عند إنشائها (١٢١) وأطلقت على كل خطة اسم القبيلة

التى استقرت فيها ، وتركت حرية تقسيم كل خطة لأفراد القبيلة ، وكان بكل خطة مسجد أو أكثر ، وتضمنت الخطط ساحات فضاء أو رحاب استغلت فى أغراض مختلفة[١٢٢] .

ولم تكن خطط الفسطاط لجميع قوات عمرو ، وذلك لأن عمرو بن العاص كان قد استبقى نصف قواته للإقامه بالفسطاط ، فى حين أرسل فريقا من قواته للمرابطة بالإسكندرية وسائر الثغور المصرية[١٢٣] .

وعلى الرغم من أن الفسطاط بدأت متواضعة إلا أن العرب سرعان ما تخطوا البساطة وتوسعوا فى البناء إذ شيد عبد الله بن سعد بن سرح والى مصر (٢٥-٣٥هـ) من قبل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ قصرا كبيرا عرف باسم "قصر الجن"[١٢٤] .

كما بنى مروان بن الحكم لنفسه بعد أن ولى الخلافة دارا عظيمة عند قدومه إلى مصر سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م ، كذلك شيد بها عبد العزيز بن مروان دارا ضخمة أطلق عليها دار الذهب ، وجعل لها قبة كانت إذا طلعت الشمس عليها لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفا على بصره ، ويقال إن الدار كانت من الضخامة لدرجة أنها سميت بالمدينة لعظم سعتها[١٢٥] .

وبنى بالفسطاط أيضا الحمامات والأسواق ، والميادين كما أسس لها المصانع المختلفة ، فبنى عبد العزيز بن مروان قيساريات العسل والحبال والبز ، وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التى تعرف بقيسارية هشام[١٢٦] ، وهكذا شقت الفسطاط

طريقها لأن تكون مدينة ذات حضارة لأن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التى تدعو إليها الترف والدعة وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها[١٢٧] .

وعلى الرغم ما تعرضت له الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية من تدمير خلال الاضطرابات التى تعرضت لها بعد ذلك ، فان المدينة أخذت تنمو حتى أصبحت دهشة الرحالة القادمين من كل مكان فقد وصفها الاصطخرى المتوفى سنة ٣٤٠هـ / ٩٩٠م أن دور الفسطاط تتكون من أربع طبقات وخمس كالمنائر، يدخل إليها الضياء من الوسط وأنه يسكن الدار الواحدة مائتى نفس[١٢٨] .

أما ناصر خسرو الذى زار مصر خلال القرن الخامس الهجرى فقد ذكر أن الفسطاط تبدو بعيدة كالجبل لارتفاع منازلها التى تتراوح بين سبع طبقات وأربع عشرة طبقة ، كما أشار إلى أن شوارعها تضاء نهارا بالقناديل لأن ضوء الشمس كان لا يصل إلى أرضها[١٢٩] .

ووصف القضاعى الفسطاط خلال القرن الخامس الهجرى بأن لها ستة وثلاثون ألف مسجد ، وثمانية ألف شارع ومائة وسبعون حماما[١٣٠] .

ومن الملاحظ أن الفسطاط ظلت تحتل مكان الصدارة والأهمية وظلت تزدحم بالسكان ، وكان ساحلها عامر بالمراكب كما كان بها داران للصناعة – صناعة السفن – وهما صناعة الروضة ، وصناعة الفسطاط[١٣١] .

تعرضت الفسطاط أكثر من مرة للتخريب ففى سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م أمر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أميه بإحراقها أثناء فراره أمام جيوش العباسيين بعد انسحابه منها[١٣٢] .

كذلك تعرضت المدينة للسلب والنهب عندما قام محمد بن سليمان قائد الجيش العباسى سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م بمحاربة الطولونيين[١٣٣] ، وتعرضت المدينة للنهب على يد الجنود الفاطميين زمن الخليفة الحاكم بأمر الله ، والخليفة الظاهر. وكان أخطر ما تعرضت إليه الفسطاط من تخريب خلال أيام الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٥٧-٤٦٤هـ / ١٠٦٥-١٠٧١م[١٣٤] .

كما منيت الفسطاط بخراب عظيم أتلف معظم مرافقها وذلك أثناء الصراع الذى نشب بين شاور وضرغام وزيرى الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م ، وذلك بعد أن أمر شاور بإخلائها من سكانها ، وبعث إليها بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار ، وفرق ذلك لمنع الجيش الصليبى بقيادة عمورى ملك بيت المقدس من الاستيلاء على مصر ، واستمرت النيران مشتعلة فيها حوالى أربعة وخمسين يوما[١٣٥] .

ومنذ هذه الحادثة أفل نجم الفسطاط رغم أن صلاح الدين الأيوبى حاول أن يجمع بين القاهرة وما بقى من الفسطاط بسور واحد[١٣٦] ، حيث تحولت الفسطاط إلى الأطلال المعروفة الآن "بكيمان" وحسبنا دليلا على ما أصابها من خراب وتدهور ذلك الوصف الذى تركه لنا الرحالة المغربى على بن سعيد الذى زار مصر سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م ، إذ يقول : "ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء ، وأفاقا مغبرة ، ودخلت من بابها وهو دون غلق يفضى إلى خراب مغمور بمبان مشتته الوضع ، غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من الطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود

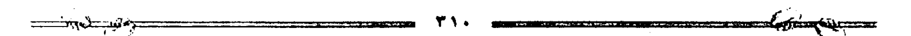
والأزبال ما يقيض نفس النظيف وبعض طرف الظريف ...[١٣٧] ، ومع مطلع القرن التاسع الهجرى كان ميناء الفسطاط قد تلاشى ، كما تدهورت الفسطاط وفقدت أهميتها الاقتصادية بشكل تدريجى حتى هجرها الناس فى نهاية القرن التاسع الهجرى[١٣٨] .

٥. *القيروان ٥٠هـ / ٦٧٠م :*

يذكر أن عقبة بن نافع الفهرى خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حديج سنة ستة وأربعين ومعه بسر بن أبى أرطأة ، وشريك بن سمى المرادى ومعه ناس آخرون واصل فتوحة واستيلائه على الحصون حتى وصل القيروان الذى كان معاوية بن حديج قد بناه قبله فلم يعجبه ، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان ، وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش والسباع والهوام ، نادى بأعلى صوته : يأهل ارتحلوا رحمكم الله فإنا نازلون ، نادى بذلك ثلاثة أيام[١٣٩] .

وكان عقبة مستجاب الدعوة ، ثم نادى : أيتها الحيات والسباع انا أصحاب رسول الله ﷺ أرحلوا عنا ، فإنا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم إلى الدواب تحمل أولادها وتنتقل ، فرآه قبيل كثير من البربر فأسلموا ، وقطع الأشجار ، وأمر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع ، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع والباع يساوى ١.٨٤ مترا .

وكان عقبة أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ، واتسعت خطة المسلمين ، وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها وكان ذلك سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م[١٤٠] .



ويذكر ابن عذارى المراكشي أن أصحاب عقبة أشاروا عليه أن يتخذ عاصمته فى أفريقية قريبة من البحر حتى يتسنى لهم الجهاد والرباط ، إلا أن عقبة رد عليهم قائلا "أنى أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها صاحب البحر إلا وقد عام به"(١٤١) .

وكان عقبة موفقا فى اختيار موقع المدينة ، حيث أن بعدها عن البحر يجعلها فى مأمن من غارات الأساطيل البيزنطية ، وأن موقعها الداخلى بالقرب من الأراضى السبخة جعلها تشرف على المراعى التى سهل على ابل وخيول وحاشية المسلمين ارتيادها(١٤٢) .

بنى عقبة بن نافع مدينة القيروان مكان حصن قديم للدولة ، وكانت القيروان رابع مدينة إسلامية يؤسسها المسلمون فى الأمصار ، وقد بدأ بناءها سنة ٥٠هـ/٦٧٠م انتهى سنة ٥٥هـ/٦٧٥م .

مسجد القيروان:

اهتم عقبة بن نافع بالعاصمة الجديدة ، وكان المسجد هو أول ما اختط فيها. وقد وصف المؤرخون اهتمام عقبة بالمسجد الجامع بالقيروان ، حتى أنهم قالوا أن عقبة بن نافع بنى مسجدا له ، وقد زاد في هذا المسجد حسان ابن النعمان ، قال ابن عبد الحكم: " ثم أنصرف حسان فنزل موضع قيروان أفريقية اليوم وبنى مسجد جامعتها... "(١٤٣)، ثم زاد فيه بشر ابن صفوان في عام ١٠٥هـ / ٧٢٣م وتمثل عمارته آخر الزيادات في العصر الأموي(١٤٤) ، وقد ازدهرت المدينة حتى أصبحت عاصمة

المغرب كله ، ووصفها ابن حوقل بقوله : " أنها أعظم مدن المغرب وسجل اعجابه بعمارة مبانيها وحسن أسواقها ورواج تجارتها ويسار أهلها "(١٤٥) .

والقيروان إحدى المدن الإسلامية التى مثلت مركزا حضاريا هاما فى الدولة الإسلامية ، حيث أسهمت بنصيب موفور فى نشر الإسلام فى أفريقيا ، ومنها انتقل إلى أوربا ، وكانت القيروان خلال العصر الأموى قاعدة حضارية واستراتيجية هامة(١٤٦) حتى أن الأمويين خشوا نفوذ أهلها وكذلك خشوا نفوذ عقبة بن نافع بها مما جعل مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر من قبل معاوية – وكان قد استعمله أيضا على أفريقيا – يقوم بعزل عقبة ، واستعمل على أفريقيا مولى له يقال له "أبو المهاجر" الذى قدم أفريقية وأساء عزل عقبة ، واستخف به ، وسار عقبة إلى الشام وعاتب معاوية على ما فعله أبو المهاجر دينار ، فاعتذر له معاوية ووعده باعادته إلى عمله إلا أن معاوية توفى ، وولى بعده ابنه يزيد ، فاستعمل عقبة بن نافع على أفريقيا سنة ٦٢هـ/٦٨١م(١٤٧) .

ولما أعيد عقبة إلى ولايته فى أفريقيا بعد أن أكرمه يزيد قيل أيضا أن مسلمة بن مخلد اعتذر عما صدر من أبى المهاجر دينار ، وانتقم من أبى المهاجر وقبض عليه، وأوثقه فى الحديد وصادر أمواله(١٤٨) .

هذا وقد عانت القيروان الإهمال أثناء ولاية أبو المهاجر دينار فقد تم إخلاءها من العسكر ، وانتقلت الإدارة والحكومة إلى المدينة الجديدة التى اختطها أبو المهاجر على بعد ميلين من القيروان ، وأمر الناس بالتحول عن القيروان ، بل أمعن فى الإساءة إلى مدينة القيروان وأمر الناس بإحراقها(١٤٩) .



ثم عاد للقيروان مكانتها بعودة عقبة فقام بتجديد مبانيها وترميم ما احتاج إلى ترميم ، وأمر الناس بالعودة إلى الحياة فيها فرجعت تمارس أنشطتها الفكرية والاجتماعية ، وتجدد الرباط وأحيا الجهاد(١٥٠) .

ويذكر اليعقوبي أن مدينة القيروان كان عليها سور من لبن وطين ، فهدمه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، ويذكر أن شربهم من ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المؤاجل ، فمنها شرب السقاه ، ولهم واد يسمى وادى السراويل فى الناحية القبلية من المدينة ، يأتى فيه ماء مالح لأنه فى سباخ الناس يستعملونه فيما يحتاجون إليه(١٥١) .

ولما قتل عقبة على يد البربر ومعه أبى المهاجر دينار انسحبت الجيوش الإسلامية من القيروان إلى برقة إلا أن سلطان الإسلام استمر وعادت القيروان مرة أخرى إلى المسلمين على يد زهير بن قيس لتواصل القيام بدورها الحضارى والفكرى الذى ارتبط باسمها منذ نشأتها فى القرن الأول الهجرى(١٥٢) .

٦. *مدينة واسط ٨٣-٨٦هـ / ٧٠٢-٧٠٥م*

يذكر أنها سميت بذلك لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منها خمسين فرسخا ويذكر أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمى واسط قصب ، فلما عمر الحجاج مدينته سماها واسط باسمها ، وقد شرع الحجاج في عمارة واسط سنة ٨٤هـ وكانت عمارتها في عامين ففرغ منها سنه ٨٦هـ في العام الذي مات فيه عبد الملك بن مروان (١٥٣) ، وتقع مدينة واسط اليوم إلى الجنوب الشرقي من بلدة الحي في محافظة واسط على بعد ١٥كم ، وتدعى بين سكان المنطقة

بالمنارة نسبة إلى بقايا إحدى المنارتين اللتين تحيطان بمدخل فخم من الناحية المعمارية والزخرفية ، ومن المرجح كما يذكر د.عيسى سلمان أنه مدخل المدرسة الشرابية أو الأقبالية التي شيدها شرف الدين أقبال الشرابي ببغداد في عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م ، وهي المدرسة التي أشرف على عمارتها شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله [١٥٤] .

وكان الحجاج بن يوسف قد رغب في بناء مدينة جديدة ، تسهل عليه إدارة العراق بعد أن أحس أنه من الصعب عليه الاستمرار في حكم العراق ، فأرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يستأذن في عمارتها ، فأذن له الخليفة بذلك ، قال الطبري في أحداث سنة ٨٣هـ /٧٠٢م وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطا[١٥٥]

وقال ابن تغرى بردى فيما يتعلق بالاسم عند ذكره السنة الثالثة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهي سنة ٧٨هـ " وفيها فرغ الحجاج بن يوسف ، وانما سميت واسط لأنها بين الكوفة والبصرة ، منها إلى الكوفة خمسون فرسخا وإلى البصرة كذلك"[١٥٦] .

وقد ذكر د. عيسى سلمان [١٥٧] أن هجر وخراب هذه المدينة الهامة يرجع إلى عامل رئيسي يتمثل في تغيير مجرى نهر دجلة ، وقد تم أختيار موقع واسط بعناية بالغة فهي عبارة عن بقعة مرتفعة عن مستوى سطح النهر ، هواؤها عذب ، وطعامها سائغ على دجلة ، وهي تتوسط العراق أو المدن الهامة فيه مثل البصرة ، والكوفة والمدائن لذلك عرفت بواسط [١٥٨]

هذا وقد اختلفت الآراء من قبل المؤرخين والجغرافيين حول تاريخ الابتداء في إنشاء مدينة واسط حيث ذكر أن الابتداء كان في عام ٧٨هـ/٦٩٧م ، وذكر أن الابتداء كان في عام ٨٣هـ/٧٠٢م ، وأن الفراغ كان في عام ٨٦هـ/٧٠٥م، ويرجح د. عيسى سلمان أن التاريخ الثاني هو الصحيح ، وهو التاريخ الذي تقدم ذكره عند ذكر نص الطبري ، ثم أن ابن الأثير ذكر في أحداث سنة٨٣ هـ/٧٠٢م ما نصه" وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطا"(١٥٩)

وعلى الرغم من أن تخطيط واسط يعد استمرارا لتخطيط البصرة والكوفة إلا أن تخطيط واسط يمثل مرحلة أكثر تطورا نتيجة تغير الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية للدولة العربية الإسلامية ، لذا فإن هذا التطور يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة هذه الفترة من تاريخ المجتمع العربي الإسلامي(١٦٠).

أمر الحجاج بن يوسف بتشديد دار الإمارة أو القصر والمسجد الجامع في قلب المدينة وترك حولها فاصلا يفصلها عن الأسواق والدور والخطط ، وأمر أن يشغل القصر مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٤٠٠ذراع ، وأن يكون هذا القصر ملاصقا للمسجد الجامع الذي جاء أيضا من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٢٠٠ذراع ، كما أمر أن يكون القصر بمثابة مركز المدينة أي يتوسطها تماما بحيث تؤدي إليه أو تتقاطع عنده الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة ، وجعل خطط الناس بين هذه الشوارع الرئيسية (١٦١) .

وقد أفرد الحجاج الخطط لأصحاب المهن كل على حسب مهنته ، وأفرد خطط أهل الشام وأهل البصرة والكوفة ، وجعل الأسواق تفصل بين الخطط وقلب

المدينة ، أما فيما يتعلق باستخدامات المدينة الحربية ، فقد ذكر أن الحجاج حصن المدينة بسورين وخندق ، وذكر أن أحاطها بسور وخندقين ، وأمر أيضا أن تقام الأبواب الحديدية في مداخل المدينة ، وأن تغلق ليلا لكي لا يسمح لغير أهلها المبيت فيها، ويضيف د. عيسى سلمان أن بناء المدينة كلف الحجاج خراج العراق لمدة خمس سنوات(١٦٢).

ونلمس التطور الذي طرأ على تخطيط وعمارة مدينة واسط مقارنة بتخطيط وعمارة البصرة والكوفة في زيادة سعة دار الأمارة أو القصر على سعة المسجد الجامع، وجعلها تمثل مركز المدينة بعد أن كان المسجد الجامع يمثل هذا المركز في مدينتي البصرة والكوفة ، وقد صارت دار الأمارة تعرف بقصر الحجاج ، وعرفت بقبتها الخضراء التي كانت ترى من مسافات بعيدة.

ويرجح د.عيسى سلمان أن الحجاج بن يوسف قد تأثر بشكل مباشر في تحديد سعة القصر بما كان في دار الأمارة بالكوفة في العصر الأموي ، حيث وسعت الدار وصار طول ضلع سورها الخارجي ١٧٦ مترا ، بينما كان طول ضلع المسجد ١٠٣ مترا ، ويعكس هذا التوسع ازدياد عدد أفراد الجهاز الإداري ، وتنوع المهام حيث جعلت دار السك ضمن قصر الحجاج(١٦٣).

كما يمكن أن نلمس التطور في خطط المدينة ، حيث جاءت غير قبائلية ، بل مهنية وإقليمية تختلف عن خطط البصرة والكوفة ،ويمتد هذا التطور إلى التخطيط أيضا فقد قسمت واسط إلى أربعة أرباع تفصلها شوارع مستقيمة تنتهي في مركز المدينة ، أما في مدينتي البصرة والكوفة فقد كانت الشوارع الرئيسية بعدد خطط

القبائل تقريبا ، كذلك من مظاهر التطور أيضا تحصين المدينة بسورين وخندق أو بخندقين وسور ، وهي الاستحكامات الحربية التي خلت منها البصرة والكوفة لأنهما كانتا مراكز انطلاق بالدرجة الأولى ، أما واسط فصارت مركزا إداريا ، حيث استقرت مبادئ الدين الجديد في البلاد ، كذلك اختيار الموقع ، حيث لم يراع فيه قضية المانع الطبيعي بين المدينة الجديدة ، وحاضرة العالم العربي الإسلامي(١٦٤).

المسجد الجامع بواسط:

يشغل مساحة مربعة أبعادها ١٠٣.٥X١٠٤.٥ م وشيد البناء بالطابوق والجص وسمك الجدار ٢٠٥م تقريبا وكانت سقوفه ترتكز على أعمدة أسطوانية من حجر رملي وتتميز الأعمدة بزخارفها النباتية والهندسية المحفورة عليها وكان تخطيط المسجد في عهد الحجاج بن يوسف من صحن مستطيل وأربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة(١٦٥) ، وكان الدخول إليه يتم من أحد عشر بابا جدد هذا الجامع سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م بدون إحداث زيادة بغرض تصحيح قبلته حيث كانت منحرفة بمقدار ٣٤درجة عن الخط القبلى الصحيح ، ثم هدم المسجد مرة أخرى في عام ٥٥٠هـ/١١٥٥م وأعيدت عمارته على نفس المساحة وبنفس التخطيط(١٦٦)

القصر:

اهتم الحجاج بن يوسف الثقفي اهتماما خاصا بدار الأمارة التي كانت تعرف بقصر الحجاج فجعلها تمثل قلب المدينة بحيث تؤدي إليها أو تتقاطع عندها الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة ، وجاءت هذه الدار

في مساحتها ضعف مساحة المسجد الجامع ، وذكر أنه أسند تخطيط وعمارة القصر إلى أثنين من المهندسين هما القاسم بن أنبار وأبو شعيب ابن الحجاج وكان طول ضلع الدار حوالي ٢٠٠م وأنها مربعة الشكل وكانت مشيدة بالطابوق والجص مثل المسجد الجامع [١٦٧]

أشتهر قصر الحجاج بقبته العالية الخضراء وكانت تشاهد من مسافات بعيدة وتشتمل الدار على حديقة واسعة وبركة ماء ، وكان يتوصل إليها من خلال أربعة أبواب يؤدي كل منها إلى طريق عرضه ثمانون ذراعا وهي الطرق الرئيسية التي تخترق خطط المدينة ، فيكون القصر قلب المدينة [١٦٨]

وأنفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم.

٧. *قرطبة* :[١٦٩]

تعتبر مدينة قرطبة من أقدم المدن فى شبة الجزيرة الأيبيرية ، وكانت تعرف باسم كوريا (Carduba) وقد حظيت بقسط وافر من الشهرة فى العصور القديمة ، فيذكر القرى أن بناءها كان قبل ميلاد المسيح بثمان وثلاثين سنة[١٧٠] ونالت قرطبة عناية فائقة من حكام المسلمين بالأندلس .

اتخذ الفاتحون المسلمون للأندلس من قرطبة دارا للإمارة منذ سنة ٩٧هـ/٧١٢م ، واهتم بها ولاة الأندلس كما اهتم بها الخلفاء الأمويون فى الشام ، فعلى سبيل المثال أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ببناء جسر قرطبة الشهير على نهر الأعظم بالمدينة ذلك الجسر لم يعرف فى الدنيا مثله[١٧١] .

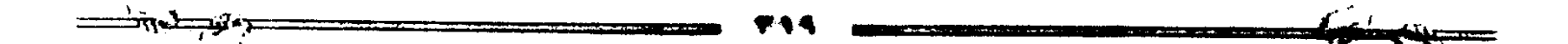


وكانت ولاية عبد الرحمن الداخل للأندلس نقطة تحول فى تاريخ قرطبة ، فقد أولاها عناية واهتماما كبيرا حتى أصبحت قرطبة مركزا من أهم مراكز الإشعاع الحضارى فى أوربا ، وتمتعت فى ظل بنى أمية بمكانه مرموقة فى الحياة الفكرية(١٧٢) .

وقرطبة مدينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ورحاب فسيحة ولها بابان يشرعان فى سور المدينة إلى الطريق الآخذ على الوادى من الرصافة – مساكن أعالى ربضها – وابنيتها متشابكة مستديرة على البلد من شرقه وشماله وغربه ، والأسواق والبيوع والخانات والحمامات ومساكن العامة بربضها بجانبها ومسجد جامعها جليل عظيم والحبس منه قريب ، وقرطبة بائنة بذاتها عن مساكن أرباضها – أحياءها – وهى مستديرة حصينة وسورها من حجر ، ولقرطبة سبعة أبواب حديد، وهى فخمة واسعة(١٧٣) .

وقد ذكر أن مساحتها التى تدار حولها السور تبلغ ألف وستمائة ذراع ، واتصلت العمارة بها أيام بنى أمية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا ، وذلك من الأميال أربعة وعشرون فى الطول وستة أميال فى العرض ، وهذه المساحة عبارة عن ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادى الكبير(١٧٤) .

ووصف العلماء قرطبة فقالوا : هى مدينة أزلية من بنيان الأوائل ، طيبة الماء والهواء ، أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب ، وهى المحرث العظيم الذى ليس له فى بلاد الأندلس نظر ولا أعظم من بركة(١٧٥) .



ويذكر عن أرباض - أحياء - قرطبة أنها كانت عديدة وهى عبارة عن محلات سكنية متكاملة ، بنيت لها أسوار خاصة بها ، كانت تربطها بأسوار المدينة الأصل ، فتحت لها الأبواب التى تيسر الاتصال بين المدينة وأرباضها المختلفة ، واشتمل كل ربض على التكوينات المعمارية التى تستلزمها حياة سكنية(١٧٦) .

ومثال لهذه الأرباض هى : ربض شقنده - ربض حوانيت الريحان ، ربض مسجد الكهف ، ربض مسجد الروضة ، ربض باب اليهود - ربض الرصافة ، ربض البرج ، ربض الزهراء ، ربض المدينة العتيقة(١٧٧) .

ومن قصورها المشهورة : الكامل والمجدد والحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك ، والرستيق وقصر المسرور والتاج والبديع(١٧٨) .

أما قصر الخلافة فقد وصف بأنه "أول تداوله ملوك الأمم من عهد موسى النبى عليه السلام ، وفيه من المبانى الأولية والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والأمم السالفة ما يعجز عنه الوصف ، ثم ابتدع الخلفاء من بنى مروان فى قصرها البدائع الحسان ، وأثروا فيها الآثار العجيبة والرياض الأنيقة ، وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المساحات البعيدة ، تمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها إلى القصر الكريم وأجروها فى كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه فى قنوات الرصاص تؤديها إلى المصانع - الخزانات - صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج العذبة فى أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة(١٧٩) .

عاشت قرطبة منارة للعلم والفكر الإسلامى أسهم العديد من علماؤها فى كثير من مجالات العلم والفكر، ومن خلالهم انتقلت العلوم إلى أوربا ، وظلت تقوم بهذا الدور الحضارى العظيم إلى أن إنهارت الخلافة وقامت على أنقاضها ممالك الطوائف ، وكانت نكسة عنيفة لوحدة الأندلس ، واندثرت قرطبة باسترداد المسيحيين لبلاد الأندلس ، وحين دخلوا حاضرة الخلافة الإسلامية وحولوا مسجدها الجامع الكبير إلى كنيسة ما يزال تحمل اسمه فتعرف بكنيسة الجامع[١٨٠] .

٨. العسكر (١٣٣هـ/٧٥٠م):

بعد هزيمة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وقتله فى بوصير أصبحت الخلافة خالصة لبنى العباس ، عندئذ أمر صالح بن على الذى قاد الجيش العباسى فى هذا الصدام بالبناء ، فبنوا العسكر فى المكان المعروف بالحمراء القصوى ، الواقعة شمال شرقى الفسطاط والتى كان يسكنها الروم الذين قدموا مع عمرو بن العاص .

وكانت خطة بنى الأزرق وبنى روبيل وبنى يشكر وبنى جزيلة ، ثم اندثرت هذه الخطط حتى صارت صحراء جرداء [١٨١] ، وكان حد هذه المدينة من الجنوب عند كوم الجارح ومن الشمال قناطر السباع أمام المشهد الزينبى ، ومن الغرب قناطر السد[١٨٢] .

وقد أنشئت العسكر اما لرغبة العباسيين فى أن يتخذوا لأنفسهم مقرا لم يسبق إليه غيرهم ، واما لأن مروان بن محمد كان قد أحرق جانبا كبيرا من

الفسطاط[183]. وأسست هذه المدينة أصلا لإيواء العسكر العباسي فسميت بالعسكر[184]

شيد الصالح بن على بالعسكر دار للإمارة ، ظل ينزلها الولاة العباسيون وكان بعضهم يسكن الفسطاط إلى جانب العسكر[185].

وبعد تأسيس العسكر بقليل ورد كتاب أبى جعفر المنصور على يزيد بن حاتم والى مصر سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط[186] كذلك شيد بها الفضل بن صالح بن على مسجداً جامعا سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م ، وتم تجديد المسجد الجامع بالعسكر فى عهد والى مصر عبد الله بن طاهر ولم يكتب له البقاء طويلا حيث إندثر وعرف بجامع العسكر[187].

والعسكر ثانى عواصم مصر الإسلامية ، وأصبحت مقرا لشرطة خاصة غير شرطة الفسطاط ، عرفت بالشرطة العليا باعتبارها تقع شمالا ، فى حين كان يطلق على شرطة الفسطاط اسم الشرطة السفلى لأنها كانت تقع جنوب ، بل أن صاحب الشرطة السفلى فى الفسطاط كان أعظم شأنا وأكثر اختصاصا من نظيره فى العسكر باعتباره حاكم القسم الرئيسى الأصيل فى الحاضرة[188].

ولما قدم أحمد بن طولون إلى مصر سكن العسكر مدة ثم تحول عنها إلى القطائع . وخلال عهده بنى بها مارستانه بالقرب من بركة قارون[189].

وأنفق على بنائه ستين ألف دينار ، وأخذ الجزء الأكبر منه من الكنز الذى عثر عليه فى تنور فرعون ، وأوقف عليه عدة أماكن لضمان استمراره ، وشرط ألا يعالج فيه جندى مملوك ، كما شرط أنه إذا جئ بالعليل تنزع ثيابه ، ويودع ما معه من

المال عند أمين البيمارستان وتقدم له ثياب خاصة من البيمارستان، ويخصص له الدواء مجانا حتى يتم شفاءه(١٩٠) .

وكان أحمد بن طولون حريصا على تفقد البيمارستان وزيارته يوم الجمعة من كل أسبوع، حيث يطوف على خزائن الأدوية ويتفقد أعمال الأطباء ويشرف على سائر المرضى من المجانين حتى غافلة فى يوم أحدهم ورماه برمانه عريشية كبيرة كادت تقضى عليه، فلم يعاود النظر فى البيمارستان بعد ذلك(١٩١) .

وفى عهد خمارويه تحولت المدينة إلى ديوان للخراج، ولما زالت دولة بنى طولون وخربت القطائع عاد ولاة مصر ينزلون بدار الإمارة بالعسكر إلى أن قدم القائد جوهر الصقلى من المغرب وبنى القاهرة المعزية سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، فتحول مركز الحكم إليها(١٩٢) .

وكان من أهم الدور التى بنيت بالعسكر بجانب دار الإمارة:

دار كافور الأخشيدى : يذكر المقريزى أنه بناها بالعسكر على بركة قارون. وقد أنفق عليها مائة ألف دينار، وسكنها سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م ثم انتقل منها بعد أيام لوباء وقع فى غلمانه من بخار البركة(١٩٣) .

قبة الهواء : وهى دار شيدها حاتم بن هرثمة والى مصر (١٩٤-١٩٥هـ/٨٠٩-٨١٠م) من قبل الخليفة العباسى الأمين - على جبل المقطم، وقد استمرت قائمة حتى عصر الطولونيين، وقد شيدها من الحجارة وغيرها من مواد البناء(١٩٤) .

٩. بغداد ١٤٥ هـ / ٧٦٢م:

بغداد[١٩٥] هي دار السلام ، وأزهى مدن الزمان بناها الخليفة أبو جعفر المنصور لتكون مقر حكمه وعاصمة ملكة ، ومعقل جنده ومأمن أهله وخاصته ، وذلك لأن العباسيين حالفوا خراسان في أول الأمر ، لكنهم لم يجعلوا مقرهم فيه ، فابتعدوا عن القطر الذى قوى شأنهم وعضد أمرهم ، ثم أنهم لم يستقروا في الكوفة، لأنهم لا يأمنون أهل الكوفة حيث كانوا قد أفسدوا الجند العباسيين[١٩٦] .

وكان السفاح قد بنى مدينة قرب الأنبار وسماها الهاشمية ، فلما كان زمن أبى جعفر المنصور ووقعت واقعة الراوندية فيها كره المنصور سكناها لذلك وأيضا لمجاورة أهل الكوفة[١٩٧] .

لم ترق الهاشمية لهم أيضا فأخذ أبو جعفر المنصور يبحث عن مكان يبنى فيه مدينة جديدة تكون مقر حكمه وعاصمة ملكه ، وسار حتى أتى الموصل ، ثم أرسل جماعة من الحكماء ، وذوى اللب والعقل ، وأمرهم بارتياد موضع ، فاختاروا له موضع يصلح أن يكون عاصمة للدولة العباسية فذهب إلى هناك واعتبر المكان ليلا ونهار ما ستطابه وبنى به مدينته[١٩٨] .

وتروى المصادر أهمية المكان الذى وقع عليه الاختيار لبناء بغداد ، حيث نبهه بعض العقلاء النصارى على فضيلة مكانها فقال : "يا أمير المؤمنين تكون المدينة على الصراه بين دجلة مع الفرات فإن حاريك أحد كانت دجلة والفرات خنادق لمدينتك ، ثم أن الميرة تأتيك فى دجلة من ديار بكر تارة ، ومن البحر والهند والصين والبصرة تارة أخرى ، وفى الفرات من الرقة والشام وتجيك الميرة أيضا من خراسان

وبلاد العجم فى شط تامرا ، وأنت يا أمير المؤمنين بين أنهار لا يصل عدوك إليك إلا على جسرا أو قنطرة ، فإذا قطعت الجسر أو خربت القنطرة لم يصل إليك عدوك ، وأنت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسود ، وأنت قريب من البر والبحر والجبل(١٩٩) .

هذا من حيث موقع المدينة أما من حيث مخططها ففيه يتجلى ذكاء كبير ، حيث جاء تخطيط بغداد مما استحدث فى تخطيط المدن الإسلامية ، فقد جعلها أبو جعفر المنصور مدوره ، وأقام بمركزها قصر الخلافة ، وإلى جانبه الجامع الذى سمى بجامع المنصور(٢٠٠) .

وضع المنصور بيده أول لبنه وقال : "بسم الله والحمد لله ، الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين" ثم قال ابنوا واستغرق بناء المدينة عاما كاملا ، فابتدأ بها فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وتمها فى سنة ست وأربعين ومائة ، وجعل لها أربعة أبواب هى باب خراسان ، وباب الشام ، وباب الكوفة ، وباب البصرة(٢٠١)

جعل المنصور بين كل باب من أبوابها والباب الآخر ميل ، وبجانب كل باب أبنية كبيرة لإقامة الفرق العسكرية ، والأبواب الأربعة تفضى جميعا إلى الساحة الواقعة فى المركز(٢٠٢) عند قصر الخلافة ، حيث كان الخليفة يستطيع أن يراقب هذه الشوارع جميعا من قصره وأن يعرف ما يجرى فيها ، وقد بنى المنصور فيها الخضراء فوق ايوان ، وكان ارتفاعها ثمانين ذراعا ، وهى تاج بغداد ومأثره من مآثر بنى العباس ، ويذكر ابن طبطبا أن تكاليف بناء المدينة بلغت أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثين درهما(٢٠٣) .

اهتم المنصور عند تخطيط بغداد بالمرافق الهامة وخاصة الأسواق حيث عمل على توفيرها فى كل ربض من أرباض المدينة ، وذكر اليعقوبى أنه حدد لكل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الأذرع ولمن معه من أصحابه وما قدره الحوانيت والأسواق فى كل ربض ، وأمرهم أن يوسعوا فى الحوانيت ، ليكون فى كل ربض سوق جامعة ، تجمع التجارات[٢٠٤] .

وحدد لهم المنصور أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعا بالسوداء ، والدروب ست عشره ذراعا ، وأن يبتنوا فى جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفى بها من فى كل ناحية ومحله[٢٠٥] .

وعمرت المدينة وازدحمت بالناس ومن ثم اقطع الخليفة قواده وعماله القطائع خارج أسوار بغداد ، حيث رأى المنصور أن ينقل التجار خارجها محافظة على أمنها ونظافتها وتوفير الهدوء فيها ، وأنشأ " الكرخ " ليضم التجار جميعا ، وكان تخطيطه مثالا جيدا يعكس المستوى الذى وصل إليه تخطيط الأسواق حيث حدد لكل أهل تجارة مكانها ، وفصل بين أهل التجارات والحرف فخصص لكل حرفة أيضا منطقة خاصة بها[٢٠٦] ونتيجة لازدحام بغداد أمر المنصور ببناء الرصافة وجعلها ثكنات للجيش[٢٠٧] .

وكانت بغداد جنة الدنيا ، ومدينة السلام ، وقبة السلام ، ودار الخلافة ، ومجمع الرافدين ، وعزة البلاد /ومعدن الظرائف واللطائف والمحاسن والطيبات ، ولها أرباب الغايات فى كل فمن ، وآحاد الدهر فى كل نوع[٢٠٨] .



ويذكر اليعقوبى أنها ليست كالشام الوبيئة الهواء الضيقة المنازل ، الحزنة الأرض ، المتصلة الطواعين الجافة الأهل ، ولا كمصر المتغيرة الهواء ، الكثيرة الوباء التى أنما هى بين بحر رطب عفن ، وبين جبل اليابس ، ولا كأفريقيا البعيدة عن جزيرة الإسلام ، وعن بيت الله الحرام ، الجافية الأهل الكثيرة العدد ، ولا كأرمينية النائية ، الباردة ، الصردة الحزنة ، ولا مثل كور الجبل الحزنة ، الخشنة المثلجة ، ولا كأرض خراسان الطاعنة فى مشرق الشمس ، ولا كالحجاز النكدة المعاش ، الضيقة المكسب ، التى قوت أهلها من غيرها . ولهذا كانت بغداد أفضل البلدان ، ولذا نزلها الناس وسكنوها[٢٠٩] .

هذا وقد اهتم خلفاء بنى العباس ببغداد اهتمام بالغا ، وازدهرت العاصمة العباسية وكانت من أعظم حوادر العالم ، كما كانت منارة للعلم والمعرفة ، ومركزا للفكر والثقافة امتدت إشعاعاته الحضارية لتضئ الدنيا ، ولا سيما النهضة العلمية والفكرية التى شهدتها المدينة خلال عصر المأمون ، فقد استطاع علماء بغداد وأساتذتها نقل الكثير من العلوم الإنسانية القديمة[٢١٠] .

١٠. القطائع ٢٥٦هـ / ٨٦٩م :

أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م فى المنطقة الواقعة بين جبل يشكر حد الفسطاط الشمالى ، وبين سطح المقطم ، وكان هذا الموقع يعرف بقبة الهواء[٢١١] ، وذلك بعد أن استمر بدار الإمارة التى بالعسكر فترة حتى كثرت عساكره وعبيده ، وضاقت بهم المدينة ، فحرت قبور اليهود والنصارى التى فى سطح جبل يشكر ، وبنى مدينة شرقى مدينة الفسطاط[٢١٢] ، وسماها "القطائع"

لتكون مركزا لحكمة وقصرا لجنده وحاشية الذين اقتسموها ، وسميت كل قطعية باسم من سكنها ، سواء من تجمعهم رابطة الجنسية ، أو رابطة العمل فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم ، وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم ، وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم ، ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم[٢١٣].

كما جعل ابن طولون قطائع خاصة للحرف والتجارات ، مثل سوق الطباخين وسوق الصيادين ، وسوق الصيارفة والخبازين ، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقا حسنا وأمر غلمانه أن يختطوا به[٢١٤] .

وكان تأسيس ابن طولون لهذه المدينة مرتبطا بضرورة ابعاد جيش غير المتجانس عن الأحياء العربية المصرية ، وتجنب ما يمكن حدوثه من الشغب بسبب اختلاط جنده بالتجار وغيرهم من عامة الشعب ، على نحو ما حدث لجند الخليفة المعتصم بالله في بغداد ، وكان سببا فى إنشاء مدينة سامراء[٢١٥] .

وكانت مساحة القطائع ميلا مربعا وشيد بها ابن طولون مسجده المعروف على جبل يشكر ويذكر أن الإنتهاء من المسجد كان فى سنة ٢٦٥هـ /٨٧٩م كما يتضح من بقايا اللوحة التأسيسة التى بداخلة وهى لوحة مثبتة على إحدى دعامات المسجد ومنقوشة بالخط الكوفى جاء فيها " أمر الأمير أبو العباس أحمد ابن طولون ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء عليه وطيبة لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين (مايو ٨٧٩م)[٢١٦] .



ويعد جامع ابن طولون من أكبر جوامع مصر الإسلامية مساحة إذ يغطى مع الزيادات التى تحيط به من الشمال والجنوب والغرب ما يقرب من ستة أفدنة ونصف تأخذ شكلا مربعا حوالى ١٣٨ × ١١٨م على حين ترتفع الجدران من منسوب أرضية الأروقة الداخلية إلى قمة شرفاته العليا إلى ما يقرب من ثلاثة عشر مترا[٢١٧]

زود المسجد بإثنين وأربعين بابا ، وزعت توزيعا متناسبا على طول اكتداد وجهات المسجد وعلى جدران الزيادات التى تحف به من ثلاث جهات ، ولعل السبب فى كثرة هذه الأبواب يرجع إلى الرغبة فى تسهيل عملية الدخول والخروج من المسجد نظرا لاتساع رقعته[٢١٨] ، أو لكثرة المساكن والأسواق التى كانت مشيدة حول ساحته الخارجية[٢١٩] .

وتتميز منارته التى شيدت من الحجر خارج المسجد بأنها الوحيدة فى مصر ذات السلم الخارجي وهى تتألف من قاعدة مربعة التخطيط تعلوها منطقة اسطوانية وفوقها مثمن علوى يحمل مثمن آخر أصغر منه ويتوجه قبة صغيرة مضلعة تعرف فى المصطلح المعمارى المحلى باسم المبخرة يبلغ ارتفاع قامتها عن أرضية عن أربعين مترا[٢٢٠] ، ويصعد إليها عن طريق سلم خارجي يرتقى فى عكس اتجاه عقارب الساعة كما يربطها بسطح المسجد الجامع قنطرة حجرية ترتكز على عقدين على شكل حدوة الفرس[٢٢١] .

كانت القطائع أول مدينة بمعنى الكلمة أنشئت بوادى النيل فى العصر الإسلامى ولم يقض إنشاء القطائع على العسكر أو الفسطاط فلم تكن كل من القطائع والعسكر إلا ضاحيتين للفسطاط أو امتداد لها[٢٢٢] .



وقد عمرت القطائع عمارة حسنة كما يقول البلوى وتفرقت فيها السكك والأزقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران وسميت أسواقها كما ذكرنا ، فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن[٢٢٣] .

وكانت أهم الدور التى بنيت فى القطائع فى الدولة الطولونية الآتى :

- **قصر أحمد بن طولون** : بنى أحمد بن طولون قصره ووسعه وحسنه وألحق به ميدانا فسيحا يضرب فيه بالصوالجة[٢٢٤] فسمى القصر كله بالميدان ، وكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير إذا سئل عن ذهابه يقول إلى الميدان ، وقد عمل ابن طولون للميدان تسعة أبواب لكل باب اسم خاص به مثل :

- **باب الميدان** : ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش .
- **باب الصوالجة**.
- **باب الخاصة** : لا يدخل منه إلا خاصته .
- **باب الجبل** : كان يلى جبل المقطم .
- **باب الحرم** : لا يدخل منه إلا خادم خاص أو حرمه .
- **باب الدرمون** : نسبة إلى أحد الحجاب .
- **باب دعناج** : نسبة إلى حاجب كان يسمى دعناج .
- **باب الساج** : عرف بذلك لأنه كان مصنوعا من خشب الساج .
- **باب الصلاة** : فى الشارع الأعظم ويعرف أيضا بباب السباع لأنه صور عليه سبعان من جبس ، كما كان يعلوه مجلس يشرف منه ابن طولون فى ليلة العيد

على القطائع ليرى أفراد جيشه وتأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم ، وكان يشرف منه على النيل أيضا[٢٢٥] .

ولم تكن هذه الأبواب تفتح كلها إلا فى أيام الأعياد أو يوم عرض الجيش أو يوم الصدقة[٢٢٦] أما باقى الأيام فإن هذه الأبواب كانت تفتح فى وقت محدد وتغلق فى وقت محدد أيضا . وقد زاد خمارويه فى هذا القصر الذى بناه أبوه ووسع فيه إلى أبعد الحدود ، وأضاف إليه قصرا جديدا خصصه لزوجات أبيه وأفرد لكل واحدة منهن جناحا خاصا[٢٢٧] .

الدكة : بناها خمارويه وهى عبارة عن قبة تضاهى قبة الهواء ، وجعل لها الستور التى تقى الحر والبرد ، فتسدل إذا شاء وترفع إذا أحب ، وفرش أرضها بالفرش وعمل لكل فصل فرشا يليق به ، وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى قصره من البساتين والصحراء والنيل والجبل والمدينة[٢٢٨] .

بيت الذهب : بنى فى زمن خمارويه وكان عبارة عن مجلسا داخل داره سمى بيت الذهب لأن جدرانه طليت بالذهب واللازورد ، وجعل فيه قامة ونصف نقوشا بارزة من الخشب تمثل حظاياه والمغنيات نقشت ثيابهن بأصناف الجوهر ، وفى أذانهن الأجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة فكان هذا البيت من أعجب مبانى الدنيا[٢٢٩] .

بركة الزئبق : أقام خمارويه أمام القصر بركة طولها خمسون ذراعا فى خمسين ذراعا، ملأت بالزئبق للاسترخاء ، ليخلص مما أصابه من الأرق



وجعل عليها سرير من آدم يحشى بالهواء لينام عليه شد بخيوط من حرير إلى عمد من فضة ، كان يرى لها فى الليالى المقمرة منظرا عجيب إذا تآلف نور القمر بنور الزئبق(٢٣٠) .

وقد خربت القطائع على يد محمد بن سليمان الكاتب خلال عهد الخليفة المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ) حنقا على بنى طولون وذلك سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م وأبقى الجامع(٢٣١) .

١١. القاهرة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م :

ظلت مدينة الفسطاط عاصمة لمصر ، وكانت مدينة الإقليم منذ الفتح الإسلامى لمصر ، وكانت منزل الأمراء وكثر الناس بها وزادت عمارتها ، ثم لما انقضت الدولة الإخشيدية فى مصر سنة (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٩م) واختلت أحوال مصر بسبب الوباء والفناء ، وسار الجيش الفاطمى بقيادة جوهر الصقلى إلى مصر واستولى على الفسطاط من بقايا الإخشيديين، واختط مدينة القاهرة(٢٣٢).

وعدد المقريزى موضع القاهرة فيذكر : أنها كانت رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عند مسيرتهم من الفسطاط إلى عين شمس وهو موقع إلى الشمال من الفسطاط ويحدها من الشرق جبل المقطم ومن الغرب خليج أمير المؤمنين(٢٣٣) .

قرر جوهر تأسيس القاهرة لتكون مدينة ملكية حصينة للخليفة وأتباعه ، كما اختط القصر الفاطمى الذى أعده ليستقبل فيه مولاه المعز لدين الله ، وكان قصر



الخليفة وسطها محصنا بأبواب محددة[٢٣٤] وبنى جوهر سورا خارجيا من اللبن على هيئة مربع طول كل ضلع من أضلاعه ١٢٠٠ متر[٢٣٥] .

وأراد جوهر أن يحصن المدينة وأن يعوق فى الوقت نفسه عامة الشعب فى كل من الفسطاط والعسكر والقطائع الوصول إلى القاهرة ، وقد كان محظورا على أى فرد اجتياز أسوار القاهرة إلا إذا كان من جند الحامية الفاطمية أو من كبار موظفى الدولة ، وكان الدخول إليها لا يتم إلا بعد الحصول على تصريح خاص[٢٣٦] وعن طريق الأبواب الثمانية جنبا إلى جنب[٢٣٧] ، وأبواب القاهرة هى اثنان من السور الشمالى هما باب الفتوح وفى شرقه باب النصر .

باب زويلة فى السور الجنوبى ، وفى الغرب منه باب الفرج .

بابا الضلع الشرقى هما باب البرقية ، وباب القراطين[٢٣٨] .

وفى الضلع الغربى كان يوجد بابان هما باب القنطرة وباب السعادة[٢٣٩] .

وكان لموقع القاهرة ميزات عديدة يأتى فى مقدمتها أن نهر النيل يحيط بضاحيتها الفسطاط من الغرب ، وأتاح ذلك لسكانها فرصة إقامة العديد من القصور على شاطئ النيل[٢٤٠] ، كما كانت محصنة بحصون طبيعية كجبل المقطم فى الجنوب الشرقى ، ونهر النيل فى الغرب ، وحصون غير طبيعية تتمثل فى الأسوار التى أقيمت حول المدينة[٢٤١] .

وبصفة عامة فقد دل موقع القاهرة على نظرة صائبة رغم اعتراض المعز لدين الله على اختيار موضعها[٢٤٢] ، فكان بعدها النسبى عن النهر يحميها من خطر

الفيضان ، ويؤكد ذلك ابن سعيد بقوله : "إن بعد القاهرة عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها "[٢٤٣] .

وقد اختط الطريق العام يخترق وسط المدينة من باب زويلة جنوبا ويتصل بمدينة الفسطاط مارا فيما بين القصرين[٢٤٤] حتى باب الفتوح ، وكان يوصل إلى الفضاء الواقع فى الشمال ، وكان الجامع الأزهر الشريف إلى الجنوب الشرقى من قصر الخليفة وقد شرع جوهر فى بنائه سنة ٣٥٩هـ /٩٧٠م ليكون المسجد الرسمى للقاهرة وذلك بعد أن وضع أساس المدينة التى حوت الحوانيت والأسواق وبلغ عددها ما لا يقل عن عشرين ألف دكان وكان بها ربط وحمامات وأبنية أخرى[٢٤٥].

وقد عرفت هذه المدينة فى أول الأمر باسم المنصورية تيمنا باسم المنصورية التى أنشأها المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين خارج مدينة القيروان بشمال أفريقيا[٢٤٦] ، ولم تعرف بالقاهرة إلا بعد أربع سنوات بعد أن حضر الخليفة المعز إلى مصر ورأى من قراءاته الخاصة للطالع أن هذه التسمية فأل حسن إذ رأى أن اسم القاهرة مشتق من القهر والظفر[٢٤٧] ، ويذكر أن سور القاهرة الذى بناه جوهر لم يعمر أكثر من ثمانين سنة ، إذ كان قد تهدم فى عصر المستنصر بالله[٢٤٨] ، فستبدل به بدر الجمالى وزير المستنصر سورا آخر ، وذلك بعد أن وسع رقعة القاهرة بمقدار ١٥٠ متر إلى شمال السور القديم[٢٤٩] ، وحوالى ثلاثين مترا إلى الشرق ومثلها إلى الجنوب[٢٥٠] ، وقد تم تشييد هذا السور فيما بين سنتى ٤٨٠-٤٨٥هـ[٢٥١] ، وبنى هذا السور من الحجر ، وبقى منه ثلاثة أبواب هامة هى : باب النصر ، وباب الفتوح ، وباب زويلة ، وأقدمها باب النصر ويعرف بباب المعز[٢٥٢] .

وبعد انتهاء الدولة الفاطمية واستيلاء صلاح الدين على مقاليد الحكم فى مصر سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م تغيرت صفة القاهرة . فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهورية[٢٥٣] .

ومن أهم مبانى القاهرة :

القصر الكبير :

يسمى بالقصر الشرقى لانه يقع بالقرب من سور القاهرة الشرقى وهو القصر الذى أعده جوهر لنزول الخليفة المعز . فكان يشمل تسعة أبواب[٢٥٤] وكان يشغل مساحة تقرب من ٧٠ فدانا من جملة مساحة القاهرة التى كانت تبلغ ٣٤٠ فدانا وكان يتألف من خطط واحدة تخترقها الطرقات والمسالك التى تفضى إلى أجزائه المختلفة فوق الأرض أو داخل السراديب المارة تحت الأرض . وكانت تضيئه الرحبات الكبيرة غير المسقوفة . أو الأفنية الداخلية الصغيرة[٢٥٥] .

القصر الصغير :

كان بالقاهرة عدا القصر الكبير قصر آخر إلى الغرب منه عرف بالقصر الغربى الصغير . شيده الخليفة العزيز بالله ويشغل مكانه اليوم مستشفى قلاوون للرمد . وكل المساكن التى تجاوره إلى شارع الخليج . لذا عرف أيضا بقصر البحر. وكان يشرف على البستان الكافورى ويتحول إليه الخليفة من البركة التى كان يقال لها بطن البقرة أو من البستان المعروف بالعداوية . وغيره من البساتين التى تتصل

بأرض اللوق وجنان الزهرى[٢٥٦] ، ووصف المسبحى هذا القصر بأنه "لم يبن مثله فى شرق ولا فى غرب" .

وكان يتصل بالقصر الكبير الشرقى بواسطة سرداب تحت الأرض كان ينزل منه الخليفة ممتطيا ظهر بغلته ، تحيط به فتيات القصر ، وكان بين القصر الشرقى الكبير والقصر الغربى الصغير ميدان فسيح كانت تقام فيه حفلات عرض الجيش ، حيث يقف فيه عشرة آلاف من العساكر بين فارس وراجل ، اشتهر فيما بعد باسم بين القصرين ، كما كان هناك ميدان آخر بجوار القصر الغربى يجاور البستان الكافورى المطل على الخليج[٢٥٧] .

الجامع الأزهر:

أقام جوهر الصقلى الأزهر إلى الجنوب الشرقى داخل القاهرة وعلى مقربة من القصر الشرقى الكبير فيما بين حى الديلم فى الشمال وحى الترك فى الجنوب ، ليكون المسجد الرسمى لمدينة القاهرة ، وقد بدأ فى بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ / ١٤ ابريل ٩٧٠م ، وانتهى العمل منه وأقيمت أول جمعة فيه فى السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ / ٢٢ يونيو ٩٧٢م ، وسمى بالأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء ، بنت الرسولﷺ كما سمى بذلك أيضا نسبة إلى اللون الأبيض المزهر الذى تليت به جدرانه ، وكتب على دائر القبلة على يمين المحراب ما نصه : "بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلثمائة"[٢٥٨] .

وكان هذا المسجد وقت إنشائه يشغل مساحة مستطيل تبلغ مقاييسها الخارجية ٨٥ متر طولا و ٧٠ متر عرضا ويتألف من صحن أوسط مكشوف ومستطيل الشكل طوله ٥٩ متر وعرضه ٤٣ متر، وكان الجامع مزود وقت بنائه بثلاث مداخل فى جدرانه الشمالية والجنوبية والغربية(٢٥٩) .

حظى الجامع الأزهر بعناية الفواطم وغيرهم حيث عنى بإصلاحه الخليفة العزيز بالله ، وعنى بأمر الحاكم بأمر الله الذى جدد مأذنه سنة ٤٠٠هـ /١٠٠١م، كذلك جدد الخليفة المستنصر بالله المسجد أثناء خلافتة (٤٢٧-٤٨٧هـ) ، وجدد الخليفة الآمر بأحكام الله محراب الجامع سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م(٢٦٠) .

وجدد الخليفة الحافظ لدين الله الجامع الأزهر ٥٢٤-٥٤٤هـ حيث أضاف إليه بعض الإضافات فى الأروقة والصحن(٢٦١) .

وبسقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م أفل نجم الجامع الأزهر حيث بطلت فيه صلاة الجمعة بأمر صلاح الدين الأيوبى واستمر على ذلك حتى عهد الظاهر بيبرس الدى أذن للأمير أيدمر سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م بإعمار الجامع الأزهر فأعاد ترميمه وأقيمت صلاة الجمعة فى نفس السنة بعد أن عطلت لمدة قرن من الزمان(٢٦٢) .

وفى عهد الناصر محمد ابن قلاوون جدد الجامع الأزهر على أثر الزلزال الذى أصابه سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م ، وفى سنة ٤٢٥هـ / ١٣٤٠م أضاف إليه الأمير علاء الدين أقبغا استادار السلطان الناصر محمد بن قلاوون مدرسة عرفت باسم المدرسة

الأقبغاوية ، وجدد عمارة الجامع أيضا سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م على يد الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى حيث أنشأ على باب الجامع القبلى سبيلا وكتابا[٢٦٣]

وفى عهد السلطان برقوق جدد الجامع الأزهر سنة ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م وفى سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م قام السلطان الأشرف قايتباى بهدم الباب الغربى للجامع وأقيمت فوقه المنارة[٢٦٤] .

كذلك بعناية السلطان قانصوة الغورى ، الذى قام فى سنة ٩١٥هـ/١٥١٠م ببناء منارة ضخمة ذات رأس مزدوج ما تزال باقية إلى يومنا هذا إلى جوار منارة السلطان قايتباى[٢٦٥] .

مصادر ومراجع الفصل السادس

١. المدينـــــة : مشتقة من الفعل (مدن) أي أقام ، والمدينة الحصن يبنى في أصطحه معظم الشيئ ، الأرض ، الجمع مدائن ، ومدن ، ابـــن منظـــور : لسان ، جـ١٧ ، ص٢٨٨ ، ابن سيدة المخصص ، جـ٦ ، ص١١٧

٢. ابـــن حوقـــل : المسالك والممالك ، ص ١٥ ، المقدســي : أحسن التقاسيم ، ص١٩٤، ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ١ ، ص١٥٠

٣. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص٥١،٥٠

٤. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ،ص ٥٢

٥. اليعقوبي : البلدان ، ص ٧٦

٦. ابن هشام : السيرة ، جـ٣ ، ص١٢٨

٧. ابن شبه:تاريخ المدينة، ص٢٠٢، عبد القدوس الأنصارى : آبار المدينة ص٢٤١

٨. السمهودى : وفاء الوفا ج٣ ص٩٥٣

٩. ابن شبه : تاريخ المدينة ، ص١٠٣

١٠. السمهودى : وفاء الوفا ج٣ ص٩٦٢

١١. الأنصارى : تاريخ المدينة ، ص١١٣

١٢. السمهودى : وفاء الوفا ج٣ ص٩٨٦

١٣. ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ص٤١٨

١٤. اليعقوبي : البلدان ، ص٧٦



١٥. ابن هشام : السيره ، ج٣ ص١٢٨

١٦. المقريزى : الذهب المسبوك ص٣٠

١٧. أحمد الشريف : دور الحجاز فى الحياة السياسية ، ص٦٥-٧٠

١٨. السمهودى : وفاء الوفا ج٣ ص١٠٠٦

١٩. سليمان عبد الغنى مالكى : بلاد الحجاز، ص١٥٥

٢٠. اليعقوبي : البلدان ، ص٧٧

٢١. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٣٤، محمد عبد الستار: المدينة، ص٥٢

٢٢. الأحزاب: آيه ١٣

٢٣. المسافة من المدينة إلى مكة قدرها ياقوت بنحو عشر مراحل ، والمرحلة مسيرة يوم ، وبالطريق المعبد حاليا حوالي ٤٢٥ك.م ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٧ ، ص٤٣٢.

٢٤. ياقوت : معجم البلدان ، جـ٧ ، ص٤٢٧

٢٥. بدر عبد الرحمن : حكومة الرسول في المدينة ، ص٣٢

٢٦. أحمد إبراهيم الشريف : الدولة الإسلامية الأولى ، ص٥٨

٢٧. ابن هشام : السيرة ، جـ١ ، ص١٣

٢٨. جمال سرور : قيام الدولة العربية ، ص٥٠

٢٩. بدر عبد الرحمن : حكومة الرسول في المدينة ، ص٣٢

٣٠. ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ١ ، ص١٨٨

٣١. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٥٨

٣٢. ابن شبة : تاريخ المدينة المنورة ، ص٢٠٢
٣٣. سليمان عبد الغنى المالكى : بلاد الحجاز، ص١٧٥ ، ١٧٦
٣٤. سليمان عبد الغني مالكي : بلاد الحجاز، ص١٧٥
٣٥. السمهودى : وفاء الوفا ، ج٢ ص٣٥٤
٣٦. السخاوى التحفة اللطيفة ج١ ص٨٨
٣٧. إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج١ ص٤٢٠
٣٨. سليمان عبد الغنى المالكى : بلاد الحجاز، ص١٧٦
٣٩. جعفر بن السيد إسماعيل المدني : نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين ، مكتبة بن سلم ، المدينة المنورة ، مكتبة الرفاعي بالقاهرة ، ص٣٨.
٤٠. إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ١ ص٤٢٥.
٤١. جعفر بن السيد المدني : نزهة الناظرين ، ص٣٨
٤٢. ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ١ ، ص ١٩٥، ٢٣٠
٤٣. إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج١ ص٣٧٠
٤٤. سليمان مالكي : بلاد الحجاز، ص١٦٩
٤٥. جعفر ابن السيد المدنى : نزهة الناظرين فى مسجد الأولين ص٣٦
٤٦. السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج١ ص٣٥
٤٧. السمهودي : وفاء الوفا ، جـ٢ ،ص ٣٥٤
٤٨. جعفر بن السيد المدني : نزهة الناظرين ، ص٣٦
٤٩. السخاوي : التحفة اللطيفة ، ص٨٨



٥٠. سليمان مالكي : بلاد الحجاز، ص ١٦٩.

٥١. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص٥٤

٥٢. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص ٢٦٠، ٢٦١

٥٣. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص ٥٦، ٥٧

٥٤. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص ٥٨

٥٥. ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ٢ ، ص ٢٥٨

٥٦. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٦١

٥٧. الكوفــــة : تقع قرب الحيرة ، وسميت بالكوفة لأستدارتها ، أخذ من قول العرب رأيت كوفانا ، وكوفانا للرميلة المستديرة ، وقيل سميت الكوفة لأجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل ، وقيل الكوفة كل رملة تخالطها حصباء ، أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ،جـ٤ ، ص٤٩٠ ، الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، لسان العرب لأبن منظور .

٥٨. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص١٤٥

٥٩. ابن يوسف : كتاب الخراج ،ص١٧

٦٠. الطبري : تاريخه جـ٣ ،ص١٤٧

٦١. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص٢٣٧

٦٢. الطبري : تاريخه ،جـ٣، ص١٤٨

٦٣. اليعقوبي : البلدان، ص٩٥،٩٦

٦٤. ياقوت : معجم البلدان ، جـ٧ ،ص٢٩٧

٦٥. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص٦٨
٦٦. الطبري : تاريخه ،جـ٣ ، ص١٤٩ ، محمد الخضري : محاضرات في تاريخ الأمم، ص٢٦٩
٦٧. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص١٥١
٦٨. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص١٥١
٦٩. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص٢٣٨
٧٠. ياقوت : معجم البلدان جـ٧ ، ص٢٩٩
٧١. ياقوت : معجم البلدان ، جـ٧ ، ص ٢٩٧
٧٢. محمد الخضري : محاضرات في تاريخ الأمم ، ص ٢٦٩ ، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص٢٣٩
٧٣. البصرة : تعني الأرض الغليظة ، أو حجارة فيها بياض ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص١٩٢
٧٤. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص١٤٨ ، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص٢٣٧
٧٥. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص٩٠ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٩٤
٧٦. البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٥٤
٧٧. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص٢٣٤
٧٨. ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٩٤
٧٩. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص٦٥
٨٠. البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٤٥

٨١. البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٤٥
٨٢. ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢، ص١٩٤
٨٣. الأبلة : بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها ، أسم لبلد على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة ، التي مصرت عل أيام عمر بن الخطاب ، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسري ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٧٦،٧٧
٨٤. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص٦٦
٨٥. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص٦٦
٨٦. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص٢٣٥
٨٧. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص٦٧
٨٨. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص٦٧
٨٩. البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٥٨
٩٠. ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٩٩
٩١. علي جمعة محمد : المكاييل والموازين ، ص٥٤
٩٢. الهمداني : مختصر كتاب البلدان ، ص٥١
٩٣. المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١١٤
٩٤. ابن الفقية : مختصر كتاب البلدان ، ص١٨٩
٩٥. البلاذري : فتوح البلدان ، جـ٢ ، ص٤٥٤
٩٦. المقدسي : أحسن التقاسيم، ص١٢٨

٩٧. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٢٣٦
٩٨. الطبري : تاريخه ، ج٣ ، ص٤٤٦
٩٩. اليعقوبي : البلدان ، ص٨٧
١٠٠. اليعقوبي : البلدان ، ص٨٧
١٠١. محمد حسين : تاريخ مدينة دمشق ص٥٤، ٥٥
١٠٢. محمد بن أحمد كنعان : تاريخ الخلافة الراشدة ، خلاصة تاريخ ابن كثير ، ص١٢٣
١٠٣. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٣٦
١٠٤. أحمد شلبي :موسوعة الحضارة ، ج٥ ، ص١١٠
١٠٥. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٦٤
١٠٦. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩١
١٠٧. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩١
١٠٨. المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٢٨٦
١٠٩. علي بهجت ، والبير جرائيل : كتاب حفريات الفسطاط ، ص٣٩
١١٠. ناصر خسرو : سفرنامة ص٥٨
١١١. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩١ ، ابن سعيد : المغرب ، ج١ ، ص٣٩ ، السيوطي : حسن ، ج١ ، ص١٣٠
١١٢. عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها ، ص ٥
١١٣. القلقشندي : صبح ، ج٣ ، ص٣٢٦

١١٤. الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي ، ص ٢٤٩
١١٥. سيدة كاشف : مصر في فجر الأسلام ، ص٢١٧
١١٦. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٤ ، فريد شافعي : العمارة العربية ، جـ١ ، ص٣٥٣
١١٧. محمد عبد الستار : المدينة ، ص٦٩
١١٨. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٢٨٦
١١٩. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص ٦٩
١٢٠. عبد الرحمن زكي : خطط الفسطاط ، ص٥٧-٥٩
١٢١. محمد عبد الستار : المدينة ، ص٦٩
١٢٢. ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ، ص ١٩، ٣٦ ، اليعقوبي : البلدان ، ص٩١
١٢٣. السيوطي : حسن ، جـ١ ، ص٥٨
١٢٤. ابن عبد الحكم : فتوح ، ص١١٠
١٢٥. محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ، ص١٠٨
١٢٦. ابن عبد الحكم : فتوح ، ص١٣٦
١٢٧. ابن خلدون : المقدمة ، ص٣٤٢
١٢٨. الاصطخري : مسالك الممالك ، ص٦
١٢٩. المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٩٩
١٣٠. ناصر خسرو : سفر نامة ، ص٨٥
١٣١. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر ، ص٦٧

١٣٢. الكندي : الولاة والقضاة ، ص٩٥

١٣٣. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٣٥

١٣٤. محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ص١١٢

١٣٥. المقريزي : الخطط ، جـ١، ص٣٣٥

١٣٦. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٣٥، ٣٣٦

١٣٧. ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ص٢٧

١٣٨. قاسم عبده : عصر سلاطين المماليك ، ص١٩٤

١٣٩. قاسم عبده : عصر سلاطين المماليك ، ص١٩٤

١٤٠. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٩٦

١٤١. ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ، ص ٢٣١

١٤٢. ابن عذاري : البيان والمغرب ، جـ١ ، ص ١٩

١٤٣. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٧٨

١٤٤. ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦

١٤٥. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٨٠

١٤٦. ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ، ص٣٢١

١٤٧. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٩٧

١٤٨. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٨١

١٤٩. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص ٢٨١

١٥٠. اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ١٠٥، ١٠٤

١٥١. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر والمغرب ، ص١٩٩، فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص١٨٢

١٥٢. **قرطبة** : لفظ يوناني ، بمعنى القلوب المشككة

١٥٣. **عيسى سلمان وآخرون** :ج١ ، ص٦٨ - انظر المدرسة الإقبالية : النعيمى (عبد القادر بن محمد) ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م : الدارس فى تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى، الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ج١ ، ص١٥٨-١٦٠ ، د٠ عبد الله كامل موسى عبده : العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا،دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٨٣ ٠

١٥٤. **الطبرى** : تاريخ الطبرى ، مج٣ ، ص١٤٩

١٥٥. **عيسى سلمان** : العمارات ، ج١ ، ص٦٨

١٥٦. **عيسى سلمان وآخرون** : العمارات ، ج١ ، ص٦٨ -٧١

١٥٧. **شريف يوسف** : تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور ، دار الرشيد، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٢م ، ص٢٤٨

١٥٨. **ابن الأثير** : الكامل ، ج٣ ، ص٥١٤ ، د٠ عيسى سليمان وآخرون : العمارات ، ج١ ، ص٧٢

١٥٩. **عيسى سلمان** : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٠. **عيسى سلمان وآخرون** : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦١. **عيسى سلمان وآخرون** : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٢. **عيسى سلمان وآخرون** : العمارات ، ج١ ، ص٧٣ -٧٤

١٦٣. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٤

١٦٤. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٥. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٦. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٧. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٨. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٩. المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٢٦

١٧٠. المقري : نفح الطيب ، جـ١، ص١٤٥

١٧١. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص ٢٨٣

١٧٢. ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١١٢، ١١٣

١٧٣. المقري : نفح الطيب، جـ٢ ، ص٦

١٧٤. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص ١٥

١٧٥. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص ١٤٧

١٧٦. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص ١٨٥

١٧٧. المقري : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص١٠

١٧٨. المقري : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص١٢

١٧٩. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٨٨ ، عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة، ص٢٦٨

١٨٠. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص ٣٠٠

١٨١. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر، ص٥٧

١٨٢. زكي محمد حسن : الفن الإسلامي ، جـ١، ص٥٦

١٨٣. صفي علي محمد : مدن مصر الصناعية ، ص١٠٠

١٨٤. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٤

١٨٥. الكندي : الولاة والقضاة ، ص١١٥

١٨٦. المقريزي : الخطط ، جـ١، ص٣٠٤

١٨٧. Sohernhiem : Encyclopedia of islam History of The Town of fustat, vol.,I.P.817

١٨٨. المقريزي : الخطط ، جـ١، ص٣٠٤

١٨٩. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر، ص١١٣

١٩٠. القلقشندي : صبح، جـ٣ ، ص٢٣٧، المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٥٠٤

١٩١. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٥

١٩٢. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٥

١٩٣. هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ٢ ، ص٢٤٩

١٩٤. بغداد : لفظ فارسي معناه بستان رجل وهو مكون من (باغ بمعنى بستان ، داد بمعنى رجل ، ولها أسماء كثيرة منها بغداد بالذال ، ودار السلام ، وبغداد ، ويقال الزوراء ، ومدينة المنصور ، ابن طباطبا : الفخري ، ص١٦٣ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص٢٣

١٩٥. ابن طباطبا: الفخري ، ص١٦١

١٩٦. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص٢٤٤

١٩٧. ابن طباطبا : الفخري ،ص١٦١

١٩٨. ابن طباطبا : الفخري ،ص١٦٢

١٩٩. يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص٤٠

٢٠٠. المسعودي : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٣٢

٢٠١. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص٢٤٥

٢٠٢. أبن طباطبا : الفخري ، ص١٦٣

٢٠٣. اليعقوبي : البلدان ، ص١٥

٢٠٤. اليعقوبي : البلدان ، ص١٥

٢٠٥. اليعقوبي : البلدان ، ص١٨ ، محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص٢٥٦

٢٠٦. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٦٥

٢٠٧. المسعودي : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٣٢

٢٠٨. اليعقوبي : البلدان ، ص١٠٩

٢٠٩. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٦٥

٢١٠. البلوي : سيرة ابن طولون ، ص٥٣ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٥

٢١١. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٣ ، ابن دقماق : الأنتصار ، جـ٤ ، ص١٤١

٢١٢. هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ١ ، ص٢٤٩

٢١٣. البلوي : سيرة ابن طولون ، ص٥٤

٢١٤. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر ، ص ٩٥

٢١٥. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٣ ، ابن دقماق : الأنتصار ، جـ٣ ، ص١٤١
٢١٦. أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، ص١٠٩
٢١٧. أحمد فكري : مساجد القاهرة ، ص١١١
٢١٨. أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ، ص١١
٢١٩. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر ، ص١٢٧
٢٢٠. فريدة شافعي : مأذنة مسجد ابن طولون ، ص١٦٨،١٦٧
٢٢١. زكي محمد حسن : الفن الإسلامي ، جـ١ ، ص٥٦
٢٢٢. البلوي : سيرة ابن طولون ، ص٥٣
٢٢٣. زكي محمد حسن : الفن الإسلامي ، ص٣٨
٢٢٤. البلوي : سيرة ابن طولون ، ص٥٤ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٥
٢٢٥. البلوي : سيرة ابن طولون ، ص٥٤
٢٢٦. أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ، ص٦١
٢٢٧. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٢١٧ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ، ص٥٥
٢٢٨. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٦
٢٢٩. ابن دقماق : الأنتصار ، جـ٤ ، ص١٣١ ،ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ص ١٧٠
٢٣٠. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٢٣
٢٣١. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٥٠
٢٣٢. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٥٩
٢٣٣. عبد الرحمن زكي : أسوار القاهرة ، ص٤٦٩

٢٣٤. ابن دقماق :الانتصار، جـ٥ ، ص٣٦

٢٣٥. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص٤٦٩

٢٣٦. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٢٧٧

٢٣٧. القلقشندي : صبح ، جـ٣ ، ص٢٥٣

٢٣٨. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٨٢

٢٣٩. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص١١٧

٢٤٠. أبو شامه : الروضتين ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦٨٧

٢٤١. القلقشندي : صبح جـ٣ ، ص٣٥٥ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص١١٢

٢٤٢. ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ص٢٥

٢٤٣. المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٨٣

٢٤٤. ناصر خسرو : سفرنامة ، ص٤٨

٢٤٥. ابن دقماق :الانتصار، جـ٥ ، ص٣٥

٢٤٦. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٧٧

٢٤٧. ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٩، عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص٤٦٩

٢٤٨. أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، القاهرة ، ١٩٦٥، جـ١ ، ص٢٤

٢٤٩. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ى، ص٤٦٩

٢٥٠. ابن الصيرفي : الأشارة إلى من نال الوزارة ، ص٩٧

٢٥١. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص٤٧٤

٢٥٢. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٦٤

٢٥٣. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص٤٦٩

٢٥٤. عبد الرحم زكي : أسوار القاهرة وأبوابها ، ص٣٢

٢٥٥. شحاته عيسى إبراهيم ، القاهرة ، ص٧٦

٢٥٦. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص٢١٩ ، شحاته إبراهيم : القاهرة ، ص٢٧٦

٢٥٧. المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٣

٢٥٨. حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ، جـ١ ، ص٤٩ ، أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر ، ص٢٢٠

٢٥٩. المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٥

٢٦٠. حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ، جـ١ ، ص٥١

٢٦١. المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ص٥٥٦

٢٦٢. المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٦ ، حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ، جـ١ ، ص٥٤ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ١ ، ص٢٠١

٢٦٣. السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص٢٠٩

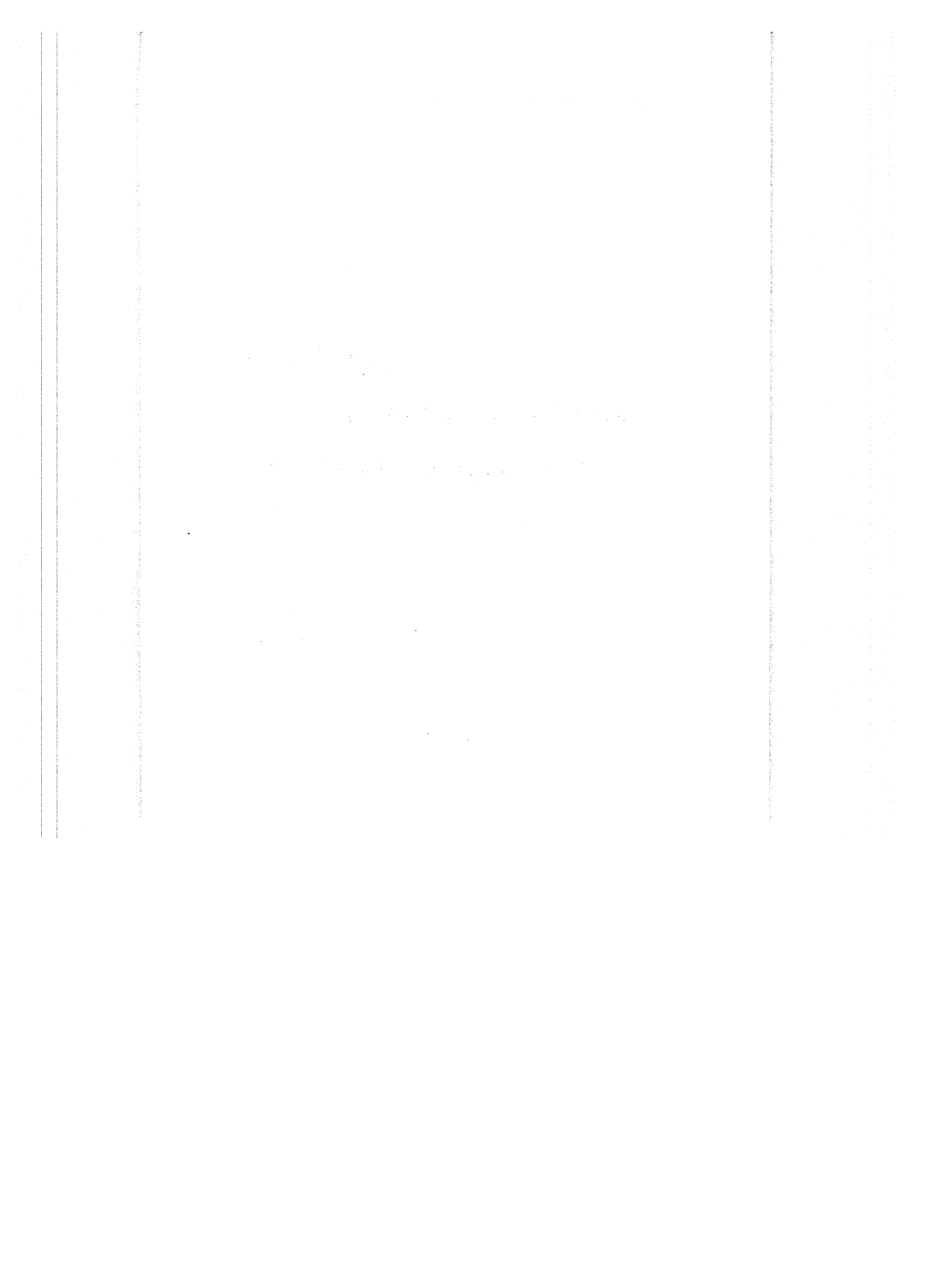
٢٦٤. ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٦٢

الفصل السابع .

أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوربية .

◈ مظاهر الحضارة العربية على حضارة أوربا .





الفصل السابع

أثر الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية

الحضارة الإسلامية كان لها أثر بالغ فى الحضارة الأوربية ، ففي الوقت الذي كانت فيه أوربا لا تزال تضطرب فى ظلام العصور الوسطى ، كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم على معظم بقاع العالم المتحضر القديم ، من حدود الصين إلى جبال البرانس ، وورثوا مع فتوحاتهم فلسفة اليونان من كتبها ، حتى أن عددا من كتب اليونان القديمة لا يوجد الآن إلا باللغة العربية أو مترجم عن العربية ، كما تأثروا وأفادوا من ثقافة الفرس التى أثرت فى الأدب العربي ، وبالثقافة الهندية عن طريق علوم الرياضة ، والطب وخاصة علم النجوم ، وقد أفسح العرب والمسلمين صدورهم لهذه الثقافات والحضارات المختلفة واقبلوا ، وتولوها بالرعاية والعناية والبحث والدرس والتصحيح والتهذيب ، وأضافوا إليها الكثير من أفكارهم وابتكاراتهم حتى بلغت غاية نضجها واكتمالها ، وتميزت عما عادلها من الحضارات السابقة[1] .

والحضارة العربية الإسلامية لا ينقصها ولا يقلل من شأنها أنها نقلت وأفادت من الحضارات التى سبقتها ، فذلك شئ طبيعي ، حيث أن كل أمه ملزمة بأن تنقل عمن سبقها تجاربهم ، وكل أمه تختلف عن غيرها فى أنها تحدث أولا تحدث الجديد المبتكر ، وإذا نظرنا إلى الجديد المبتكر فى الحضارة الإسلامية لوجدنا الكثير[2] .



ولولا الإفادة من الحضارات السابقة والتجديد والابتكار لكان لزاما أن تبدأ كل أمة بما بدأت به الأمم الأخرى السابقة عليها ولا غلق باب التقدم والتطور الحضاري ، ولوجدنا أنفسنا اليوم في مستوى أقرب إلى ما كان عليه الإنسان الأول في العصر الحجري ولكن يكفى العرب والمسلمون فخرا أنهم لم يقنعوا بما تعلموا من غيرهم وإنما بحثوا واجتهدوا وابتكروا ، وأضافوا عناصر جديدة دفعت عجلة التطور الحضارة إلى الأمام[٣] ، وأنشأ العرب بسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلافات عن الحضارات التى ظهرت فيها وتمكنوا من حمل أمم كثيرة على انتحال دينهم ولغتهم وحضاراتهم الجديدة ·

وقد عبرت هذه الحضارة إلى أوربا من خلال معابر ثلاثة هي ·

١ – عن طريق اتصال العرب والمسلمين ومجاورتهم لعلماء أوربا أبان حكم الأمويين فى الأندلس ، حيث كانت الحضارة العربية والإسلامية فى أوج عظمتها مما كان يتمتع به علماء المسلمين من حرية الفكر وأقاموا هناك جامعات زاهرة قصدها طلاب العلم من أوربا ، فى مراكز متعددة[٤] مثل قرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة ، وطليطلة ، ونشر هؤلاء الطلاب فى بلادهم ما تعلموه من العرب ، حيث كان غالبة سكان الأندلس ، وهم من المسيحيين قد تشبعوا بالحضارة العربية بحيث أنهم هجروا لغتهم ليتكلموا العربية ، واضطر الأسافعه من رجال الدين إلى أن يترجموا الإنجيل إلى العربية، كذلك قام اليهود وهم أقليه كبيرة استعربت منذ زمن مبكر فأخذوا لغة العرب وملابسهم ، واندرجوا فى غمارهم ، بدور هام فى نقل الحضارة

الإسلامية عن طريق الترجمة[٥]، ولما استرد الملوك الأسبان الأندلس استولوا على الكنوز العلمية التى خلفها علماء العرب والمسلمين وأخذوا بمظاهره[٦]

٢- عن طريق صقلية ، حيث كان العرب قد فتحوا صقلية على يد دولة الأغالبة خلال العصر العباسي الأول وذلك فى النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وظل العرب بها زهاء ١٣٠ سنة ، فأصبحت المركز الثاني لنشر الثقافة العربية والإسلامية فى أوربا ، حيث أصبحت بالرمو ومسينى ، وسرقوسه ، وبوره من أهم مراكز الحضارة الإسلامية اليانعة فى إيطاليا[٧] كان الملوك المسيحيون بصقلية يشجعون علماء العرب على الإنتاج العلمي ، مثل روجر الثاني الذي شجع الإدريسى الجغرافي الشهير على العلم وأهدى الإدريسى له كتاب نزهة المشتاق ، وأيضا الملك وليام الذى رحب بالعلماء المسلمين وكان يقرأ ويكتب العربية[٨] .

أدرك روجر وخلفاؤه أفضلية العرب فانتحلوا نظمهم وشمولهم برعايتهم وكان الملك فردريك الثاني من الذين شجعوا الترجمة لعلوم الإسلام إلى اللاتينية واليونانية أو حتى الإيطالية الدارجة التى كانت قد بدأت فى الظهور ، وكان فى بلاطه كثير من الفلاسفة العرب من الشام وبغداد ، وتوثقت صلاته وصداقته بالسلاطين الأيوبية فى مصر " الملك الكامل وتبادل معهم الهدايا "[٩] .

ولما كان الملوك النورمانديون وخلفائهم على العرش الصقلي يحكمون إلى جانب صقلية جنوب إيطاليا أيضا فانهم كانوا بمثابة الجسر الذى نقلت عليه مختلف عناصر الثقافة العربية الإسلامية إلى شبه الجزيرة الإيطالية ووسط أوربا



ولم يكد ينتصف القرن العاشر الميلادي حتى كانت آثار الحضارة العربية واضحة للعيان شمال جبال الألب[١٠] .

مكث العرب في جنوب إيطاليا ثلاثمائة سنة تقريبا ، فاستعرب أهل المناطق وأصبحوا يتكلمون العربية ويدينون بعادات العرب ما عدا العقيدة ، فقد احتفظ بها بعضهم ودفعوا الجزية ، وكان من نتائج هذا أن تسمى الكثيرون بأسماء عربية ، وأصبحت الأماكن والشوارع والقصور وأدوات الزينة والحرب ومتاع البيوت وغيرها لها أسماء عربية ومظاهر عربية[١١] .

٣- طريق ثالث من خلاله انتقلت الحضارة العربية والإسلامية لأوربا هو الحروب الصليبية ، والحج إلى بيت المقدس واختلاط الأوربيين بالعرب ، حيث كان لبقاء الصليبيين مدة طويلة فى الشرق الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري حتى القرن السابع الهجري أثره على اتصال تام بجميع مظاهر الحضارة الإسلامية المزدهرة التى أدهشتهم وعلى الرغم من أن الحروب كانت مستمرة بينهما وبين المسلمين ، فإن البعض منهم نقل الكثير من علوم العرب والمسلمين ومعارفهم وفنونهم وصناعتهم ، كما حصلوا على كثير من الكتب العربية ، فساعد ذلك على ظهور روح البحث ودراسة علوم الأقدمين وآدابهم [١٢].

٤ – طريق التجارة فعن طريق التبادل التجاري بين الشرق والغرب عن طريق مصر ، حيث أن المدن الإيطالية مثل جنوه والبندقية وبيزا ونابلى ، نشطت تجارتها مع مصر وهى المدن التى ظهرت فيها النهضة الأوربية الحديثة[١٣]



مظاهر الحضارة العربية على حضارة أوربا :

من خلال دراستنا للحياة الثقافية وجدنا أن العرب حققوا تفوقا كبيرا فى ميادين العلوم على اختلافها ، وتبين فضلهم وأثرهم فى هذه الميادين ، ومدى ما قدموه للعلم وللحضارة من معارف وابتكارات لم يسبقهم إليها أحد ·

كما اتضح لنا كيف وصلت الحضارة عن طريق أسبانيا وصقلية وإيطاليا ، ونتيجة للعلاقات التجارية ، وأيضا دخول الفرنجة بلاد الشام ومصر وبقى لنا أن نعرف ما كان للحضارة العربية والإسلامية من أثر واضح فى الحضارة الأوربية ونوضح ذلك فى إيجاز·

- أنه خلال الفترة الذهبية فى تاريخ الإسلام أنشئت المدارس فى مختلف البلاد الإسلامية شرقا وغربا ، وكثرت المكتبات وامتلأت بالمؤلفات العربية الإسلامية، وكذلك المؤلفات اليونانية والفارسية والهندية المترجمة وقد جزيت هذه المدارس والمكتبات الباحثين عن المعرفة من العالم المسيحي والإسلامي على السواء ، فقد أصبحت طليطلة بعد أن استولى عليها ألفونسو السادس سنة ١٠٨٥م مركزا لانتشار الثقافة العربية إلى باقي نواحي أسبانيا وأوربا ، ويرجع الفضل فى إدخال النصوص العربية فى دوائر الدراسة الغربية إلى " دايموندو" أسقف طليطلة وكبير مستشاري ملوك قشتاله ، وكان لعمله هذا أكبر الأثر فى مصير أوربا[١٤] .

تولى الأسقف رعاية جماعة من المترجمين حيث أنشأ ديوانا لترجمة التراث وفى عهد ألفونسو الحليم (١٢٥٢-١٢٨٤م) كانت طليطلة مركز النور والعلم

وانتقلت إلى أوربا خلال هذه الحركة مؤلفات الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالى والخوارزمي صاحب الجداول الرياضية ، وكان أشهر المترجمين من العربية "جيرار الكريمونى" حيث يذكر أنه ترجم أكثر من سبعة وثمانين كتابا فى مختلف العلوم(١٥) .

وعندما ذاعت هذه الترجمات للكتب العربية هرع الكثير من الأوربيين المتعطشين إلى مناهل العلوم الإغريقية والعربية قاصدين مدرسة طليطلة حيث يترجم لهم أحد المستقرين ما جاء فى الكتب العربية إلى الأسبانية الدارجة أو اللاتينية الركيكة(١٦) .

ظلت ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية مصدرا وحيدا تقريبا للتدريس فى جامعات أوربا خمس قرون ، وظل تأثير العرب فى بعض العلوم التى تدرس فى أوربا حتى وقت قريب ففي مجال الطب نجد مثلا أن كتاب " الحاوي " للرازى المؤلف من عشرين مجلدا ، يجمع كل المعلومات الطبية التى كانت معروفة فى زمانه ، وظل المرجع الوحيد المعترف به فى جامعات أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادي(١٧) .

وفى علم البصريات حقق المسلمون أعظم تقدم علمي ، ورسالة الكندي في العلم هي التي اعتمد عليها روجر بتكون فى دراسته لهذا الموضوع ، واستفاد روجر وفيتلبون من بصريات الحسن بن الهيثم ، كما أخذ ليوناردوا اليزى عن العرب علم الجبر ، وأخذ أرنالدو فيلانوفا الطب والكيمياء ، كما نهل أعلام الطب الأوربي من

كتب العرب وخاصة الزهراوى ، كما استوحى " كلير " كشفة لأفلاك الكواكب الدائرية من كتاب العالم المسلم " البطروحى "(١٨) .

وفى الرياضة يرجع الفضل للعرب في الطرق الحسابية المستعملة في الحياة اليومية في عصرنا الحاضر ، وهم الذين جعلوا من الجبر علما حقيقيا ، وتقدموا به تقدما كبيرا ، حتى اعتبروا أنهم هم الذين وصفوه ، كما أسسوا علم الهندسة التحليلية وحساب المثلثات الذي لم يكن معروفا عند اليونانيين ، وفى علم طبقات الأرض يعتبر ما كتبه الرئيس ابن سينا في كيفية تكوين الجبال والأحجار والمواد المعدنية وما إلى ذلك من أهم المراجع التي اعتمدت عليها أوربا في أبان نهضتها المدنية(١٩) .

- تركت الحضارة العربية والإسلامية فى اللغات الأوربية ألفاظا تدل على مقدار ما أفادته الحضارة المدنية من تراث تنطق بصيغتها العربية والإسلامية مثل أن معظم أسماء النجوم فى اللغات الأوربية لا تزال تنطق بصيغتها العربية ، ومنها العقرب والجدي والطائر والذئب والقرفد ، ولا تزال المصطلحات الفلكية والرياضية حافظة لصيغتها العربية فى اللغات الأوربية ومنها السمت والنظير والجيب والجبرؤ والكيمياء والصفر ، وغيرها من الألفاظ العربية الأخرى(٢٠) .

والغرب مدين للعرب أيضا بإدخال الكثير من الإصلاحات والآلات الموسيقية، وقد تفوق المسلمون كثيرا فى الفن ، والنقش واشغال الذهب والفضة والآنية ، وعنهم أخذت أوربا(٢١) .

كما تأثرت الفنون المعمارية الأوربية بعناصر الفن الإسلامي ، حيث اقتبست أوربا الفن المعروف بالأرابيسك Arabesque ، وهو فن معماري عربي يميل إلى التكوينات الهندسية ، بل نجد مباني كثيرة في أوربا في العصور الوسطى ، مثل الجامعات القديمة في إنجلترا متأثرة بالفن العربي[٢٢] .

وفي التجارة كان المسلمون رواد العالم الحديث ، فقد انشئوا النقابات وعرفوا نظام الحوالات وخطابات الاعتماد ووثائق الشحن [٢٣] . مثل الكافور ، والزعفران ، والمر ، والمسك والقطن ، والأرز ، والخرشوف ، والحنة ، والليمون ، وقصب السكر ، والموز ، والقهوة ، وطواحين الهواء ، والسواقي[٢٤] .

ومن أبرز المفكرين الذين تحدثوا عن أثر الحضارة الإسلامية في حضارة أوربا (جوستاف لوبون) الذي وضع كتابا قيما بعنوان (حضارة العرب) انصف فيه المسلمين وسلط الأضواء على الأسس العربية للحضارة الأوربية الحديثة ومن أراءه في هذا الصدد قوله : كان تأثير العرب على الغرب عظيما وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوربا ، ولم يكن نفوذهم في الغرب أقل مما كان في الشرق ، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذي أثره العرب في الغرب إلا إذ تصور حالة أوربا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة الإسلامية ، وإذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعشر الميلادي ، في الفترة التي كانت فيها الحضارة العربية في أسبانيا زاهرة باهرة ، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة في الغرب عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بأنهم أميون .

ويرى لوبون أيضا أن الحضارة العربية لم تدخل إلى أوربا نتيجة الحروب الصليبية كما هو الرأي الشائع ، بل دخلت بواسطة الأندلس وصقلية وإيطاليا ٠

ويقارن لوبون بين أسبانيا العربية وسائر أرجاء أوربا فيقول تمتعت أسبانيا بحضارة سامية بفضل العرب بينما كانت باقية أوربا فى ظلام ، ولو سار الغرب تحت راية المسلمين لتسلمت منزلته(٢٥) ٠

واعترف المؤرخ " رينو " فى كتابة " تاريخ غزوات العرب " بفضل العرب على حضارات أوربا فقال : أن النهضة الحقيقية فى أوربا لم تبدأ إلا منذ القرن الثاني عشر الميلادي ، حيث أفاق الفرنسيون والإنجليز والألمان من رقدتهم ، ونفضوا عنهم غبار الخمول ، ووجدوا ضرورة الاشتراك فى الحضارة العربية ، فأخذ المسيحيون فى فرنسا وما جاورها يؤمون أسبانيا لترجمة الكتب العربية وأصبح العرب الأمثلة العليا للشجاعة والشهامة وعزة النفس ومكارم الأخلاق ٠

وقال (سارتيو) فى كتابة (الحضارة) : أن ما أتت به الحضارة العربية فى باب العلم ولا سيما العلوم وتطبيقها أعظم بكثير مما أتت له فى هذا السبيل الدولة البيزنطية ، إذ أن الحضارة البيزنطية لم تأت بفكر جديد(٢٦) ٠

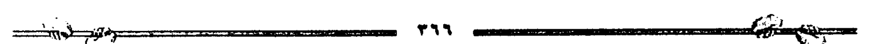
وأشار المفكران " لافيس " و" لامبو " فى كتابهما : التاريخ العام بالحضارة العربية وأثارها ، فقال : إذ وجب أن يذكر لكل واحد قسطه من العمل ، لا يسع المنصف أن يذكر قسط العرب منه كان أعظم من قسط غيرهم ، فلم يكونوا واسطة نقلت إلى الشعوب المتأخرة فى أفريقيا وأسيا وأوربا اللاتينية معارف الشرق الأقصى وصناعاته واختراعاته ، بل احسنوا استخدام المواد المبعثرة التى كانوا

يلتقطونها من كل مكان ، ومن مجموع هذه المواد المختلفة التى جلبت فتمازجت نماذج متجانسا أبدعوا حضارة حية مطبوعة بطابع مقترحاتهم وعقولهم ، وهى ذات وحدة خاصة وصفات قائمة(٢٧) ٠

وكانت مملكة بافاريا من أبرز الدول الأوربية اعتمادا على النظم العربية حيث اقتبس ملك بارفاريا خبرات المسلمين فى الأندلس ونظمهم ، وقامت فى مدينة (بال) الألمانية أول محكمة قانونية على الطراز العربي الإسلامي وقلدها في ذلك سائر مدن أوربا ٠

وفى مقاطعات فرنسا بدأ تأسيس دواوين الحكومات على الطريقة الإسلامية، ثم انتقلت النظم العربية الإدارية إلى بقية البلدان الأوربية ، وقلد الأوربيون العرب فى إنشاء المجالس الشورية(٢٨) ٠

وأخيرا الاستكشافات الكبرى ، التى قامت فى العصر الحديث نجد أنها مبنية على ما قام به العرب ٠ فكريستوفر كولمب اطلع على خرائط العرب التى شاعت فى أوربا فضلا عن شيوع استدارة الأرض عند الجغرافيين العرب ، التى هيأت هذه الاستكشافات(٢٩) ٠



مصادر ومراجع الفصل السابع

١. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٢٧٣ .

٢. يوسف العش : تاريخ الخلافة العباسية ، ص ٢٤٢.

٣. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٣٧٣.

٤. على الدفاع : روائع الحضارة ، ص ٢٩.

٥. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة ، ص ٢٨٧.

٦. على الدفاع : روائع الحضارة ، ص ٢٩.

٧. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٣٧٤ ، ماجد : نظم الحضارة ، ص ٢٨٩.

٨. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة ، ص ٢٨٩ ، توفيق الطويل : الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية ، ص ١٥٥.

٩. الخربوطلي : العرب والحضارة ، ص ٢٨١.

١٠. غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٣٠٧ ، فيليب حتى تاريخ العرب ، ص ٧٩٣ .

١١. الخربوطلي : العرب والحضارة ، ص ٣٠٢.

١٢. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٣٧٤ ، على الدفاع : روائع الحضارة ، ص٣٠.

١٣. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة ، ص ٢٩١.

١٤. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٣٧٥.

١٥. توفيق الطويل : الحضارة الإسلامية ، ص ١٦١.

١٦. الخربوطلي : العرب والحضارة ، ص ٣١٥.

١٧. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٣٧٥.

١٨. الخربوطلي : العرب والحضارة ، ص ٣١٧.

١٩. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٣٧٩.

٢٠. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٢٩٤ ، إبراهيم العدوى : تاريخ الوطن العربي ، ص ٢٣٩.

٢١. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٣٧٢.

٢٢. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة، ص ٢٩٥،ديماند: الفنون الإسلامية، ص ٩١.

٢٣. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٣٧٧.

٢٤. أحمد عيسى:معجم أسماء البنات، عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة، ص٢٩٦.

٢٥. الخبوطلي : حضارة العرب ، ص ٣٠٩.

٢٦. ــــــــ : حضارة العرب ، ص ٣١٠.

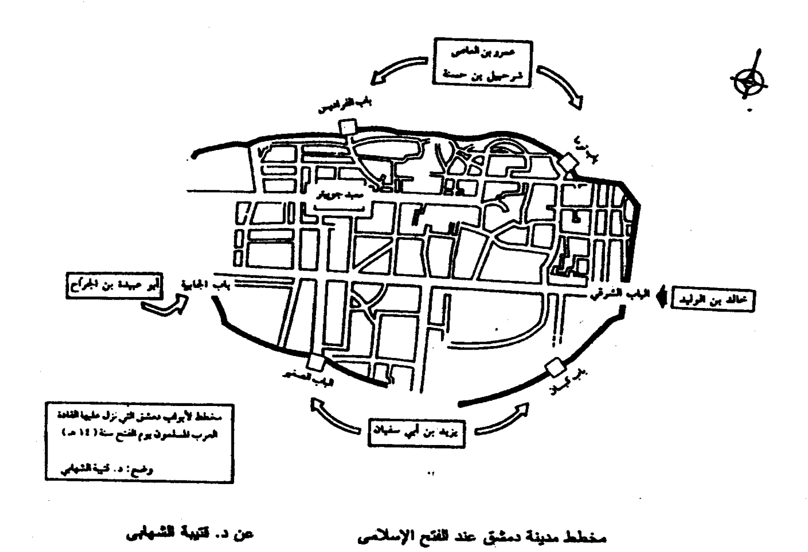
٢٧. ــــــــ : حضارة العرب ، ص ٣١٠.

٢٨. ــــــــ : حضارة العرب ، ص ٣٢٣.

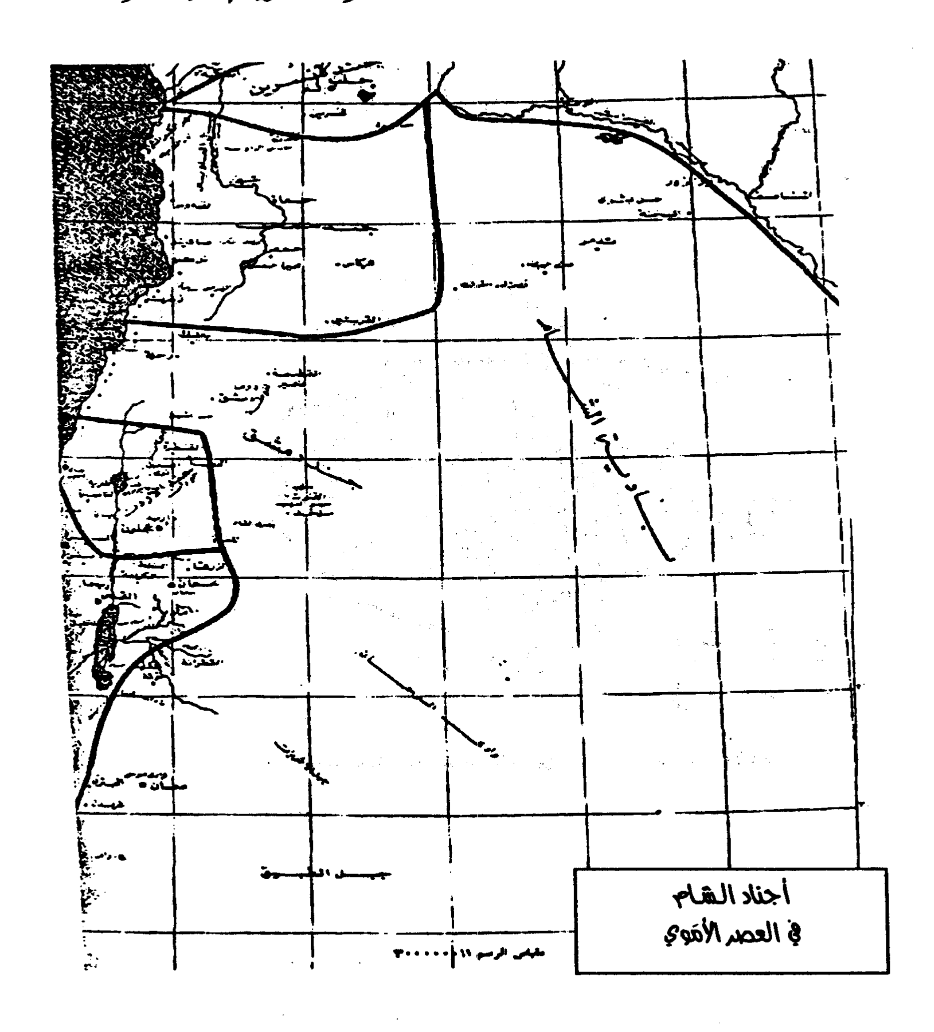
٢٩. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٢٩٦.

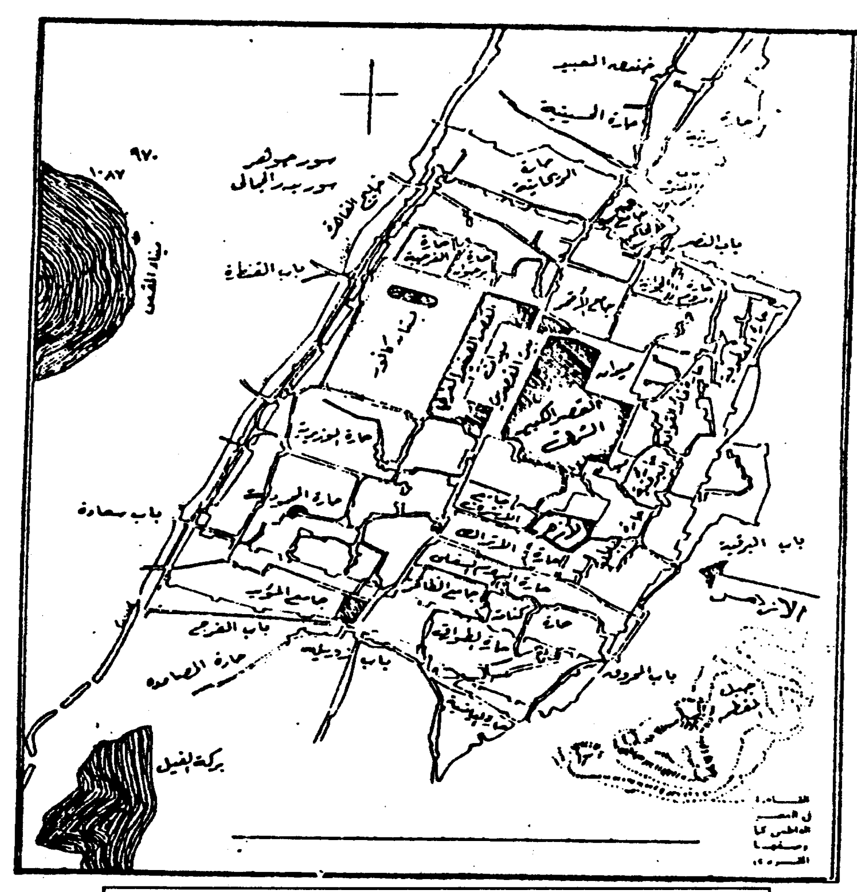
الصور والأشكال



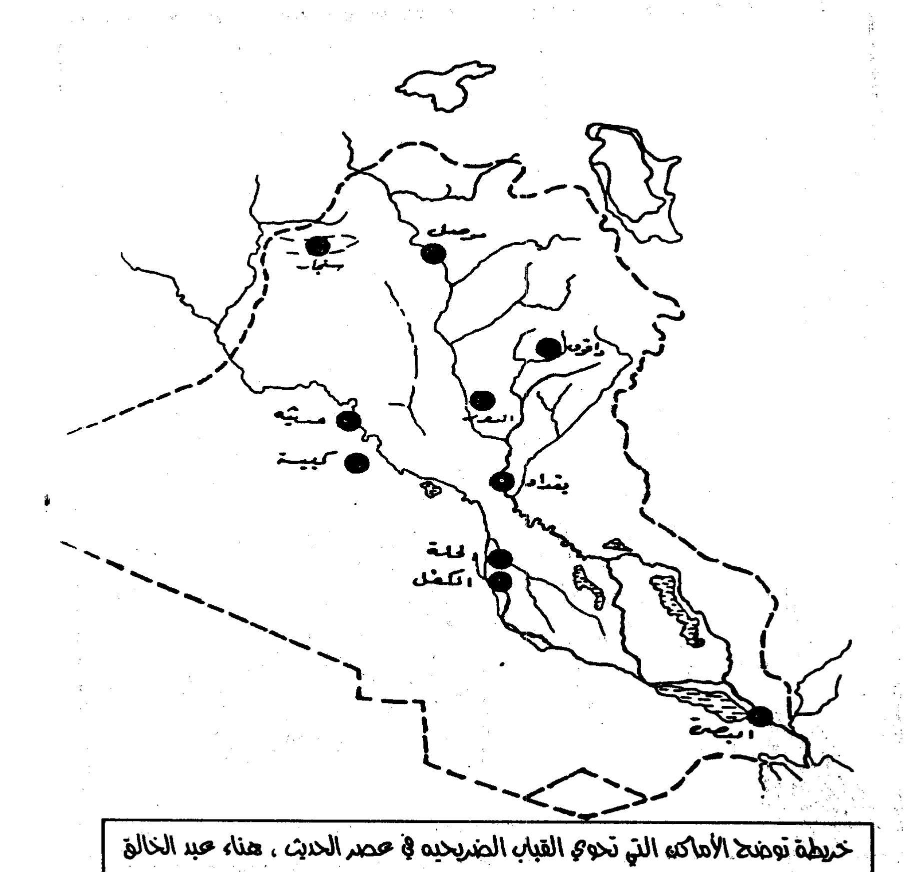


مخطط مدينة دمشق عند الفتح الإسلامي   عن د. قتيبة الشهابي

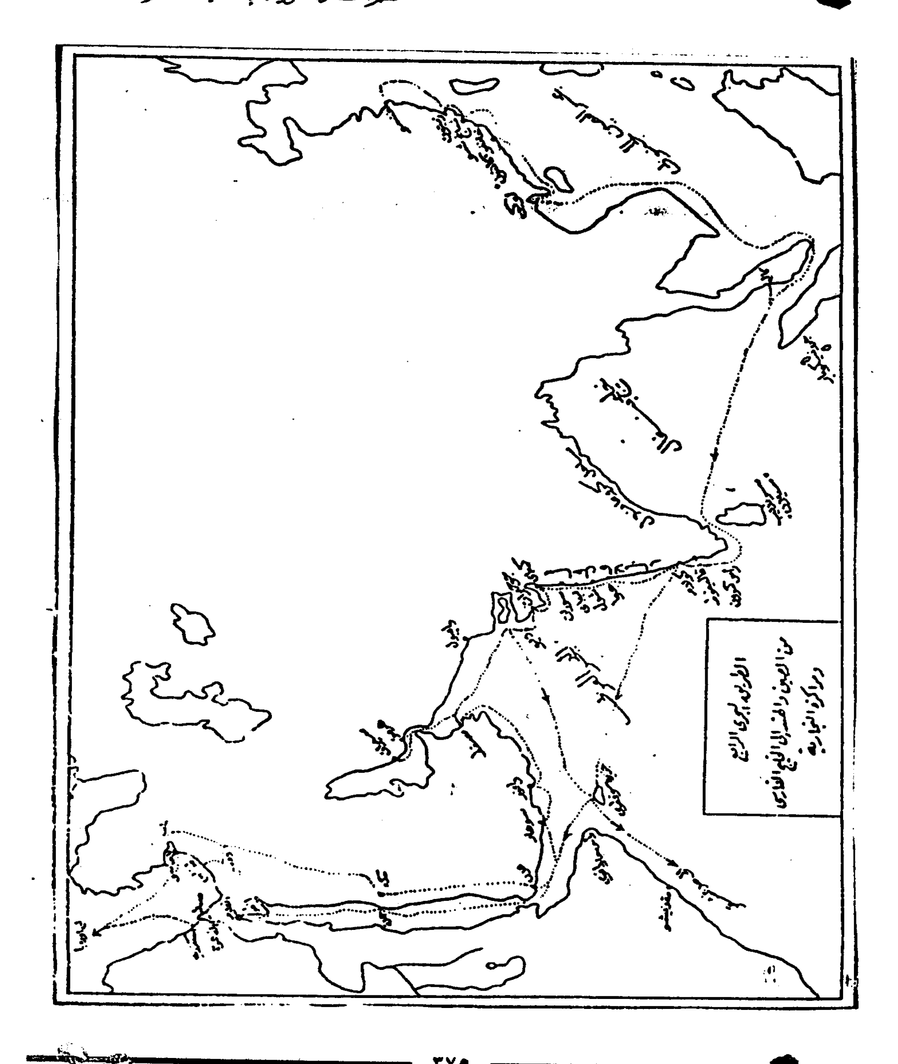

بادية الشام
دمشق
أجناد الشام
في العصر الأموي

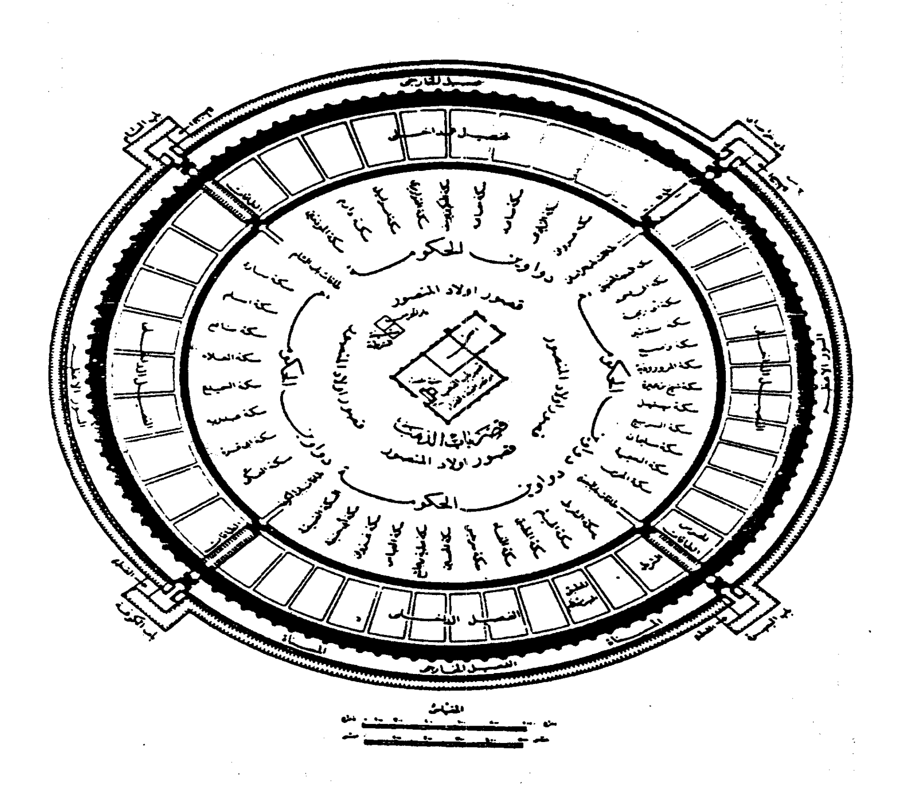


خريطة لمدينة القاهرة في العصر الفاطمي ، عن الأزهر في عيده الألفي



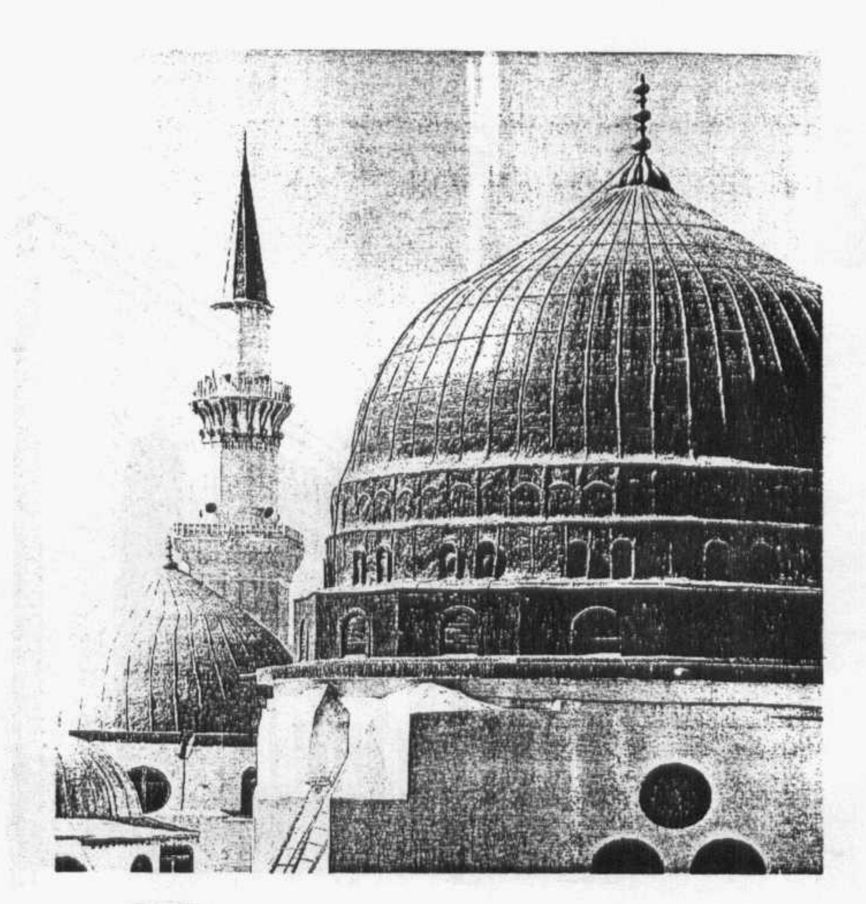
خريطة توضح الأماكن التي تحوي القباب الضريحية في عصر الحديث ، هناء عبد الخالق


الطريق البحري الرئيس
من الصين والهند إلى الخليج الفارسي
ومراكز التجارة

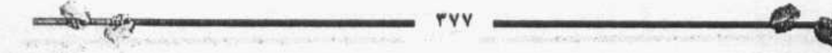

قصور اولاد المنصور
دواوين الحكومة
قصر باب الذهب
قصور اولاد المنصور
دواوين الحكومة
سكة الصلاة
سكة المروروذية
سكة سليمان

مدينة بغداد





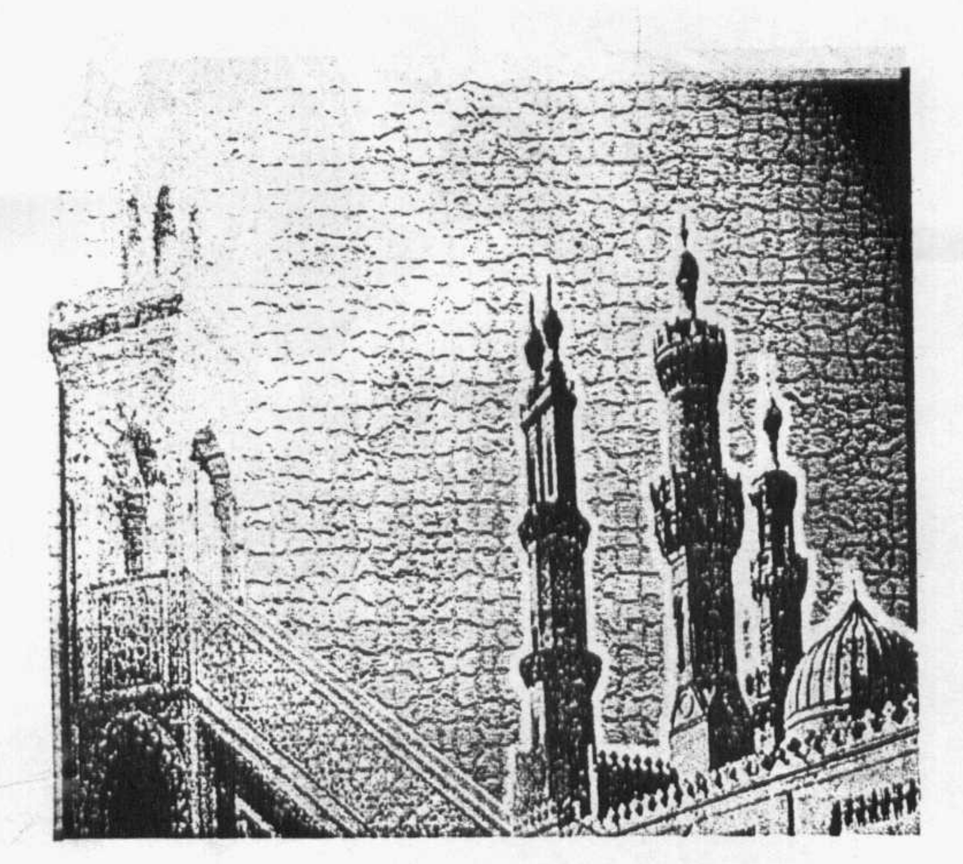
المسجد النبوي





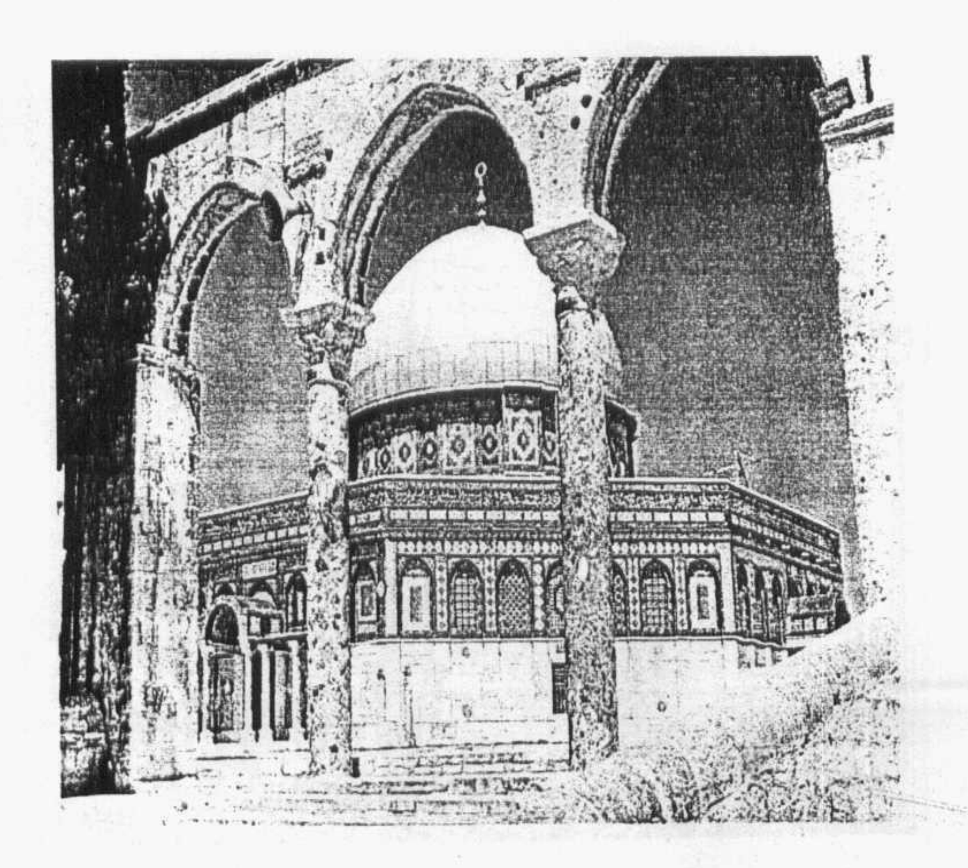
المسجد النبوي





مسجد الأزهر

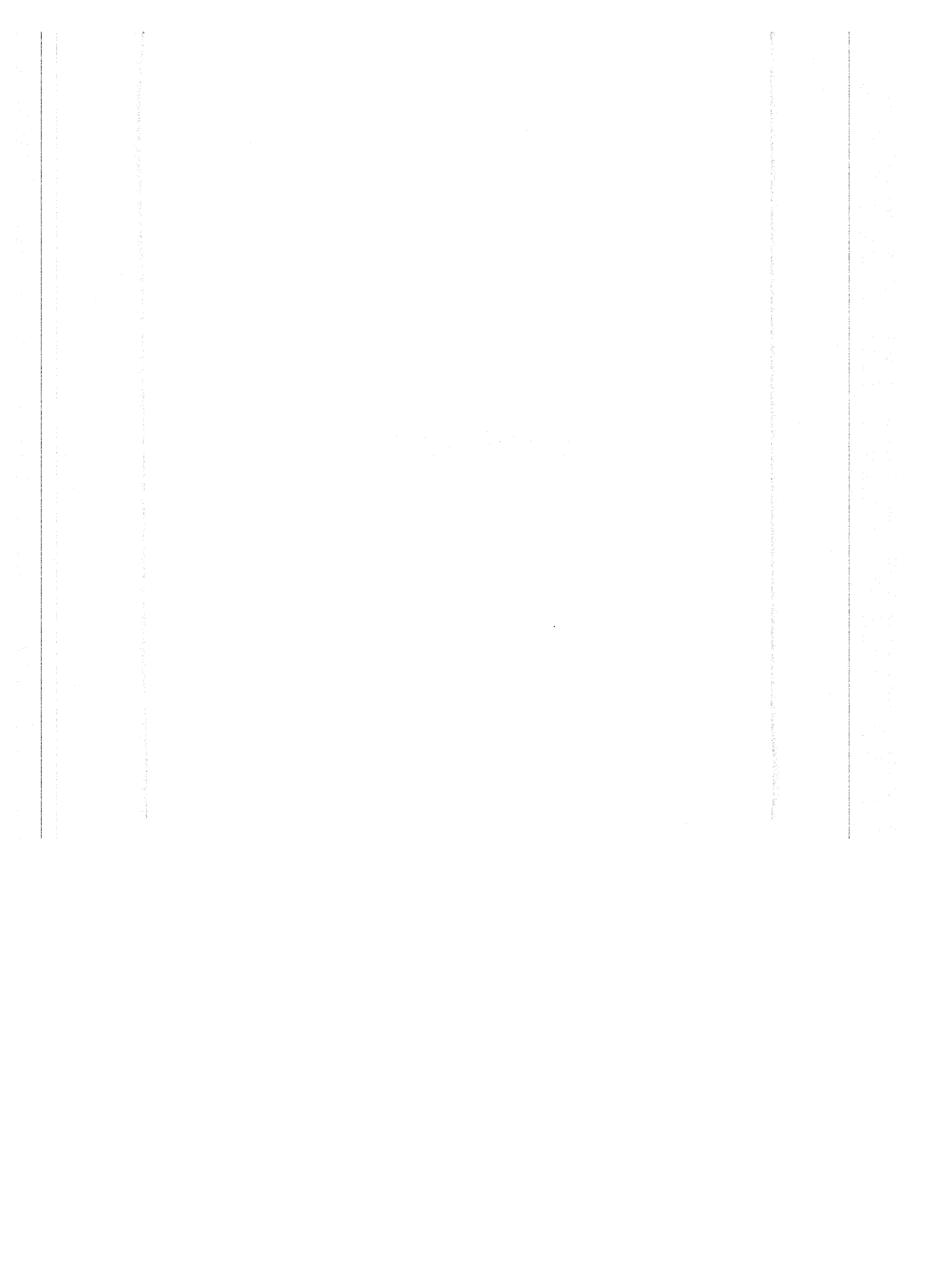




المسجد الأقصى




المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- السنة النبوية .

أولا : المصادر :

ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم) ت٦٦٧هـ/١٢٦٨م .

- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، دار الثقافة ، القاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

ابن الأثير (على بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبقى الجزرى) ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م .

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان .
- الكامل فى التاريخ ١٢ جزء ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ابن الأخوة (محمد بن أحمد بن أبى زيد بن الأخوة المصرى القرشى) ت٧٢٩هـ .
- معالم القربة فى أحكام الحسبة ، القاهرة ١٩٣٧م .

ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد) ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م .

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ابن ايبك (أبو بكر بن عبد الله الدواداري) ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م .

- كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس : الدرة المضيلة فى أخبار الدولة الفاطمية " تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٦١م .

ابن بسام (عبد الرحمن بن نصر) ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م .

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، نشر حسام الدين السمرائى بغداد ١٩٦٨م .

ابن بعرة (منصور بن بعرة (الذهبى الكاملى) .

- كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمى ، القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م .

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتى الطنجى) ت٧٧٠هـ/١٣٣٧م .

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " رحلة ابن بطوطة " بيروت، دار الكتاب المصرى اللبانى .

ابن البيطار (ضياء الدين أبو محمد عبد الله) ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م .

- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

ابن تيمية (تقى الدين أحمد بن تيمية) ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م .

- الحسبة فى الإسلام ، تعليق أحمد الحنبلى ، القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد البلنسى) ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م .

- تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، المعروف بـ " رحلة بن جبير " دار الكتاب المصرى واللبنانى ، بيروت .

ابن الجزرى (شمس الدين ابى الخير محمد بن محمد الجزرى) ت ٨٣٣هـ .

- غاية النهاية فى طبقات القراء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ابن الجوزى (أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى) ت ٥٩٧هـ .

- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدر أباد ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ٠

ابن الجيعان (شرف الدين يحيى بن علم الدين شاكر) ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م٠

- التحفة السنية باسماء البلاد المصرية ، المطبعة الأهلية ، القاهرة ١٨٩٨م ٠

ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن على العسقلانى) ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م ٠

- رفع الاصر عن قضاة مصر ، القسم الأول تحقيق حامد عبد المجيد ، مراجعة ابراهيم الابيارى ، القاهرة ١٩٥٧م ٠
- الاصابة فى تمييز الصحابة ، الجزاءان الخامس والسادس ، دار الكتب العلمية بيروت ٠

ابن حزم (أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى) ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م

- جمهرة انساب العرب ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١م ٠

ابن حوقل (أبو القاسم محمد البغدادى الموصلى) ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ٠

- صورة الأرض ، دار الحياة ، بيروت ١٩٧٩م ٠

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن محمد) ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م ٠

- المسالك والممالك ، ومعه نبذه من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ٠

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جاب (بن خلدون المغربى) ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م ٠

- مقدمة بن خلدون ، طبعه مأخوذة عن طبعة لجنة البيان العربى ، تحقيق عبد الواحد وافى ، دار الشعب ، القاهرة ٠
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المعروف بـ " تاريخ ابن خلدون " مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ٠

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) ت ٦٨١هـ

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق محيى عبد الحميد ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ٠

ابن دريد (أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد) ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م ٠

- الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هلرون ، دار الخانجى ، القاهرة ٠

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلاقى) ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م ٠

- الإنتصار لواسطة عقد الأمصار ، فى تاريخ مصر وجغرافيتها ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ٠

ابن رستة (أبو على أحمد بن عمر بن اسحق) ت ٢٩٥هـ / ٩٠٧م ٠

- الأعلاق النفيسة ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٩١٠

ابن سعد (أبو عبد الله بن سعد بن منيع البصرى الزهرى) ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م ٠

- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ٢ مج ٠

ابن سعيد (على بن موسى المغربى) ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٥م .

- النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، الجزء الخاص بالقاهرة ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٠م .

ابن سيد الناس (فتح الدين أبو الفتح محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس) ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م .

- عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، دار المعرفة بيروت ، لبنان .

ابن سيدة (أبى الحسن بن اسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى) ت ٤٥٨هـ .

- المخصص ، تحقيق لجنة احياء التراث العربى ، دار الأفاق الحديثة ، بيروت .

ابن شرف النووى (الامام الحافظ محيى الدين زكريا يحيى ين شرف النووى) ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م .

- رياض الصالحين ، تعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة .

ابن الصيرفى (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان)ت٥٤٢هـ .

- القانون فى ديوان الرسائل والاشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد .

ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا ، المعروف بابن الطقطقى) ت ٧٠٩هـ

- الفخرى فى الأداب السلطانية والدول الإسلامية ، شركة الكتب العربية ، القاهرة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م .



ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم) ت ٢٧٥هـ ٠

- فتوح مصر وأخبارها ، طبعة ليدن ، ١٩٢٠م ٠

ابن عبد ربة (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى) ت ٣٤٩هـ / ٩٤٠م ٠

- العقد الفريد ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٣١٢هـ / ١٦٧٨م ٠

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى) ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م ٠

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩م ٠

ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) ت ٣٩٥هـ

- معجم مقاييس اللغة : تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ط١ ، سنة ١٩٦٩م ، ط٢ ١٩٧٠م ، مطبعة عيسى الحلبي وأولاده بمصر

ابن القفطى (الوزير جمال الدين بن الحسن على بن يوسف) ت ٦٤٦هـ ٠

- انباء الرواه عن أنباء النحاه ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ١٤٠٦هـ ٠

ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمى) ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م ٠

- ذيل تاريخ دمشق ، حققه أمد روز ، بيروت ١٩٠م ٠

ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد االله محمد بن أبى بكر الحنبلى الدمشقى) ت ٧٥١هـ .

- الفروسية ، ترجمة وتعليق عزت العطار الحسينى ، دار الكتب العلمية ، بيروت

ابن كثير (الحافظ بن كثير القرشى) ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ٠

- البداية والنهاية ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ٠

ابن ماجه (الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني) ت ٢٧٥هـ

- سنن ابن ماجه ، الطبعة الأولى ،دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٩٦م

ابن مماتى (القاضى شرف الدين أبو المكارم بن أبى سعيد) ت ٦٠٦هـ ٠

- قوانين الدواوين ، تعليق وتحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٢٠

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصرى) ت ٦٣٠هـ ٠

- لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير ، محمد حسب الله ، هاشم الشاذلى ، القاهرة ٠

ابن النجار :

- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، تحقيق الدكتور محمد زينهم ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م ٠

- السيرة النبوية ، تعليق طه عبد الرؤوف ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، القاهرة ٠

ابن الوردى (زين الدين عمر بن الوردى) :

- تتمه المختصر فى أخبار البشر ، المعروف بتاريخ بن الوردى ، تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م ٠

أبو شامة (شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن ابن إبراهيم المقدسى الشافعى) ت ٦٦٥هـ .

- كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، الجزء الأول ، طبعة وادى النيل ، القاهرة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م .

أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل أبى الفداء) ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م .

- المختصر فى أخبار البشر ، المعروف بتاريخ أبى الفداء ، دار المعرفة ، بيروت .

أبو الفرج الوراق (محمد بن أبى يعقوب اسحق)

- الفهرست ، تحقيق رضا - تجدد .

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م .

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٠م

الإدريسى (أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحموى) من علماء القرن السادس الهجرى .

- صفة بلاد المغرب والسودان ومصر ، ليدن ١٨٦٦م .
- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩١م .

الاصطخرى (ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى) توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى .

- المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

البخاري (أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل ابن إبراهيم ابن المغيرة ابن بردربه البخاري الجحفي)

- صحيح البخاري : المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، أسطنبول ،تركيا

الترمذي(أبو عيسى محمد ابن عيسى ابن سورة)

- السنن:تحقيق محمد فؤاد عبد الباري ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان

البغدادى (عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى) ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م ٠

- الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، طبعة المجلة الجديدة ، تحقيق غسان سبانو ، القاهرة ٠

البلازدى (أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩هـ / ٩٨٩م ٠

- فتوح البلدان ، تعليق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ٠

الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م ٠

- الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم عبد الحفيظ شلبى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م ٠

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى)

- الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط٢ ، بيروت ١٩٤٨م

الدينورى (أبى حنيفة أحمد بن داود) ت ٨٨٢هـ / ١٨٩٥م ٠

- الامامة والسياسة " تاريخ الخلفاء " تحقيق طه الزينى ، دار المعرفة ، بيروت ٠



الذهبى (الحافظ شمس الدين الذهبى) ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م .

- تاريخ دول الإسلام ، تحقيق فهيم شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، القاهرة ١٩٧٤م .

الرازى (أبو بكر محمد بن زكريا) ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م .

- منافع الأغذية ودفع مضارها ، القاهرة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م .

الزركلى (خير الدين)

- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩م .

السبكى (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن على بن عبد الله الكافى) ت ٧٧١هـ /

- طبقات الشافعية الكبرى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٤هـ / ١٩٥٥م .

السمعانى (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى) ت ٥٦٢هـ

- الأنساب ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ، الطبعة الأولى ، دار لبنان ، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

السمهودي :

- وفاء الوفا : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط٢ ،١٣٩٣هـ/١٩٧١م

السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين) ت ٩١١هـ / ١٦٠٥م ·

- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، مراجعة أحمد بدوى الإدارة العامة القاهرة ·
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه ، القاهرة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ·
- طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٣م ·

الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر) ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م ·

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٤٦م ·

الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م ·

- الوافى بالوفيات ، باعتناء سى بدرنغ ، دمشق ، المطبعة الهاشمية ١٩٥٣م ·

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م ·

- تاريخ الأمم والملوك ، المعروف بتاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف ، القاهرة ·

العمرى (شهاب الدين أبى العباس أحمد بن العمرى) ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م

- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد زكى ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٤م ·

القزوينى (أبى زكريا بن محمد بن محمود)

- أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ·

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على القلقشندى) ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، القاهرة ١٩٦٣م ٠

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى) ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م

- ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ٠

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى) ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م.

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م ٠

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) ت ٣٤٦هـ / ٩٥٦م ٠

- التنبيه والاشراف ، دار صعب ، بيروت ٠
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ٠

المقدسى (شمس الدين أبو عبيد الله محمد الشافعى البشارى) ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م ٠

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٠٩م ٠

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر الشافعى) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م ٠

- اتعاظ الحنفاء بذكر أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، الجزء الأول تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٧م ، الجزء الثانى تحقيق محمد حلمى أحمد، القاهرة ١٩٧١م ٠
- شذور العقود فى ذكر النقود القديمة والإسلامية ، المكتبة المرتضوية ومطبعتها النجف ، العراق ١٣٥٦هـ ٠
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية مأخوذ عن طبعة بولاق ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م ٠

النابلسى (عثمان بن إبراهيم النابلسى) القرن السادس الهجرى ، الثانى عشر الميلادى.

- لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة.

النعيمى (عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقى) ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م .

- الدارس فى تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م .

- نهاية الإرب فى معرفة فنون الأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نسخة مصورة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة .

ناصر خسرو على (ت ٤٨١هـ / ١٠٠٨م) .

- سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣م .

الواقدى (أبى عبد الله محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ / ٨١٥م .

- فتوح البلدان ، الطبعة الثانية ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٩٣٤م .

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح) ت ٢٨٣هـ / ٨٩٧م .

- تاريخ اليعقوبى ، جزءان ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .
- البلدان : ليدن ١٩٦٧م .

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى) ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م .

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت .
- معجم الأدباء ، دار مأمون للطباعة والنشر ، الطبعة الأخيرة ، القاهرة .

ثانيا : المراجع :

إبراهيم أحمد العدوى (الدكتور)

- الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ، مكتبة نهضة ، القاهرة ٠

أحمد إبراهيم الشريف (الدكتور)

- دراسات فى الحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٨١م

أحمد أحمد بدوى (الدكتور)

- الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ، بمصر والشام ، القاهرة ١٩٧٢م ٠

أحمد أمين :

- ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ٠
- ظهر الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية لجنة التأليف والترجمة والنشر ٠ القاهرة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ٠
- قاموس العادات والتقاليد المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٣م ٠

أحمد عبد الرازق أحمد (الدكتور)

- تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٣م ٠

أحمد عبد السلام ناصف (الدكتور)

- الشرطة فى مصر الإسلامية ، ط١ ، الزهراء للاعلام العربى ١٩٨٧م ٠

أحمد عيسى (الدكتور)

- تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ، ط٢ ، دار الرائد العربى ، بيروت ١٩٨١م ٠

ادم متز

- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، الجزء الأول والثانى ترجمة عبد الهادى أبو ريده ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٨م ٠

أرشيبالد لويس

- السيادة الإسلامية فى البحر المتوسط ، ترجمة أنيس مريحة ، واخ ، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٠م٠

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور)

- التاريخ والمؤرخون العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨١م ٠
- تاريخ الدولة العربية ، الجزء الثانى مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ٠
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٨٢م ٠

الشيخ أحمد السكندرى والشيخ مصطفى العنانى

- الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م ٠

انستاس مارى الكرملى ٠

- النقود العربية الإسلامية وعلم النميات، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٧م

بدر عبد الرحمن محمد (الدكتور) ٠

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى ، الطبعة الأولى مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ١٩٨٩م ٠
- الدولة العباسية ، دراسة فى سياستها الداخلية فى القرنين الثانى والثالث الهجرى مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ٠

جورجي زيدان ·

- تاريخ التمدن الإسلامى ، الجزء الثالث ، دار مكتبة الحياة بيروت ·
- تاريخ أداب اللغة العربية الجزء الثانى ، تعليق شوقى ضيف ، دار الهلال ، القاهرة ·

حسن إبراهيم حسن (الدكتور) ·

- الدولة الفاطمية فى مصر والمغرب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٥م ·
- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والاجتماعى والثقافى ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٤م ·

حسن أحمد محمود (الدكتور)

- حضارة مصر الإسلامية فى العصر الطولونى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ·

حسن الباشا (الدكتور)

- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوظائف والآثار ، الدار الفنية ، للنشر والتوزيع القاهرة ، ١٩٨٩م ·

حسن محمد جودة

- نظم الحضارة الإسلامية دار النشر الدولي ، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

خضر أحمد عطا الله (الدكتور)

- الحياة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ·

خطاب عطية على (الدكتور)

- التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

راشد البراوى (الدكتور)

- حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨م .

سعاد ماهر (الدكتورة)

- البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة .
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة
- محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى ، الكتاب الرابع ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٦م .
- الحصير فى الفن الإسلامى ، مطبعة كرستاتسوماس ، القاهرة .
- النسيج الإسلامى ، مطابع دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٧م .

سهام مصطفى أبو زيد (الدكتورة)

- الحسبة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
- مصر فى عصر الإخشيديين ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩م .



- أهل الذمة فى مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م .
- أحمد بن طولون ، أعلام العرب الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- مصر فى العصرين الطولوتى والإخشيدى ، الألف كتاب ، القاهرة ١٩٦٠م .

سيديو

- خلاصة تاريخ العرب ، الطبعة الثانية ، دار الآثار ، بيروت ١٤٠٠هـ

شحاتة عيسى إبراهيم

- القاهرة تاريخها ونشأتها ، امتدادها ، تطورها دار الهلال القاهرة .

شوقى ضيف (الدكتور)

- تاريخ الأدب العربى ، الطبعة السادسة ، مصر والشام ، دار المعارف القاهرة .

صابر محمد دياب (الدكتور)

- دراسات فى تاريخ العالم الإسلامى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

صلاح الدين كشريد

- الطب النبوى ، مجلة المؤرخ العربى ١٦٤٠، ١٩٨١م .

عاصم محمد رزق عبد الرحمن (الدكتور)

- مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى حتى مجئ الحملة الفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

عبد الرحمن فهمى (الدكتور)

- موسوعة النقود وعلم النميات (فجر السكة الإسلامية) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٥م ٠

عبد الله كامل موسى

- العباسيون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقية ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ،ط١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

عبد المنعم سلطان (الدكتور)

- المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، دراسة تاريخية ، وثائقية ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٥م ٠

عبد المنعم ماجد (الدكتور)

- نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨م
- التاريخ السياسى للدولة العربية ، الجزء الأول والثانى ، عصر الجاهلية ، والنبوة والخلفاء الراشدين ، عصر الخلفاء الأمويين ، القاهرة ٠

عصام الدين عبد الرؤوف الفقى (الدكتور)

- الدولة العباسية ، مكتبة النهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٧٨م ٠

عطية القوصى (الدكتور)

- الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٨٥م ٠

- تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، القاهرة ١٩٧٦م .
- تاريخ الكنوز الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م .

على إبراهيم حسن (الدكتور)

- مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ، القاهرة ١٩٤٩م
- التاريخ الإسلامى العام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

عيسى سلمان وأخ.

- العمارات العربية الإسلامية في العراق ، دار الرشيد ، العراق ١٩٨٢

غوستاف لوبون

- حضارة العرب ، تعريب محمد صادق رستم وعادل زعتر ، ط٢ ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ١٩٥٦م .

فيليب حتى

- تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، القاهرة ١٩٥١م .

محمد جمال الدين سرور (الدكتور)

- تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة .
- الدولة الفاطمية فى مصر ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة فى عهدها ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٩م .

محمد حمدى المناوى (الدكتور)

- الوزارة فى العصر الفاطمى ، دار المعارف ، القاهرة ٠

محمد الخضرى

- محاضرات فى تاريخ الامم الإسلامية " الدولة العباسية " ط٥ مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ٠

محمد رمزى

- القاموس الجغرافى ، للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م القسم الأول ، البلاد المندرسة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٣م ، ١٩٥٤م ٠

محمد عبد الستار عثمان

- المدينة الإسلامية " سلسلة عالم المعرفة ، ١٢٨ " يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، اغسطس ١٩٨٨ ٠

